



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

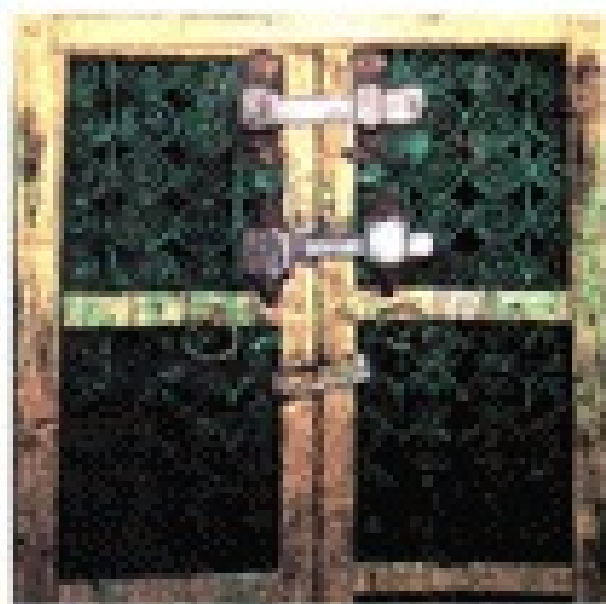
العلماء



رسالة
عليكم يا صابغين

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بُحُورُ قَاظِمَةِ اَهْتِدَائِيَّةٍ



المصنفات النبوية
محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بنور فاطمة اهتديت

كاتب:

حسن، عبدالمنعم

نشرت في الطباعة:

بيروت

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	بنور فاطمة اهتديت
١١	اشارة
١١	الاهداء
١١	المقدمة
١٤	لماذا هذا الكتاب
١٧	البحث فى التاريخ ضرورة
١٧	البحث فى التاريخ ضرورة
١٧	اشاره
١٧	التاريخ فى القرآن
١٨	التاريخ ضرورة للحاضر
١٨	نماذج من انحرافات الأمم السابقة فى القرآن الحكيم
١٨	اشاره
١٩	عن الرسل والرسالات عموما
١٩	وعن التفضيل بين الرسل
٢٠	و ان نتيجة هذا الاختلاف
٢٠	كما نجد فى هذه الآيات
٢٠	بلعم بن باعوراء مع نبيه موسى
٢١	السامرى و هارون مع بنى إسرائيل
٢٢	الشيعة و التشيع
٢٢	الشيعة و التشيع
٢٤	التشيع و الفرس
٢٤	ظلال التشيع فى السودان

- ٢٦ بنور فاطمة اهتديت
- ٢٦ حوار في بداية الطريق
- ٢٧ البداية
- ٢٨ بنور فاطمة اهتديت
- ٢٨ ماذا بين ابي بكر و فاطمة؟
- ٣٠ فاطمة في القرآن
- ٣١ فاطمة بلسان أبيها
- ٣٣ موقف الزهراء هو الفيصل
- ٣٤ عصمة الزهراء
- ٣٦ بماذا طالبت الزهراء؟
- ٣٦ اشاره
- ٣٦ المطالبة باسترداد فدك التي لها ملكيتها
- ٣٧ مطالبتها بارث الرسول
- ٣٧ المطالبة بسهم ذى القربى
- ٤٠ فدك الرمز
- ٤٠ اشاره
- ٤١ تلخيص اسرار المطالبة بفدك في الآتى
- ٤٢ الخلفاء و اقتحام الدار
- ٤٦ استشهاد الزهراء
- ٤٩ الزهراء صرخة مدوية عبر التاريخ
- ٤٩ الامامة و الخلافة
- ٤٩ تمهيد
- ٥٠ بالشورى ام بالتعين؟
- ٥٠ مفهوم الشورى عند أهل السنة والجماعة غير واضح

- ٥١ التعيين ضرورة
- ٥٢ على بن ابى طالب اول خليفة للنبي
- ٥٢ اشاره
- ٥٢ حديث الغدير
- ٥٣ حديث المنزلة
- ٥٣ حديث الانذار
- ٥٤ حديث الراه
- ٥٥ مناظرة للمامون العباسى فى فضل على
- ٥٨ اهل البيت هم اولو الامر بعد النبي
- ٥٨ الحديث ٠٠١
- ٥٨ الحديث ٠٠٢
- ٥٨ اشاره
- ٥٩ حوار حول العصمة فى حديث الثقلين
- ٦٠ الحديث ٠٠٣
- ٦٢ الانقلاب
- ٦٢ اشاره
- ٦٢ ماذا حدث؟
- ٦٣ مع عدالة الصحابة
- ٦٣ اشاره
- ٦٣ القرآن و عدالة الصحابة
- ٦٦ الصحابة عند شيعة اهل البيت
- ٦٦ مصيبة الامة
- ٦٧ حديث العشرة المبشرين المزعوم
- ٦٧ السقيفة

- ٦٨ على والخلافة
- ٧٠ خلافة على...
- ٧٠ اشاره
- ٧٠ حرب الجمل
- ٧١ عائشة بنت ابى بكر
- ٧٢ صفين
- ٧٢ اشاره
- ٧٣ رساله محمد بن ابى بكر لمعاوية
- ٧٤ بعض افعال معاوية
- ٧٥ كربلاء امتداد للسقيفة
- ٧٥ كيف يرون معاوية و يزيد
- ٧٦ مع الحسين
- ٧٨ من هو الحسين
- ٧٩ نزول الركب المقدس فى كربلاء
- ٨١ السجود على التربة الحسينية
- ٨١ اشاره
- ٨١ علماء مدرسة اهل البيت
- ٨٢ لماذا السجود على التربة الحسينية
- ٨٢ اشاره
- ٨٢ الدلالة العقائدية
- ٨٢ الدلالة التاريخية
- ٨٢ الدلالة الجهادية
- ٨٣ فى دائرة النور
- ٨٣ اشاره

٨٣	من ركاه الباطل الى النور
٨٤	فقرات من ادعية اهل البيت
٨٤	من دعاء الصباح لاميرالمومنين
٨٤	من دعاء يوم عرفه للامام
٨٤	مناجاة الشاكرين للامام زين العابدين
٨٥	قبسات من نور آل محمد
٨٦	التقية
٨٦	اما من الكتاب العزيز
٨٧	اما من السنة
٨٧	الوضوء
٨٨	حكم الارجل
٨٩	اخبار من مصادر سنیه توضیح وجوب المسح دون الغسل
٨٩	الجمع بين الصلاتين
٩٠	الادلة من السنة
٩٠	الادلة من طريق اهل البيت
٩١	الزواج المنقطع المتعة
٩١	اشاره
٩١	الدليل القرآنی
٩٣	ما المقصود بالزواج الموقت
٩٣	العناصر المشتركة بين الزواج الدائم والزواج المؤقت
٩٣	عناصر الاختلاف بين الزوجين
٩٤	عن اهل البيت
٩٤	خاتمة
٩٥	اخيرا

٩٥ خطبة فاطمة شعله الحق

٩٧ باورقى

١٠٤ تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

بنور فاطمة اهتديت

اشارة

بنور فاطمه اهتديت
 مولف: حسن، عبدالمنعم
 موضوع اصلى: امامت
 موضوع فرعى: شيعه شدگان
 زبان: عربى
 نوع مدرک: کتاب چاپى
 محل نشر: لبنان، بيروت
 ناشر: دار الخليج العربى
 تاريخ نشر: ١٤٢٠ ق، ١٩٩٩ م
 نوبت چاپ: ٢
 تعداد صفحات: ٢٧٨
 قطع و اندازه: وزيرى
 نوع جلد: گالينگور
 محل در کتابخانه: ٧٢/٢/٠/٣٤
 شماره اختصاصى: « ١٣٥٢ »

الاهداء

إلى بضعة المصطفى وقره عينه... إلى التي ترعرت فى بيت الوحي وتربت فى حزن أعظم الأنبياء... إلى الصديقه الطاهرة المطهرة المعصومه.. وصاحبه المواقف الفاصله.. إلى المظلومه المقهوره المهضوم حقها.. إلى الشمعه التي أخذتني إلى حيث الهدايه.. وفتحت لى آفاق نور الولاية.. سيدتى ومولاتى فاطمه الزهراء (ع).. وإلى حفيدها الأمل المرتجى وكاشف الدجى. العدل المنتظر المهدي الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف الإمام الثانى عشر والخاتم الذى يملأ الأرض عدلا وقسطا.. راجيا القبول [صفحہ ٧]

المقدمه

فجأة أحسست ببرودة تلفح وجهى وبرعدة تتاب أوصالى فى يوم حار من أيام فصل الصيف الذى يتميز به السودان، ورغم درجة الحرارة العاليه فى ذلك اليوم إلا أننى شعرت بأنها تدنت إلى ما دون الصفر. برهه مرت ثم شعرت بدفء الحقيقه... وبنور ينكشف أمامى وبهاله قدسيه تلفنى، وإذا بالحجب التي أثقلت كاهلى قد انزاحت، ولمع برق الحقيقه أمام ناظرى، وإذا بى أبدأ أول خطواتى فى الاتجاه الصحيح. كانت أصعب لحظات العمر هى وقت اكتشاف عمق المأساه التي كنا نعيشها، والتي كانت نتاجا طبيعيا للجهل المركب الذى كان يغشى عقولنا... خصوصا وأن هذه المأساه كانت متمركزه فى اعتقادنا وديننا. أن يجد الإنسان نفسه مخطئا فى تقدير أمور حياته اليوميه مثل لون الدراسه التي يجب أن يدرسها أو الوسيله التي يجب أن يتنقل بها.. فليس فى ذلك كثير أسى

وتندم... لكن أن يخطئ الطريق إلى الله سبحانه وتعالى... أن يسلك طريقا غير الذى وصفه الله تعالى إلى الجنة، فهذا خطير بل جنون وتهور. ذلك ما وجدت عليه - وللأسف - السواد الأعظم من المسلمين أثناء تجربتى هذه والتي لا أدعى أنها الأولى أو الأخيرة ولا حتى المتميزة... وهذا ما توصلت إليه بعد بحثى وتنقيبى بين ثنايا تراثنا الدينى وتاريخنا الإسلامى. أسجل هذه التجربة شهادة للتاريخ دون بحث عن منفعة شخصية أئالها سوى رضا الله تعالى، وحتى أساهم بمجهودى المتواضع هذا فى إحقاق الحق، وحتى يسجل كحلقة جديدة من حلقات انتصار مذهب الحق " مذهب أهل البيت (ع) " ومن سلك منهجهم وتمسك بهداهم وهم " الشيعة. " [صفحة ٨] وليس المقصود من هذا البحث النيل من شخص معين أو إثارة الفتنة، أو البحث عن التفرقة بين المسلمين كما يحلو لبعض الجهلة أن يسمونها، إنما هو نقاش عقائدى القصد منه الكشف عن الحقائق ولفت الانتباه إلى الواقع المأساوى الذى تعيشه الأمة من مرارة الذل والهوان بعد انحرافها عن الصراط المستقيم ونبذها كتاب الله تعالى وسنة رسوله... كما إنها خطوة لتوحيد الأمة تحت راية الحق والالتفاف حول محور الدين الحقيقى الأصيل المتمثل فى نهج أهل البيت (ع). وما أنا إلا عبد فقير من عباد الله انكشفت أمامه الحقائق وشعر بمرارة الخداع وذل التجهيل الذى مورس عليه باعتباره أحد أفراد الأمة الإسلاميه، عشت وترعرت فى بيئه سنيه يتعبد أهلها بمذهب الإمام مالك - تلك غالبيه أهل السودان - كانت أكبر همومى تتمثل فى الزواج لكى أنجب أبناء أغذيتهم بما ورثته من آباءى من تدين وأربيتهم على خلاف ما يجرى فى البلاد الإسلاميه الآن من تكريس لسليبات الحضارة المادية الزائفة فى نفوس أبنائنا. كنت أحلم أن يكونوا أبناء من خدام شرع الله ودينه - ذلك الدين الذى درسناه فى مناهجنا الدراسيه - وكما ألقينا عليه آباءنا فى مجتمعنا دون أن نبحث هل هو ما أمرنا الله به أم أن هنالك أبناء وهنئه خفيت علينا. أما السودان فهو بلد تأصلت فيه الروح الدينيه فامتاز بالفطريه فى أخلاق شعبه وكافه جوانب الحياه فيه وبقوه الوازع الدينى، بالإضافة إلى حبه الواضح لأهل البيت (ع) ويظهر ذلك فى ثقافته، وسنتطرق إلى ذلك أثناء بحثنا. دخل الإسلام السودان عبر الطرق الصوفيه - هذه الحقيقه التى أنكرها الوهابيون حقا وحسدا - وأعتقد أن للدولة الفاطميه فى مصر اليد الطولى فى انتشار الإسلام فى السودان، خصوصا وأن الطرق الصوفيه تقوم أساسا على محبه أهل بيت النبوه (ع) والولاء لهم، ولقد انعكس ذلك على ثقافته وتدين الشعب السودانى. والذى [صفحة ٩] أصبح الآن علما يشار إليه وأملا للمسلمين باعتباره بوابة المسلمين على إفريقيا. فى هذا المجتمع عشت... وعلى طبائع أهله وخلقهم الرفيع تربيت، مسقط رأسى قرية فى شرق السودان اسمها مسمار، هناك ولدت وكانت سنوات عمري الأولى فى تلك القرية التى تحتضنها الصحراء المتراميه الأطراف. نشأت وسط أسرة متواضعة.. انتقلت إلى هذه القرية من قرية أخرى فى شمال السودان وتحديدًا منطقة الرباطاب التى تتألف من مجموعه من القرى المتناثره حول نهر النيل. قرينتا الأصلية تسمى " الكريهه. " وقرية مسمار هى فى الأساس محطة لقطار السكه الحديد الذى يأتى من العاصمة الخرطوم متوجها إلى الشرق حيث مدينة بورسودان أهم ميناء فى السودان... وبالرغم من أن سكان صحراء شرق السودان أغلبهم من قبائل البجا والهدندوه إلا أن " مسمار " كانت مأهولة بالشماليين وتحديدًا من الرباطاب الذين انتقلوا من منطقتهم إلى الشرق بسبب أو بآخر... والذى كان أحد أولئك. ترعرت فى هذه القرية وأنا صغير يحوطنى أبى برعايه واهتمام وكان عندى المثل الأعلى.. لقد كان إمام المسجد وشيخ القرية.. له مكانه خاصه عند سكانها كانت تعطينى الاحساس بالأمن والسعادة خصوصا عند ما أذهب معه إلى مسجد القرية المتواضع للصلاه اليوميه وصلاه الجمعة. أو صلاه العيد التى تكون عادة خارج القرية، كانت سعادتى لا تحدها حدود وأنا أرى أبى يجهز نفسه للصلاه فى أيام العيد.. عندما يلبس جلبابه الأبيض وعباءته (والعباءه فى السودان لا- يلبسها إلا- وجهاء البلد). ثم يتعطر بعطره الخاص الذى غالبا ما ينالنى منه نصيب ثم نخرج من المنزل وفى الخارج ينتظرنا جمع غفير من أهالى القرية فنمضى إلى حيث موقع الصلاه فى موكب خاشع يرتفع فيه صوت التهليل والتكبير. وعند الوصول إلى الموقع يأخذ أبى مكانه كإمام للجماعه ويصلى بهم صلاه العيد وبعد التسليم يلتف حوله المصلون للاستماع [صفحة ١٠] للخطبه وكنت أحرص أن أكون أقرب الناس إليه حتى إذا انتهت الخطبه أسرع الجميع نحوه يتسابقون للتهنئه بالعيد. ويبلغ إحساسى بالشوشه حده ربما لأننى أحظى ببعض الاهتمام وأنا الأصق أبى فى هذه اللحظات وبجواري أخى الصغير. حفرت فى ذاكرتى مثل هذه

للحظات. ربما لأنني كنت أرى في تقديس والدي تقديسا لشخصي... ربما ولكن ظلت صورة والدي واهتمام الناس به في ذهني دونما أن أحاول إخراجها عبر التحدث مع الآخرين. ولم أعرف سر تقديس الآخرين لوالدي إلا بعدما بدأت أفهم الحقائق شيئا فشيئا. والدي من نسل العباس عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقال لمجموعة من ينتسب إليه "عباسه" باعتبار أن العباس عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت له عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حظوة، ويروون أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال "الفضل كله لي ولعمي العباس" وعند العباسه كان والدي وإخوانه هم الخلفاء المتصدون للقضايا والأمور الدينية. إضافة إلى شيء آخر كان يتمتع به الوالد جعل له تلك المكانة في أفئدة الناس وهو ارتباطه بالطريقة الختمية التي تعتبر من الطوائف الصوفية الكبرى في السودان وكان والدي من المقربين والمساعدين لمرشد هذه الطائفة في منطقتنا وهو من الأشراف الذين ينتسبون إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وأبناء الشرق عموما كبقية أهل السودان من المحبين لأهل بيت النبوة. وكل من يتقرب إلى الرسول بجهة من الجهات يحترمونه ويعظمونه تعظيما للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك تجدهم كثيرا ما ينخرطون في الطرق الصوفية التي تعتمد كثيرا على الإخلاص في المودة لأهل البيت كما يرون. اجتمعت لوالدي هذه الأشياء مع قوة شخصيته، وتدينه، والتزامه. فكنت أحس بهيبته وأنا بعد صبي ربما لا أميز جيدا لكن شخصيته وكيونته نقشت على قلبي وتركت أثرا بالغا علي، حتى أنني كنت أقلده في كل شيء. لقد كان يعطى أوراقا [صفحة ١١] كتبت عليها أدعية وآيات قرآنية للعلاج تسمى (محاية) لشرب مائها أو التبخر بها فصرت أفعل مثله وأمسك الورقة والقلم وأكتب عليها أحرفا غير مفهومة وأعطيتها لإخواني إذا اشتكى أحدهم مرضا. دخلت المدرسة وكان ترتيبى الأول دوما وطيلة بقائى في هذه القرية وكانت تكتمل فرحتى عندما أرى أثر السعادة في وجه والدي فأسرع إليهما كل مرة بالبشرى. وأبى يشجعنى للمحافظة على هذا المستوى دون الوصول إلى الغرور مع تحذيره الدائم من حسد الآخرين والإصابة بالعين. كنت قد بلغت التاسعة من عمري حين مرض والدي مرضا شديدا نقل على أثره إلى مدينة بورتسودان للعلاج هناك تصحبه أُمى. حينها شعرت بفراغ كبير.. لقد فقدت شيئا عظيما داخل قلبي. كما افتقدته بيتنا، فوهج نوره ووجوده كان يملأ البيت كأى رب أسرة يفيض بعاطفته على أهله وأولاده فيكسوهم بحبانه... بات إخوتى وأهل القرية جميعا، يترقبون العوده.. يعدون الليالى والأيام. وبعد فترة ترقب وانتظار... جاءنا الخبر يحمله عمى شقيق أبى.. لقد انطفأ ذلك السراج المضى وانقلب بيتنا إلى بيت حزن يضج بالبكاء والنحيب وتوافدت جموع المعزين من أهل القرية بسرعة غريبة وتجمهروا أمام البيت. كنت مذهولا وكلما اقترب منا شخص يزداد نحيبا ويضمنى وأخى الصغير إليه.. لم نبق كثيرا فى مسمار بعد وفاة الوالد وانتقلنا إلى منطقتنا الأصلية "الكربة" وهنا أتممت دراستى الابتدائية، ثم انتقلنا إلى مدينة بورتسودان لظروف الدراسة والمعيشة فإخوتى بعضهم يعمل وبعضهم يدرس فى المدارس فكان لا بد من الانتقال إلى مدينة تتوافر فيها مقومات هذه الأمور. بدأت فى بورتسودان مرحلة جديدة من حياتى بين صحب المدينة وأجوائها التى [صفحة ١٢] تختلف تماما عن القرية. درست المتوسطة والثانوية ولم يكن لى هم فى هذه الفترة سوى إنهاء الدراسة الجامعية والتخرج والانطلاق فى الحياة حتى أستطيع مساعدة إخوتى فى إعالة الأسرة. مضت السنوات سريعا وأصبحت على أعتاب التخرج من الثانوية. امتحنت للشهادة فأحرزت نتيجة توهلنى لدخول جامعة القاهرة بالخرطوم التى أصبحت فيما بعد جامعة النيلين. واخترت كلية الحقوق. كان اهتمامى الاجتماعى يفوق اهتمامى الأكاديمى ووجدت نفسى فى هذا الجانب حيث تعرفت على الكثيرين واستفدت من التجارب. بعد ذلك أصبحت رئيسا للاتحاد العام للطلاب السودانيين بالولاية الشمالية وكنت سعيدا بذلك لعلى أخدم الطلاب وأقدم شيئا يكون ذخرا لى فى آخرتى خصوصا وأن أغلب الناس باتوا يعيشون فى غفلة والساعة تقترب ولا ندرى متى يدركن الموت حينها لن تنفعنا تقوى آباءنا إلا بمقدار ما استفدنا مما قدموه لنا من نصح وإرشاد وتربية قويمه. استقر بى المقام فى العاصمة "الخرطوم" لأبدأ الدراسة الجامعية... وفى أحد أحيائها حيث اخترت أن أسكن مع أقربائى كان يسكن أحد أبناء عمومتى وحيدا يكافح فى الحياة بين الدراسة والعمل.. كان متدينا يعيش حياة سعيدة رغم أنه لا يملك شيئا من الوسائل المادية للسعادة وربما يختصر طعامه فى اليوم بوجبة واحدة. كنا نزوره باستمرار - لإعجابنا الكثير به وبخلقه وزهده - ونجلس معه ونحاوره كثير من قضايا

الدين والموت والآخرة، كان ينبوعا من العلم، وحديثه معنا كان يخلق فينا روحا إيمانية ودفعه معنوية مضاعفة وذلك لمواجهة الحياة والزهد في الدنيا... كنا نعجب من تدينه الذي ينبع من إخلاص قلما تجده عند أحد خصوصا في هذا الزمن الذي غلبت عليه المادية وأصبح الدين لعقا على السنة الناس يحوطونه ما درت [صفحة ١٣] معاشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون.. إحساسنا ونحن نتحدث إليه أننا نقف مع أحد أولئك الذين جاهدوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بدر وأحد وحين... تخرج الكلمة من قلبه فنشعر بها في أعماق وجداننا، كان كثير الصوم.. دائم العبادة لله تعالى.. أحيانا نبيت معه ليالي كاملة فتراه بالليل قائما قانتا يدعو الله ويتلو كتابه وفي الصباح يدعو الله بكلمات لم نسمع بها من قبل، كلمات يناجى بها ربنا عز وجل هي بلا شك ليست لبشر عادي، لأبد أنها من قول الرسول "صلى الله عليه وآله وسلم" ولكن عجا لم نسمع بها من قبل، ولم نقرأها ضمن مناهجنا الدراسية ولا في كتبنا الإسلامية... فضطر إلى سؤاله ما هذا الذي تقرأه؟! فيجبنا بأنه دعاء الصباح لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فنجم مبهوتين. كثيرا ما كان يثير الحديث عن أهمية التدين والدين والبحث عن سبل النجاة قبل أن يأتي الأجل المحتوم وهذا الحديث كان يثير فينا إحساسا بالمسؤولية يؤرقنا فكنا نتحاشى فتح الحوار معه من الأساس. إلى أن جاء يوم ابتدأنا معه حوارا صريحا - بعد أن لاحظنا لنا في الأفق أشياء استغربناها - حول هذا الدين الذي يتعبد به إلى الله تعالى، وأول معلومة ثبتت لدينا أنه جعفرى إمامى اثنا عشرى "شيعى"! وانطلقنا معه في حوارات قوية باعتبارنا متمسكين بمذهب أهل السنة والجماعة أولا أقل (ذلك ما عليه آباؤنا ونحن على آثارهم سائرون) وكان النقاش يمتد لساعات طويلة وكانت حجته قوية بينة مدعمة بالأدلة والبراهين العقلية والنقلية، ولم يعتمد في طول حوار معنا على كتاب أو مصدر شيعى مما يعملون به بل كان يرشدنا إلى مصادر أهل السنة والجماعة لنجد صدق ادعائه، ورغم أن حديثه وأدلته وبعض الكتب التي قرأناها كانت تحدث فينا هزة داخلية إلا أننا كنا نكابرو ولا نظهر له من ذلك شيئا... وعندما نجتمع بعيدا عنه كنا نأسف لحاله ونصفه بأنه مسكين - رغم تدينه المخلص - بدأ [صفحة ١٤] أول خطواته نحو هاوية الجنون لكونه شيعى... إلى أنه أثبت لنا بعد حوار دام سنتين تقريبا أننا كنا من المجانين الغافلين وأقام علينا الدليل والحجة بصحة ما هو عليه، فما كان منا في النهاية إلا التسليم بعد البحث والتنقيب وانكشاف الحقائق. (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (سورة النساء: آية / ٦٥). [صفحة ١٧]

لماذا هذا الكتاب

ذهبت في يوم من الأيام إلى أحد أصدقائي لزيارته فأخذنا الحديث إلى حيث الشيعة والتشيع، فتجاذبنا أطراف الحديث حول هذا الموضوع... وفي أثناء تداولنا للموضوع دخل علينا شاب في مقتبل العمر... ألقى علينا تحية الإسلام ثم جلس وبدأ يستمع ونحن نواصل الحوار، انتبهت إليه وقد بدت عليه علامات الحيرة، ثم تدخل في النقاش بقوله: - يبدو أن بعض الفرق الضالة أثرت عليك يا أخى! وأخذ يتفنن في المهنة التي يجيدها وأمثاله من توزيع أصناف الكفر والضلال والزندقه على كل الطوائف الإسلامية عدا الوهابية، كنت منذ دخوله قد علمت أنه وهابى وذلك من ثوبه الذى كاد أن يصل إلى ركبته من القصر... قبل أن يتم كلامه ارتفع أذان المغرب توقفنا عن النقاش حتى نصلى ثم نعود بعد الصلاة. بعد الصلاة بادرني قائلا: - من أى الفرق أنت؟! يبدو أنك من جماعة الشيعة! قلت: تهمة لا- أنكرها وشرف لا أدعيه. فما كان منه إلا أن أرعد وأزبد وثار تارثا ثارته. قلت له - وقد تجمع بعض أقارب صديقى حولنا - إذا كان لديك إشكال تفضل بطرحه بأدب ولنجعل مناظرة مصغرة أو حوارا - وهو سلاحهم الذى يهددون به الآخرين اغترارا منهم بقوة مقدرتهم على الاحتجاج - وافق المغرور، فقلت له: - من أين نبدأ؟ ما رأيك أن نبدأ بالتوحيد الذى تتمشdqون به وبسبب فهمكم الخاطى له تضعون كل الناس فى جبهة المشركين؟ فوافق أيضا وبدأ الحوار والجميع يستمع. قلت: - ما تقولون فى الله خالق الكون وصفاته. قال: - نحن نقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا تجوز عبادة غيره. قلت: - وهل يختلف اثنان من المسلمين فى ذلك؟. قال: - الجميع يقول بذلك ولكن تطبيقهم خلاف قولهم إذ أنهم فى الواقع [صفحة ١٨] مشركون

لأنهم يتوسلون بالأموات ويخضعون لغير الله ويشركون به في طلب الحاجات، والخضوع لغير الله وغيرها من الأشياء التي ذكرتها تعنى عبادة غيره تعالى. قلت: حسنا طالما الجميع يقول بأن الله واحد أحد فرد صمد ولا يجوز عبادة غيره بأى حال من الأحوال فهذا جيد ويخرج الجميع من دائرة الشرك، إلا- إذا ثبت لدينا بالدليل القاطع أنهم يعبدون غير الله أو يشركون بعبادته أحدا حينها يكونون مشركين. أما ما يفعلونه من أفعال مثل التوسل وتعظيم الأولياء واحترامهم فهذا ليس من الشرك فى شئ، لأن العبادة تعنى الخضوع والتذلل لمن نعتقد أنه إله مستقل فى فعله لا يحتاج إلى غيره، أما مجرد الخضوع والتذلل والاحترام فلا يعتبر عبادة وقد أمرنا به القرآن كالتذلل للوالدين والمؤمنين، بل إن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، بناء على ذلك لا يكون احترام الأولياء وزياره قبورهم والتوسل بهم وتعظيمهم شركا بالله لأنهم لا يرون أن هؤلاء آلهة مستقلون عن الله، بل هم عباد أكرمهم الله بفضله، فعضاؤهم من الله وليس لهم قدرة ذاتية مستقلة. قال: - ولماذا يسألون الله مباشرة؟ هل هناك مانع وهو القائل (أدعوني أستجب لكم)؟ (سورة غافر آية ٦٠). قلت: - أيضا قال تعالى (وابتغوا إليه الوسيلة) [١] ثم إنك عندما تمرض لماذا تذهب إلى الدكتور؟ ألم يقل الله تعالى فى كتابه (وإذا مرضت فهو يشفين) [٢] أليس من أسمائه الشافى؟. قال: - هذه ضرورة فى الحياة. قلت: - أيضا تلك سنة وسبب به بتبغى الحاجات.... والتفت إلى الحاضرين وقلت: - هل تجدون فى كلامى هذا خطأ، فأقروا بما قلت وزاد أحدهم وكان [صفحة ١٩] صوفيا: - هذه الأشياء موجودة من زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسار عليها الصحابة والتابعون وكل المسلمين إلى أن جاء ابن تيمية وتلميذه محمد بن عبد الوهاب بيدعهم الجديدة هذه. قال الوهابى: - إنكم تتحدثون بلا علم، والوقت ضيق الآن فلنأخذ من الموضوع شيئا نتناقش حوله وفى وقت آخر أكون مستعدا لتحاو أكثر من ذلك. قلت: - عندى سؤال أخير حول التوحيد ماذا تقولون فى صفات الله؟ قال: - نحن لا نقول إنما نصفه بما وصف به نفسه فى القرآن. قلت: - وبماذا وصف نفسه؟ هل قال بأنه جسم يتحرك أو أن له يدا وساقا وعينان؟. قال: - نحن نقول بما جاء فى القرآن لقد قال تعالى: (يد الله فوق أيديهم) وكثير من الآيات الأخرى التى تصف الله لنا فنقول إن لله يدا بلا كيف. قلت: - إن قولك هذا يستلزم التجسيم والله ليس بجسم وهو ليس كمخلوقاته، ثم ما هو الفرق بينكم وبين مشركى مكة أولئك نحتوا أصنامهم بأيديهم وعبدوها وأنتم نحتم أصناما بعقولكم وظلت فى أذهانكم تعبدونا لقد جعلتم لله يدا وساقا وعينين ومساحة يتحرك فيها (ما لكم لا ترجون لله وقارا) [٣] وبكلمة إن الآيات التى ذكرتها مجازية وترمز لمعان أخرى. قال: - نحن لا نؤمن بالمجازات والتأويلات فى القرآن. قلت: - ما رأيك فى من يكون فى الدنيا أعمى هل يبعث كذلك أعمى؟ قال: - لا!. قلت: - كيف وقد قال تعالى (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة [صفحة ٢٠] أعمى) [٤] وأنتم تقولون لا- مجاز فى القرآن. ثم إنه بناء على كلامك إن يد الله ستهلك وساقه وكل شئ مما زعمتموه - والعياذ بالله - عدا وجهه ألم يقل البارئ جل وعلا (كل شئ هالك إلا وجهه) [٥] و (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) [٦]. قال: - هذه الأشياء لا ربط بينها وبين ما نقوله. قلت: - كلام الله وحدة واحدة لا تتجزأ، وإذا استدللتم به على صحة قولكم، يحق لى أن أنطلق منه لتنفيذ هذا القول، وأنتم تستدلون على مجئ الله مع الملائكة صفا يوم القيامة كما فهمتم من القرآن. قال: - ذلك ما قاله الله تعالى فى القرآن. قلت: - المشكلة تكمن فى فهمك للقرآن، إن فى القرآن آيات محكمات وأخر متشابهات فلا تتبع المتشابهات فترى، وإلا أين كان الله حتى يأتى؟ قال: - هذه أمور لا- يجب أن تسأل عنها. قلت: - دعك من هذا ألا تقولون أن الله ينزل فى الثلث الأخير من الليل ليستجيب الدعاء. قال: - نعم ذلك ما جاءنا عبر الصحابة والتابعين من أحاديث. قلت: - إذا أين هو الله الآن؟! قال: فوق السماوات. قلت: وكيف يعلم بنا ونحن فى الأرض. قال: بعلمه. [صفحة ٢١] قلت: - إذا الذات الإلهية شئ وعلمه شئ آخر. قال: - لا أفهم ماذا تقصد! قلت إنك قلت إن الله فى السماء وبعلمه يعلم بنا ونحن فى الأرض، إذا الله شئ وعلمه شئ آخر. سكت متحيرا.. واصلت حديثى: - أو تدرى ماذا يعنى ذلك إنه يعنى الشرك الذى تصفون به الآخرين، لأن الفصل بين الذات الإلهية والعلم واحد من اثنين إما أن العلم صفة حادثه فأصبح الله عالما بعد أن كان جاهلا وإما أنها صفة قديمة وهى ليست الذات كما تدعون فيعنى الشرك لأنكم جعلتم مع الله قديما، أو يأخذنا قولكم هذا إلى أن الله مركب، والتركيب علامة النقص والله غنى كامل سبحانه وتعالى عما يصفه الجاهلون.

عندما وصلت إلى هذا الموضوع من الكلام قال أحد الحاضرين: - إذا كانوا يقولون بذلك فالله ورسوله منهم براء، ثم التفت إلى قائلاً: - ما تقول أنت حول هذا الموضوع ومن أين لك بذلك. بينت لهم أن ما أقوله هو كلام أهل البيت (ع) وهو كلام واضح تقبله الفطرة ولا يرفضه صاحب العقل السليم ويؤكد عليه القرآن، وأتيتهم ببعض خطب الأئمة حول التوحيد منها خطبة الإمام علي (ع) يقول: " أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكما الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدّه ومن قال " فيم " فقد ضمنه ومن قال " علام " فقد أخلى منه [... صفحة ٢٢] ثم شرحت لهم مقصود الخطبة. قال بعض الحاضرين: والله إنه كلام بليغ سلس ومحكم. ثم اتفقت كلمتهم حول هذا الشاب المسكين أنه مخطئ في اعتقاده ويجب عليه مراجعة حساباته حتى لا يذهب إلى نار جهنم. ثم دار النقاش حول الرسالة والرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي يدعون أنهم أولى الناس به وقد ثبت لى أنهم أبعد ما يكون عن نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن معرفته فكيف يكونون أولى الناس به؟ وبالحوار انقطعت حجته وأصبح محل تهكم الآخرين، وقبل أن نختم الحوار سألتى محاولاً استفزازي: شيخنا ما رأيكم في الصحابة الذين نعتبرهم نحن من أولياء الله الصالحين؟ فقلت له: يا شيخ... أول الدين معرفته، وأنت لم تعرف الله فكيف تعرف أولياءه؟! وتواعدنا لمواصلة الحوار يوماً آخر، وفي ذلك اليوم جاء بوجه آخر ويبدو أنه أخذ جرعة قوية من مشايخه - وابتدأ هذه المرة بالشم والسب أمام جمع من الحاضرين، وطالبهم بعدم الجلوس معي، ولا أبلغ إذا قلت أنه ظل ما يقارب الساعتين يسب ويشتم ويصرخ ويلوح بيده مهدداً ومتوعداً بقتلى جهادا في سبيل الله، ولا أدري من أين تعلم الجهاد وهو عملياً محرم عندهم خصوصاً ضد الطواغيت، ولعله لم يكن ملتفتاً إلى أن دم الحسين (ع) ما زال يغلي في عروق الشيعة... مع ذلك - ويعلم الله - فإنني لم أرد عليه لأنني على بصيرة من ديني وتعلمت من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف أنه صبر على أذى كفار قريش، وكيف أمروا صبيانهم بملاحقته وإيذائه وطلبوا من الناس ألا يستمعوا إليه وهكذا التاريخ يعيد نفسه. لأجل ذلك عزيزي القارئ أقدم كتابي هذا إنه الحق يصرخ لنصرتة، لقد رأيت في عيون الذين حضروا حوارى هذا التلهف لمعرفة الحقيقة، وما زلت أراها في عيون كل الأحرار الذين يدفعون ثمن التضليل الإعلامي وتزييف الحقائق. وعندما يشعر الإنسان قبل ذلك بلذة الانتصار على النفس الأمارة بالسوء ويبصر نور الحق شعلة براءة أمام ناظره... يتمنى أن يشاركه الآخرون هذا النور فيبين [صفحة ٢٣] لهم طريق ذلك... وهذا الكتاب ما هو إلا - إثارة لدقائق العقول وتحفيز الآخرين للبحث عن الحقيقة التي كادت أن تضيع بين مطرقة اقتفاء آثار الآباء، والأجداد وسندان سياسة التجهيل التي مارسها العلماء في حق الأبرياء مثل هذا الشاب الذي أجريت معه الحوار، إن هنالك الكثير ما يزال على فطرته يريد الحق ولكن يلتبس عليه الأمر فيتمسك بما اعتقده من باطل وأصبح جزء من كيانه يدافع عنه بتعصب مانعا الحقيقة أن تتسرب إلى عقله. لقد من الله على بالهداية بفضله وأدخلني برحمته إلى حيث نور الحق، وشكراً لهذه النعمة يجب على أن أبلغ للناس ما توصلت إليه. لذلك أسطر هذه المباحث وأكتب هذا الكتاب إنه شعلة حق أخذتها من فاطمة الزهراء (ع) وأقدمها لكل طالب حق، ولكل باحث عن الحقيقة. ومن الأشياء التي ملأتني حماساً أكثر للكتابة ما أراه وأسمع به يومياً من هجوم شرس يشنه أعداء الإسلام على الأمة، ومحاولاتهم المستمرة لتشويه صورة الدين الإسلامي النقية البيضاء التي أنزلت من قبل الله تعالى للبشرية وذلك بإثارة الفتن بين الطوائف الإسلامية ودعم الطفيليات الشيطانية التي غرست في جسد الأمة على حين غفلة، فكانت وبالا عليها. وسترى عزيزي القارئ ذلك واضحاً إذا تعرفت على سر الافتراءات التي يروجونها ضد أنصار الحق (الشيعة). وحتى تضيع هوية المسلمين كما يريد أعداؤهم كان لا بد من وجود بعض أدعياء الدين في أوساطنا، يتحدثون به وهم أبعد الناس عنه، ويحملون المعاول لهدم الأمة من الداخل ومن أبرز هؤلاء ما يسمون بالوهابية " قرن الشيطان الذي خرج من نجد كما تقول الأحاديث الشريفة " بثقافتهم التي تقوم على تكفير الجميع إلا - أذياهم، والمتتبع لسياستهم في تعاطيها مع واقع الأمة يدرك أنها ما كانت إلا لضرب الإسلام وتجريده من روحه وخصوصياته، لقد رأيناهم في

السودان وهم يحرمون العمل السياسي في فترة زمنية معينة، ويلخصون كل شريعة السماء في حدود لا تتجاوز إطالة [صفحة ٢٤] اللحية واللبس القصير... وما أشبهه، مع وضع كل أعمال المسلمين في قائمة الشرك كان هذا هو مشروعهم الحضاري للأمم... ولكن عندما رفعت الشعارات الإسلامية كمنهج للحكم، وأصبحت هنالك جماعة إسلامية تتبنى العمل السياسي كضرورة دينية ملحة التفتنا، فإذا بنا نرى المنابر السياسية المعارضة تنصب في مساجد الوهابية بالسودان والعمل الذي كان حراما أصبح واجبا، بينما كنا في فترة سابقة نرى حانات الخمر أكثر من أفران الخبز دون أن تحرك الوهابية ساكننا، ولكن قوى الاستكبار تعرف كيف تحرك خيوطها التي جعلتها متشابكة داخل الأمة. ونراهم اليوم تركوا كل شيء وصاروا يلفقون التهم والافتراءات على شيعه أهل البيت (ع) ويسخرون كل إمكانياتهم ضد الشيعة... يكذبون عليهم... يؤولون كلامهم يخفون حقيقتهم، ولا- أدرى أين هم من القرآن الحكيم الذي نراهم يلققون به دائما وهم أبعد الناس عنه لأنهم لم يتدبروا آياته. كما لم يسعوا إلى إنزال الفكر القرآني إلى أرض الواقع فما هو القرآن يصدق (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين). ويقول تعالى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).. فأين هم من هذا الأدب الرفيع، ولا نجد لهم هما وهم يمارسون الدعوة سوى التكفير والتشهير والكذب والافتراء، والحديث حول الوهابية يطول ولنا معهم وقفه في مجال آخر إن شاء الله. لهذه الأسباب وغيرها ارتأيت أن أكتب هذا الكتاب لأساهم في دفع الشبهات التي علق في أذهان البعض ضد التشيع باعتباره الإسلام الصافي الذي به فقط تكون النجاة أمام الله سبحانه وتعالى، وهو بحث للجميع لم أبحث فيه عن التكلف وتركيب المصطلحات التي يصعب على فئة من الناس فهمها وليس القصد منه استعراض العضلات بقدر ما هو مشعل نور لمن أراد الاستبصار والوصول إلى الحقيقة وإخراج العقل من سجن الأوهام إلى حيث حلاوة الإيمان ولذته. [صفحة ٢٧]

البحث في التاريخ ضرورة

البحث في التاريخ ضرورة

إشارة

ونحن ندخل في خضم هذا البحث لا بد من سير أغوار التاريخ والتعرف على مجريات الحوادث فيه... لكن هنالك بعض الفئات التي تعتقد أنها بلغت مرحلة من التقوى والورع تثير شبهة تبلورها في شكل أسئلة تبرر التقاعس في البحث عن الحقيقة! وهي... لماذا نبحث في شيء مضى وما هي الفائدة من إثارة مواضيع من زمان غابر؟ وأين هي الخلافة التي اختلف فيها على (ع) مع أبي بكر؟! وأسئلة أخرى تصب في هذا الاتجاه توحى بأحد أمرين إما انحراف فكري عند صاحبها، أو غبار وجهل يلفه.. وحتى تنقش حجب الشبهات عن البعض سأحدث في محورين: الأول التاريخ في القرآن، والثاني تأثير التاريخ على حاضرنا ومستقبلنا كأمة إسلامية الواجب عليها بناء حضارة تقارع الحضارة المادية المهيمنة ثم أعقب بنماذج من انحرافات الأمم السابقة في القرآن الحكيم.

التاريخ في القرآن

المتأمل في القرآن الحكيم يجد أنه كثيرا ما يتحدث عن قصص الماضين... وبلا شك هذا ليس لغوا زائدا ولا هو كما يدعى البعض لتسليية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط، بل هو بيان لثبات السنن الإلهية فيما يخص الصراع بين الحق والباطل، ولو كانت هذه القصص خاصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقط لما كان منها فائدة تذكر بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى. والله تعالى يقول (نحن نقص عليك أحسن القصص) [٧] ويقول (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق، وقد آتيناك من لدنا ذكرا) [٨] ويقول (فانقص [صفحة ٢٨] القصص لعلهم يتفكرون) [٩] ويقول عز وجل (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) [١٠].... وغيرها من

الآيات الواضحة التي تلت انتباهنا للتفكير والتدبر في التاريخ، وهذه النتيجة لا تحتاج إلى تفكير بل هي من البديهيات المسلمة ولكن البعض يرفضها بحجة أنها إثارة للفتن وكأنما القرآن هو المثير للفتنة (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) [١١]. وإننى على يقين بأنه لو كان هنالك كتاب منزل من السماء بعد القرآن لقص علينا ما جرى بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على أهل بيته من ظلم واضطهاد وتنحية عن مراتبهم التي رتبهم فيها الله عز وجل، ولكن شاء الله بحكمته وإرادته أن يكون محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الأنبياء والمرسلين والقرآن هو الدستور الحاكم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وبما أن الأمة تفرقت شيئا وطوائف وجب البحث في قضايا التاريخ عن جذر هذه الانحرافات الموجودة في الأمة، وفي نهاية هذا الفصل سنذكر أمثلة من الانحرافات التي حدثت في الأمم السابقة والتي يمكن أن نجد لها مصداقا في واقع الأمة الإسلامية.

التاريخ ضرورة للحاضر

تفصل بيننا وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حقبة زمنية طويلة نحتاج فيها للتاريخ شئنا أم أينا فهو ضروري لفهم شريعة السماء، وكل ما نتعبد به وصل إلينا عبر التاريخ، القرآن والسنة والحديث والسيرة والفقهاء وغيرها فكيف يتسنى لنا طي هذه المسافة الزمنية التي تجاوزت الأربعة عشرة قرنا إذا لم نبث التاريخ... بلا شك إن العقلاء لا يقرون إهمال التاريخ وطيه وإغفال العبر والدروس التي يمكن استخلاصها منه. [صفحة ٢٩] ونحن أمه تهى نفسها للانطلاق فلا بد لنا من النظر إلى التاريخ بعقل مستبصر ببصائر الوحي... لا نقبله بعلاته على أساس أنه مقدس فنقدسه بأجمعه تقديسا أعمى ولا نرفضه كلياً، لأن تقديس التاريخ يقودنا إلى تكريس سلبات السابقين لأننا نقدسهم فنتأسى بهم كما فعلت السلفية وهي نظرية لكنها في الواقع تصبح منهجا للعمل ينعكس على سلوكنا. كيف يمكننا أن نقدس معاوية مع تقديسنا لعلي (ع) وهل يعقل أن نجعل الحسين بن علي ويزيد بن معاوية في كفة واحدة؟ إن التقديس الأعمى للتاريخ يجعلنا لا نفرق بين الظالم والمظلوم، بين القاتل والمقتول ولا بين الطاغية والمجاهد. وبما أننا عرضة للخطأ ونحن نسعى لحمل أمانة السماء يجب علينا أن نتلافى المزالق التي وقع فيها السالفون، ولا يمكن لنا أن نتلافها إلا بتشخيصها وهذا يتطلب وضعها تحت مجهر البحث والتنقيب... ولأن تقديسنا ليزيد يعني إعطاءنا الشرعية له وبالتالي لكل طاغية في كل زمان، لا بد لنا من رفض يزيد ليس لأنه ابن معاوية إنما لانحرافه عن الجادة فوجب علينا أن نفترق عنه ونترع قناع العظمة الذي ألبسه له من قدسه. كما لا يمكننا إلغاء كل التاريخ أو الانتقاء منه بأهوائنا وشهواتنا ورغباتنا لأننا بإلغائه نلغي سنن القرآن والسنة بل كل الإسلام. إذا عزيزي القارئ يجب علينا أن نتبصر أحداث ونقف على المنعطفات التي مرت عليها الأمة وأن نحدد من يصلح لنا قدوة من غيره حتى نستفيد لحاضرنا فنتقدم لمستقبل مشرق، وبلا شك أمه لا تفرق بين علي (ع) ومعاوية ولا بين الحسين (ع) ويزيد أمه لن نتقدم بل هذا أحد أهم الأسباب لتخلفنا الراهن. وفيما أنا بصدد لا استغناء عن التاريخ الذي له المدخلة الأولى في فهم الانحراف الذي حدث في الأمة فتكتبت الطريق وبعدت عن الصواب... أما أولئك [صفحة ٣٠] الذين ينادون بعدم البحث في التاريخ بحجة إثارة الفتن وعدم جدوائية ذلك يخافون من انكشاف الواقع وفضح مأسى الأمة التي اختارتها بكامل إرادتها وهي تتعد عن نهج الحق. ولا يهمنا ونحن نبث عن الحقيقة في صفحات التاريخ أن تتساقط الشخصيات ويتعري البعض من هالته القدسية المصطنعة حوله، لأنه لا ترجيح للشخصيات في ميزان الحق إلا لمن أخلص له والترم به وحجتى إن شاء الله مما حفظه لنا التاريخ.

نماذج من انحرافات الأمم السابقة في القرآن الحكيم

إشارة

ذكر القرآن الكريم مرارا وتكرارا قصص الأنبياء والرسل السابقين لعلم الله تعالى بما سيجرى في هذه الأمة كما جرى في الأمم السالفة

وأكد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك بحديثه الصحيح " لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لا تبعتموهم. قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن. " ! وعندما تتجول عزيزي القارئ في ربوع الآيات الكريمة وهي تقص عليك قصص السالفين ستجدها تتحدث في إطارين رئيسيين: الأطار الأول: - تثبيت أن سنن الصرع بين الحق والباطل مستمرة ما دامت السماوات والأرض. ومما لا يخفى على الجميع خصوصا أولئك الذين استناروا ببصائر الوحي من القرآن الحكيم أن هنالك حقا وباطلا فلا يوجد حق نسبي ولا باطل نسبي.. إما حق أو باطل وما بينهما مساحة للباطل (فماذا بعد الحق إلا الضلال فأني تصرفون) [١٢] خصوصا وأن الصراعات التي تدور تكون بعد تبين الحق، وكما سنرى فإن القرآن بدقته وبلاغته يبين لنا هذه الحقائق. وإليك بعض الآيات الواردة في [صفحة ٣١] هذا الشأن: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس، ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) [١٣]. تتحدث الآية الكريمة عن عدة أمور:

عن الرسل والرسالات عموما

إن كلمة رسول ورسل عندما تأتي في سياق الآيات المباركة غالبا ما يدور حديثها حول أمر يرتبط بالرسالة، والاقتيال الذي يحدث بعد الرسل بين قومهم إنما هو انقلاب على الرسالة، وظلال كلمة الرسول في مثل هذه الآية توحى بأن ظاهر الاختلاف ليس حول شخص الرسول إنما في رسالته يقول تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) [١٤] وبما أن رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله) يدخل ضمن دائرة الرسل فإن الآية التي يدور الحديث حولها تشمل سيدنا محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم). خاصة وأن الآية السابقة تؤكد على صفة الرسالية وأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) مرسل كما كان غيره مرسلين (وإنك لمن المرسلين) [١٥] ويقول تعالى حاكيا عن لسان حبيبه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (قل ما كنت بدعا من الرسل [١٦] وبتقريب أكثر فإن السنن التي كانت في السابقين لن تتوقف عند أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). [صفحة ٣٢]

وعن التفضيل بين الرسل

حتى لا يدعى مدع بأن الأفضلية لها دور في حماية الناس من الاختلاف بعد أفضل الأنبياء والمرسلين، وكثيرا ما أسمع من البعض أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم الأنبياء وأفضلهم فكيف تختلف أمته من بعده؟. أقول: صحيح أن نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أفضل الأنبياء وأكملهم ولكن ذلك لا يجعل أمته خارج دائرة السنن الإلهية وهذا ما أكد عليه القرآن يقول تعالى (سنه من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا ولا تجد لسنننا تحويلا) [١٧] ويقول (فهل ينظرون إلا سنه الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) [١٨]. إن حدوث الاختلاف من بعده لا يقدر في أفضليته، إنه كغيره من الرسل الذين جاؤوا لأقوامهم حتى يخرجوهم من الظلمات إلى النور ولكن كل قوم كذبوا رسولهم وانقلبوا على رسالتهم من بعده وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس بدعا من الرسل كما أوضحنا بل إن نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم)، أودى أكثر من غيره كما جاء عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلماذا لا يكون الاختلاف من بعده أكبر وأخطر من الاختلاف الذي كان في أقوام الرسل السابقين. يقول ابن كثير (وقال هاهنا تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) يعنى موسى (ع) ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) [١٩] وبناء على قوله هذا يكون الاختلاف بعد الرسل يشمل أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). من خلال الآية الكريمة نرى أن الاختلاف دائما ما يكون بعد أن تأتيم البينات [صفحة ٣٣] ويعرفوا الحق ويتبينوا الأمر بواسطة الرسول، ومعنى ذلك أنه لا يجدى التمسك بشماعة التبشير المعروفة باسم " الاجتهاد. " والواقع العملي في أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يرينا أن الاختلاف وقع فيها كالأمة السابقة وبعد أن بين

لهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) معالم الصراط المستقيم ونصحهم وهو القائل " ما من شئ يقربكم إلى الجنة ويبعدكم عن النار إلا وأمرتكم به. " يقول سيد قطب في تفسير الآية (ولم تغن وحدة جماعة الرسل في طبيعتهم ووحدة الرسالة التي جاؤوا بها كلهم لم تغن هذه الوحدة عن اختلاف أتباع الرسل حتى ليقتتلون من خلاف) [٢٠].

و ان نتيجة هذا الاختلاف

أن فريقا تمسك بالحق فآمن وآخر حاد عنه فكفر، وذلك يعنى أنهم ليسوا في مرتبة واحدة أو أنهم جميعا على الحق. لكن لماذا يكون الاختلاف بعد البيئات؟ هذا ما تكفلت بالإجابة عليه مجموعة من الآيات التي تكررت في القرآن الكريم ليؤكد الله سبحانه وتعالى استمرار السنن في الأرض وبين طبيعة الإنسان الظلمانية التي تنجذب دائما لرغباته وأهوائه وجهله.. يقول تعالى: (وما اختلف فيه إلا-الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البيئات بغيا بينهم) [٢١]، (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) [٢٢]، (وما تفرقوا إلا- من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) [٢٣]، (وآتيناهم بيئات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) [٢٤]. نجد أن الآيات القرآنية تربط دائما بين الاختلاف والبغى، و (معناه) في اللغة [صفحة ٣٤] كما جاء في لسان العرب لابن منظور: التعدى، وبغى الرجل علينا بغيا: عدل عن الحق واستطال ومعان أخرى تدل على سوء النية وهي كما لا يخفى مغايرة لمعنى الاجتهاد الذي أصبح صكا يعصم كل المنحرفين عن المسألة والمحاسبة

كما نجد في هذه الآيات

أن الاختلاف يكون بين الذين أوتوا الكتاب أى أنهم عالمون بالحق ويدركون جهته ولكنه البغى فتأمل أيها المؤمن وتدبر، تلك آيات الله (ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب) [٢٥]. الاطار الثاني: كثيرا ما يضع الفرد منا مباني يبني عليها طريقة تفكيره وتقييمه للأحداث وفي الغالب يكون نقاشنا لأى قضية من زاوية عاطفية أو بمنطق موروث مقدس لا يعطى للآخرين فرصة للحوار والنقاش، ومثال ذلك الحديث الذى يدور حول الصحابة الذين عاشوا مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبقوا حتى وفاته وامتدت أعمار بعضهم إلى أمد طويل هل يمكن وضعهم فى ميزان العدالة لتصنيفهم أم أنه لا يجوز لنا ذلك باعتبارهم عاشوا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذوا منه الدين ولا يمكن نقدهم؟! لا أريد مناقشة نظرية عدالة الصحابة عند أهل السنة والجماعة الآن إنما ذلك متروك للأبواب الآتية التى سنناقش فيها ما حدث منهم بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أما الآن فنحن بصدد أخذ بصائر من القرآن الكريم تفيدنا فى بحثنا هذا ونستدل بقصتين تفصيليتين من الأمم السابقة ذكرتا فى القرآن ثم نحاول أن نتدبر فيهما لنخرج بقاعدة كلية تعيننا فى مسيرتنا هذه. [صفحة ٣٥]

بلعم بن باعوراء مع نبيه موسى

يقول تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها لكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) [٢٦]. يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآيات " هو رجل من بنى إسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء كان يعلم الاسم الأكبر وآتاه الله آياته وهو من العلماء من أتباع موسى (ع) بعثه إلى ملك مدين يدعو إلى الله فأقطعته وأعطاه، فتبع دينه وترك دين موسى (ع)!" ويواصل ابن كثير فى سرد قصته ويقول "إن بنى عمه أتوا إلى بلعم وقالوا له إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد موسى ومن معه قال إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهب دنيابى وآخرتى فلم يزالوا به حتى

دعا عليهم " موسى وأتباعه " فسلخه الله مما كان عليه " وفي قوله تعالى (لو شئنا لرفعناه بها) يقول ابن كثير " أى لرفعناه من الدنس عن قاذورات الدنيا بالآيات التي أتيناها إياها (ولكنه أخلد إلى الأرض) أى مال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها وأقبل على لذاتها ونعيمها وغرته كما غرت غيره من (أولى البصائر والنهي [٢٧]). يظهر جليا من خلال الآيات وكلام ابن كثير حولها أن بلعم هذا بلغ درجة من الإيمان والتقوى والورع حتى أعطى آيات الله والاسم الأعظم وذلك يعنى أنه عالم كبير وكان من أتباع موسى (ع) ولكنه مال إلى أهوائه وشهوته واغتر بالدنيا فأضحى كالكلب. هذه القصة ذات الأسلوب البليغ فى السرد تعطينا بصيرة مهمة جدا نستطيع من [صفحة ٣٦] خلالها أن نبدأ التوغل فى عمق التاريخ بلا وجل، فهذا هو القرآن ينسف قاعدة العدالة المطلقة والقدسية لغير المعصوم، وهذه الآيات دلالتها واضحة على أن الإنسان مهما بلغ فى العلم والتقوى بإمكانه فى أى لحظة أن يخلد للأرض ويكفر بنعم الله تعالى وهذه نقطة مهمة إذ كثيرا ما تثار قضية عدالة الصحابة وأنهم لا يمكن أن يخونوا أمانات الله والرسول! وإذا سألتهم ما الدليل؟ قالوا: عاشوا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاهدوا معه، ولكن القرآن الحكيم الذى فيه نبأ من كان قبلنا وفصل الذى بيننا وخبر ما بعدنا بين هذا الأمر، حتى ولو فرضنا محالا أن جميع الصحابة بلغوا مرحلة من التقوى والورع فإنه يبقى هنالك إمكان بعدم التزامهم بالحق حتى آخر نفس فى حياتهم... والحال أننا لم نسمع بأن أحدهم كان يملك الاسم الأعظم!! يبقى الأصل القرآنى " إن جميع الخلق ما عدا المعصومين معرضون للزلزلة والابتلاء ومن ثم النجاح أو الفشل فيه فالانتقال من جهة الحق إلى الباطل حتى ولو بلغوا أعلى درجة من التقوى والمقياس الحقيقى هو الاستقامة فى طريق الحق والالتزام به كاملا. " بعد هذا لا أظن أن أحدا يحتاج أن يمد عنقه قائلا بعدم إمكان تخلى بعض الصحابة عن الحق فى أى لحظة من دون أن ينكر حقيقة وقاعدة قرآنية، ولكن بالإمكان السؤال عن مصداق ذلك فى أمه نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والتفصيل متروك لمحله. يقول محمد على الصابونى فى تفسير آخر هذه الآية (فاقصص القصص لعلمهم يتفكرون) أى أقصص على أمتك ما أوحينا إليك لعلمهم يتدبرون فيها ويتعظون) [٢٨] فهلا تدبرنا واتعظنا. [صفحة ٣٧]

السامرى و هارون مع بنى إسرائيل

قال الله تعالى (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى، قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا، ألا تتبعن أف عصيت أمرى، قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى، قال فما خطبك يا سامرى، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى) (طه / ٨٣ - ٩٧). قبل أن نبدأ فى شرح قصة السامرى الذى انقلب على خليفه موسى " هارون (ع) " هنالك ملاحظة هامة نلاحظها فى القرآن الكريم وهى (التركيز على قصص بنى إسرائيل) ترى لماذا هذا التركيز؟ لا بد من وجود حكمه تقتضى ذلك. فى الواقع هناك شبه كبير بين بنى إسرائيل وأمهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولعل أبرز نقاط التشابه كما سيتضح من خلال الأحداث التاريخية ما جرى لموسى و هارون (ع) من بنى إسرائيل وما جرى لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى (ع) من هذه الأمة وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى " أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى " له مغزى ودلالات عظيمة، وما أورده ابن قتيبة فى تاريخه الإمامة والسياسة يبين لنا جانبا من التشابه بين الأمتين... يقول فى معرض قصة طلب عمر من على (ع) البيعة لأبى بكر " بقى عمر ومعه قوم أمام بيت فاطمة (ع) فأخرجوا عليا فمضوا به إلى أبى بكر فقالوا له: بايع فقال: إن لم أفعل فمه؟ قالوا: إذا والله الذى لا إله إلا هو نضرب عنقك. فقال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله... إلى أن قال ابن قتيبة: فلحق على بقبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصيح ويبكى وينادى: يا بن أم إن القوم استضعفونى وكادوا أن يقتلوني [٢٩] وهذا ما قاله هارون [صفحة ٣٨] لموسى (ع). أما السامرى كما ورد فى التفاسير ومجمل الكتب التى أوردت قصص الأنبياء فإنه ربيب جبرائيل تعهده منذ الصغر حينما كان فرعون يقتل كل ذكر يولد فى بنى إسرائيل، ويوم نزل جبرائيل (ع) حتى يأخذ موسى إلى الميقات أخذ السامرى قبضة من أثره وألقى به فى جسد العجل المصنوع من

الحلى فأصبح له خوار. وما يهمننا من القصة أن السامري كان من أصحاب موسى (ع) وكما هو واضح بلغ مرتبة عظمت حتى قال (بصرت بما لم يبصروا به) وكان له من العلم ما لم يكن لغيره وحظى بمشاهدة جبرئيل واستطاع بكل ذلك أن يضل بني إسرائيل الذين اتبعوه باعتبار أنه ذو مكانة... فسولت له نفسه الأمانة بالسوء فكان عمله الباطل الذي أضل به القوم... السؤال الآن، هل يمكن أن نجد في تاريخ الأمة الإسلامية وواقعها بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مصداقا لمثل هذا الانحراف؟ مع علمنا التام بأنه لا يوجد أحد من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحلم برؤية جبرئيل على حقيقته ومعرفته وامتلاك بعض الأسرار الإلهية المكنونة في أثره... صحيح أن جبرئيل كان يأتي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في صورة رجل يسأله عن أمور الدين ولكن ما كان الصحابة يعرفونه إلا بعد مغادرته وبيان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فأين كان السامري وأين هم الصحابة؟. وعند البحث في جذور انحراف الأمة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سترى مدى تطابق الأحداث التاريخية مع القصص القرآنية خصوصا قصة بني إسرائيل. وفي ختام هذا الفصل (أعرض عليك عزيزي القارئ سببين رئيسيين يذكركهما القرآن لأنهما يمنعان الإنسان من الاهتداء إلى الحق، أو الالتزام به بعد معرفته، وهذان السببان يعترضان أي إنسان في أي مكان وأي زمان. [صفحة ٣٩] أولا: تقديس ما توارثناه عن آباءنا وأجدادنا وهي مشكلة كبيرة ذمها القرآن باعتبارها عائقا وحائطا صد منيع يجب تجاوزه خصوصا في مسألة الاعتقاد والتي نسأل عنها باعتبارها تكليفا عينيا بعيدا عن الانتماءات الأسرية والاجتماعية وغيرها... يقول تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) [٣٠]. (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون، قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فاتتقنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) [٣١]. (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) [٣٢]. وغيرها من الآيات التي تتحدث حول هذا الموضوع. ثانيا: الاستكبار بعد معرفة الصواب وهذه المشكلة كانت السبب الرئيسي في عدم اتباع الأمم لرسولهم وهي التي أخرجت إبليس من رحمة الله تعالى... يقول تعالى: - (ويل لكل أفاك أثيم، يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم) [٣٣]. [صفحة ٤٠] (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) [٣٤]. (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [٣٥]. (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين) [٣٦]. هذه بعض العوائق التي تقف حائلا بيننا وبين معرفة الحق واتباعه... والبحث الآتي بين طيات هذا الكتاب يحتاج لإزاحة مثل هذه الحجب وغيرها حتى يرى الإنسان الحقيقة كرويته للشمس في واضحة النهار والله المستعان. [صفحة ٤٣]

الشيعة والتشيع

الشيعة والتشيع

مجرد كلمة شيعي تعنى لدى الكثير من الناس السب والشتم والضلال... هكذا علموهم... وهكذا فرضوا عليهم سياجا من الجهل، يقولون لا- تبحث عنهم... لا- تقرأ لهم. وعدنا إلى عهد معاوية حيث سب على (ع) على المنابر سنة، وتزداد المكافأة الملكية كلما أمعنت في لعن أبي الحسن وأهل بيته (ع)... كلا نحن لم نعد ولكن الصراع الأيديولوجي هو الذي امتد إلى يومنا هذا، ما زال على يسب، فقط تغير العنوان فأصبح الشيعة.. أما عوام الناس فدورهم فقط تلقي الأوامر " من أحبارهم، " وهم تحت مظلة السنة والجماعة وهل هنالك من يرفض أن يكون مع السنة والجماعة... ولكن أي سنة هي وأي جماعة؟ هل هي سنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أنها سنة من غير وبدل سنة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ وحتى لاتنوه تتوقف قليلا لمعرفة هذه العناوين والمسميات،

ماذا تعنى الشيعة ومن هم... وما هي السنة والجماعة وذلك في لمحة موجزة.. ١ - التشيع لغة هو المشايعة أى المتابعة والمناصرة والموالاة [٣٧] في القرآن الكريم: (وإن من شيعته لإبراهيم). واصطلاحا يراد بهم أتباع وأنصار آل البيت (ع) وهم الذين ناصروهم في كل محنتهم وسلوكوا مسلكهم ووالوهم، يقول ابن خلدون " اعلم أن الشيعة لغة هم الصاحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع على وبنيه [٣٨]. تضاربت الآراء والأقوال لدى البعض حول بداية التشيع فهناك من يرى أن الشيعة تكونوا بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وممن يذهب إلى هذا ابن [صفحة ٤٤] خلدون في تاريخه فقد قال: إن الشيعة ظهرت لما توفى الرسول وكان أهل البيت يرون أنفسهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش ولما كان جماعة من الصحابة يتشيعون لعلى ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به إلى سواه تأفقوا من ذلك... الخ [٣٩] ومنهم أيضا يعقوبى في تاريخه وهو يقول ويعد جماعة المتخلفين عن بيعة أبي بكر هم النواة الأولى للتشيع ومن أشهرهم سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود والعباس بن عبد المطلب [٤٠]. وهناك من يرى أن التشيع نشأ أيام الخليفة الثالث عثمان ومنهم من يقول أنه تكون أيام خلافة على (ع) ورأى آخر يقول بظهور التشيع بعد واقعة الطف. كل هذه الأقوال لا تثبت أمام التحقيق في كتب التاريخ والحديث والتفسير، وربما يكون أقربها إلى الصواب الرأي القائل بأن التشيع بدأ بوفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن يواجه هذا الرأي سؤال وهو كيف يمكن أن تتبلور هذه الفكرة في ظرف أقل من أسبوع؟ إلا إذا كانت موجودة بالفعل ولكن الأحداث هي التي جعلتها تأخذ مكانها في الواقع الخارجى. أما الشيعة وغيرهم من المحققين من المذاهب الأخرى فإنهم يذهبون إلى أن التشيع ولد حينما ولدت الرسالة على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنه هو الذى غرسه فى النفوس عن طريق الأحاديث التى وردت على لسانه (صلى الله عليه وآله وسلم) وكشفت عما لعلى (ع) من مكانة فى مواقع متعددة رواها إضافة إلى الشيعة ثقاة أهل السنة، ولقد وردت كلمة شيعة على لسان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإليك نماذج من النصوص التى وردت: ١ - فى الدر المنثور للسيوطى ج ٨ ص ٥٨٩. [صفحة ٤٥] روى عن ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله قال كنا عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل على (ع) فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "والذى نفسى بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة" فنزل قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية). ٢ - ابن حجر فى الصواعق المحرقة الباب (١١) الفصل الأول الآية الحادية عشر: - عن ابن عباس قال: - لما أنزل الله العالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى (ع) "هم أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين ويأتى عدوك غضابا مقمحين." ٣ - القندوزى الحنفى فى ينابيع المودة ج ٢ ص ٦١. عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "على وشيعته هم الفائزون يوم القيامة." ومن المصادر التى ذكرت هذه الرواية فى تفسير قوله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات)... الخ الآية: أ - تفسير الطبرى ج ٣ / ١٤٦. ب - روح المعانى للآلوسى ج ٣. ج - كفاية الكنجى الشافعى ص ٢٤٤ - ٢٤٦. وغيرها من المصادر. والشواهد التاريخية كثيرة على ذلك، فكل الحوادث التى شارك فيها على (ع) أو الحسن والحسين (ع) تصف أصحابهم بأنهم من شيعتهم. والشيعة الآن هم الذين يوالون أهل البيت (ع) ويأخذون منهم معالم دينهم أصولا وفروعا باعتبار أنهم حملة السنة، والامتداد الطبيعى لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبذلك يكونون هم الذين اتبعوا سنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [صفحة ٤٦] والتزموا بتمسكهم بأئمة أهل البيت (ع) كما أمرهم (صلى الله عليه وآله وسلم)، والخلاف بينهم وبين أهل السنة ليس خلافا حول المسميات إنما القضية تختص بمنهج كل منهما وأيهما يمثل رسالة السماء. أما بالنسبة لأهل السنة والجماعة فالسنة فى اللغة تعنى الطريقة والمنهاج. واصطلاحا تعنى كل ما صدر عن الرسول من قول أو فعل أو تقرير ويسمى السنة مذهبهم "أهل السنة والجماعة" ويقصدون بذلك أنهم أصحاب الطريقة المحمودة ولم يعرف هذا الاسم إلا مؤخرا حيث كان يعبر عن منهج أصحاب السقيفة فى مقابل المناوئين لهم وهم على وشيعته. وظلال اسم أهل السنة والجماعة توحى بأن الشيعة هم المخالفون للسنة الشريفة ولكن سنرى من الذى اتبع سنة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) حقا ومن الذى حرف وبدل وغير.

التشيع و الفرس

رغم أن التشيع هو عمق الإسلام وجوهره إلا أننا نجد بعض المأجورين يحاولون ربط التشيع بالفرس على نحو يحمل في طياته أنه شيء طارئ في الجسد الإسلامي اختلط بثقافة أهل فارس قبل الإسلام... وفات هؤلاء أن التشيع كان قبل أن يدخل الإسلام إلى فارس كما سبق وأن بينا أن ولادة التشيع كانت مع بزوغ فجر الرسالة المحمدية، ودخل إلى بلاد فارس من العراق ولبنان وغيرها من الدول العربية. ووجد فيها رجالات حملوا الأمانة كما كان سلمان الفارسي (رض). وحتى تعم الفائدة نذكر لإخواننا السنة.. أن أغلب علمائهم من فارس ومنهم البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه والرازى والقاضى البيضاوى وغيرهم من فطاحل أهل السنة والجماعة. والآن الكل يدعى تمسكه بسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والفيصل هو أن نضع كلا الطائفتين فى الميزان ونرى. [صفحة ٤٧]

ظلال التشيع فى السودان

بعد أن انتبهت من الغفلة وبدأ نور الحقيقة يكشف عن الواقع التفت إلى مجتمعى فى السودان الذى يتميز بالبساطة والفتية والأخلاق الدينية، فوجدت أن هنالك أشياء أخرى بدأت تظهر لى بعد استبصارى وهو أن الخلفية الثقافية التى بنى عليها الشعب السودانى نمط سلوكه وطريقة تفكيره خلفية شيعية بلا أدنى شك، لاحظت ذلك فى كل مفردة من مفردات الحياة العامة فى الشارع السودانى بل إن معظم معتقداتهم تهتف بأن للتشيع جذورا عميقة فى السودان وأذكر أن أحد الإخوة قال لى: - إن الصوفية ثمرة التشيع أو هم فرعان لأصل واحد بل الصوفية هم الشيعة فى ثوب سننى فقلت له: إذا السودان بلد شيعى انحرف به التيار. وباطلاعى على التاريخ وجدت إشارات تبين هذه الحقيقة، وأعتقد أن الدولة الفاطمية التى قامت فى مصر لها الأثر فى ذلك، إذ أن حوض النيل الذى يربط بين مصر والسودان كان من العوامل المساعدة لانتقال التشيع إلى السودان فى عهد الدولة الفاطمية وهى دولة شيعية.. وحب أهل البيت (ع) وما يرتبط بهم من عقائد بصورة مجملته من الثوابت الفكرية المشتركة بين مصر والسودان ومقامات أهل البيت (ع) فى مصر وتسيير القوافل من السودان لزيارتها شاهد على ذلك حتى قال أحد المشايخ فى السودان ويدعى محمود البرعى وله قصائد كثيرة فى مدح أهل البيت (ع) فى إحدى قصائده " مصر المؤمنة بأهل الله " ويقصد أنها مؤمنة بأهل البيت (ع). ولا أحد ينكر عمق المحبة لأهل البيت (ع) فى مصر والسودان، وأنا لا أستطيع أن أحصر كل تلك المظاهر ذات الجذور الشيعية ولكن ما وجدناه من آثار يدل على أن الشيعة انتقلوا إلى السودان يوما ما وكرسوا فى نفوس الأجيال محبة أهل البيت (ع) دون أن يعلنوا عن عمق معتقدتهم وربما يكون ذلك خوفا بعد أن تذوق الشيعة الأمرين على طول التاريخ. [صفحة ٤٨] ومما نستظهره من كتب التاريخ أن اعتماد الدولة الفاطمية فى جيشها كان على السودانين وكان الحرس الخاص لخلفائها منهم، يقول ابن الأثير فى تاريخه وهو يصف ما فعله صلاح الدين الأيووبى فى أعوان الفاطميين إن مؤتمن الخلافة - كان من السودانين - حاول أن يقضى على صلاح الدين الأيووبى قبل أن يسيطر تماما على البلاد ويهلك الحرث والنسل فعلم صلاح الدين بما دبر له فربص بمؤتمن الخلافة واسمه جوهر حتى قتله ثم يقول ابن الأثير فغضب السودان الذين بمصر لقتل مؤتمن الخلافة، فحشدوا وجمعوا فزادت عدتهم على خمسين ألفا وقصدوا حرب الأجناد. " وقع القتال " وكثر القتل فى الفريقين فأرسل صلاح الدين إلى محلته المعروفة بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم وحرّمهم فلما أتاهم الخبر بذلك ولوا منهزمين فركبهم السيف وأخذت عليهم أفواه السكك... (إلى أن يقول) فأبادهم بالسيف ولم يبق منهم إلا القليل الشريد " [٤١]. إذا لقد كان للسودانيين حظوة فى عهد الفاطميين ولم يكن ما حدث لهم إلا لأنهم تبنا مشروع الدولة الفاطمية وهو الدعوة لأهل البيت (ع) ومقاومتهم لصلاح الدين الأيووبى المناوئ للشيعة أكبر دليل على ذلك " وقد كانت الثورة ضد صلاح الدين من قبل الجند الفاطمى وأكثرهم من السودانين " [٤٢]. ويبدو لى أن لغظة صلاح الدين وتحامله على الشيعة [٤٣] دور فى اختفاء المظهر ولصلاح الدين الأيووبى الكثير من المجازر وسفك الدماء وانتهاك حرّات شيعه أهل البيت (ع) يقول الشيخ محمد

جواد مغنية في كتابه الشيعة والحاكمون ص ١٩٢ عن صلاح الدين الأيوبي أما سياسته مع الأسرة المالكة " الفاطميين " فقد كانت سياسة القمع والندالة والخسة بأبشع صورها فقد قبض على سائر من بقى من أمراء الدولة وأنزل أصحابه في دورهم في ليلة واحدة، وحبس بقايا العلويين في مصر وفرق بين الرجال والنساء حتى لا- يتناسلوا، وأعاد يوم قتل الحسين (عاشوراء) عيداً كسنة بنى أمية والحجاج. [صفحہ ٤٩] الشيعي المعلن، ولا- أشك كما ذكرت أن التوجه في السودان كان شيعياً ولكن بمرور الزمن وتوافد التجار العرب باتجاهاتهم المختلفة والخوف من سطوة الأيوبي كل ذلك كان له الأثر في تغيير الأجيال اللاحقة. إن معرفة وصله السودانيين بأهل البيت (ع) تتجلى في عدة مظاهر منها [٤٤]. الولاء الديني والسياسي إن قطاعاً كبيراً من الشعب السوداني ينتمي إلى طوائف صوفية تقود العمل السياسي والديني والتي غالباً ما يكون زعماءها ممن ينتسبون إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والارتباط العاطفي لهذا القطاع العريض بهذه الطرق على أساس أنهم ينتسبون إلى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا توجد طريقة صوفية في السودان يجهل منتسبوها أهل البيت (ع) بل ويكون لهم حبا واحتراما جما وللدلالة على ذلك نشير إلى بعض ما ورد في كتب الشريف يوسف الهندي مؤسس الطريقة الهندية كنموذج حي لما أسلفنا: - (اللهم إنما نحمدك بجميع محامدك السنية ونسألك بذاتك وصفاتك والكتب القديمة والأديان. أن تصلى وتسلم على محمد وآله وصحبه في كل طرفه عين، وعلى صالح آبائه وأزواجه وأبنائه والإخوان، وعلى إمام الأئمة على وسيدتنا فاطمة اللذين تخيرت منهما الذرية، وابنهما سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي نبي هذه الأمة الحسنان، وعلى أئمتنا على زين العابدين ومحمد باقر العلوم الدينية وجعفر الصادق وموسى الكاظم قادة الإنس والجان وعلى الرضا ومحمد الجواد الهداة الهادية المهديّة وعلى الهادي والحسن العسكري الخالص وارثي أسرار النبوة وعلوم القرآن وإمامنا المهدي صاحب البشارة الفاطمية الذي لا خير في العيش ولا في الحياة بعده لأهل الإيمان (نقلا عن المولد الكبير ص ٧٢ الشريف يوسف الهندي). ولم يكتف المؤلف [صفحہ ٥٠] بذكر أهل البيت (ع) ضمن مؤلفاته الثرية بل ضمنهم مجموعة من قصائده نذكر قصيدة جاء فيها: الحسنين والإمام والزهراء في القتام ++ زين العابدين تمام القادات الهمام الكاظم للكلام والراضى بالقسام ++ الهادي للأنام والباقر للظلام آل البيت يا غلام أصل الدين والنظام ++ في المبدأ والختام بهم نيل المرام ويقول في أخرى: - سفن النجاة للملا- بشهادة النص الأتم ++ هم النهي هم البهي هم التقى أهل الشيم هم الشفاعة في غد هم السقاية في الملم ++ هم الهداية حاضرة والنور والقصد الأعم الطيبون الطاهرون من سوء أرجاس اللمم والبيت الأخير دليل على اعتقاد الشاعر بعصمة أهل البيت (ع) عن اللمم فضلا عن غيرها من الذنوب والكبائر. وهنالك الكثير من شعراء الصوفية الذي تخصصوا في مدح آل البيت (ع) وهذا أحدهم يسمى البرعى ومعروف في السودان يقول: - هم أهل البيت الواضح سرهم ++ زهم بمحبة لتنال من برهم سيدي الحسين الثائر درهم ++ وعلى زين العابدين حبرهم جعفرنا الصادق مع موسى صدرهم ++ أستاذنا الباقر في العلم بحرهم في البر وبحرهم لله درهم ++ [صفحہ ٥١] بعض الأسماء المنتشرة في السودان إن أهل البيت (ع) اختصوا باللقاب لم تكن معروفة من قبلهم وارتبطت بهم ارتباطاً وثيقاً وتناقلها محبوبهم وأتباعهم جيلاً بعد جيل وصارت أسماء متداولة وهي المرتضى (علي) والزهراء وبتول (فاطمة) حسن وحسين زين العابدين (السجاد)، الباقر، الصادق، الكاظم رضا الهادي والمهدي وهذه الأسماء نجدها منتشرة في السودان بكثرة تلفت النظر. وربما يكون انتشار اسم المهدي نسبة لمحمد أحمد المهدي الذي قام بثورة ضد الأتراك وطردهم من السودان وكون حكومة إسلامية وذلك باعتبار أنه المهدي المنتظر، وأيا كان سبب انتشار الاسم يبقى جذر الاعتقاد بولاية أهل البيت (ع). وكل الأسماء المذكورة نجدها في السودان أكثر من الدول العربية الأخرى مما يدل على عمق محبة السودانيين لأهل بيت النبوة (ع). ٣- كما أن هنالك العديد من القبائل التي تدعى انتسابها لأهل البيت (ع) ولا يعيننا البحث عن صحة مدعاهم وإنما نورد ذلك لدلالته على صدق قولنا حول عمق معرفة ومحبة الناس لأهل البيت (ع) ومن هذه القبائل العبدلاب ويذكرون أن نسبهم ينتهي إلى الإمام محمد التقى بن علي الهادي، وقبيلة الركابية التي يرجع نسبها كما يذكرون إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم وهنالك أيضاً قبيلة الجعافرة التي تنتسب إلى الإمام جعفر الصادق (ع)... وغيرها من القبائل. ٤- الثقافة الشعبية: إذا أراد أحد السودانيين أن يعبر عن

مدى مظلوميته وبالغ الحيف الذى وقع به يقول: (أنا مظلوم ظلم الحسن والحسين) وربما لا يدرك البعض رغم ترداد هذه المقولة من الذى ظلم الحسن؟ ومن الذى ظلم الحسين؟ وكيف ظلما إنما هو يردد جزءا من الموروث الثقافى الشعبى فى السودان، ومن ناحية أخرى لا- يكاد أحد منا فى صغره لم يسمع شيئا من أبويه أو جديته عن سيف على الكرار وشجاعة حيدر الكرار وشعر المدائح السودانى يفيض بهذه المعانى. [صفحة ٥٥]

بنور فاطمة اهتديت

حوار فى بداية الطريق

كنت قلنا جدا وأنا أحاول تجنب أى حوار مع ابن عمى حول هذا المذهب الجديد الذى تجسد فى سلوكه أدبا وأخلاقا ومنطقا مما جعلنى أفكر فى أنه لا- غضاضة فى النقاش معه حول أصل الفكرة رغم قناعتى بأن ما يؤمن به لا يتجاوز أطر الخرافة، أو ربما نزوة عابرة جعلته يتبنى هذه الأفكار الغريبة. قلنى كان نابعا من تخوفى لأن أتأثر بفكرته أو ربما أجد أنها تجبرنى على الاعتراف بها وبالتالي أخالف ما عليه الناس وما وجدت عليه آبائى وسأكون شاذا فى المجتمع وربما اتهمت بأنى مارق من الدين كما أنهم. ولكنى تجاوزت كل ذلك وقررت أن أخوض معه حوارا لعلى أجد منفذا أززع من خلاله ثقة هذا الرجل بما يعتنقه خصوصا وأنتى قرأت كتبا لا بأس بها ضد الشيعة والتشيع ومنها كان المخزون الذى من خلاله أنطلق لجداله فبدأت معه الحوار. قلت له: الآن أنت تركت ما كان عليه الناس وأصبحت شيعيا فما هى الضمانات التى تمنعك من أن تغير مذهبك غدا؟ قال: الآية الكريمة تقول (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) وأنا من أنصار الدليل أينما مال أميل وقد أفرغت وسعى وتوصلت إلى أن الطريق المستقيم هو مذهب أهل البيت (ع) والدليل على صحته أن الأدلة التى يسوقها أصحابه مما اتفق عليه جميع المسلمين. قلت: لكن لماذا لم يكتشف غيرك هذه الحقيقة؟ قال: أولا: من قال لك أنه لا يوجد غيرى! وثانيا وصول غيرك للحقيقة أو عدمه ليس دليلا على صحة أو خطأ ما توصلت إليه، إن المسألة تكمن فى نفس وجدان الحقيقة والحق ومن ثم اتباعه ولا- شأن لى بغيرى لأن الله يقول (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) (سورة المائدة / ٥). [صفحة ٥٦] قلت له: لو افترضنا صحة مذهب الشيعة ذلك يعنى أن ٩٠٪ من المسلمين على خطأ لأن كل المسلمين يؤمنون بمذهب أهل السنة والجماعة. فأين هذا التشيع من عامة الناس؟ قال: الشيعة ليست بهذه القلة التى تتصورها، فهم يمثلون غالبية فى كثير من الدول، ثم إن الكثرة والقلة ليست معيارا للحق بل القرآن كثيرا ما يذم الكثرة يقول تعالى (ولكن أكثركم للحق كارهون) (سورة الزخرف: آية / ٧٨) ويقول (ولا تجد أكثرهم شاكرين) (سورة الأعراف: آية / ١٧) (وقليل من عبادى الشكور)، (سورة سبأ: آية / ١٣)، وبذلك لا تكون الكثرة دليلا على أنهم على حق. أما التشيع كمنهج سماوى فهو موجود بدليل أننى شيعى، وإذا وجه الإشكال إلى عدم انتشار التشيع فهذا يتوجه أيضا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أول دعوته وحتى وفاته إذ أن الإسلام لم يكن منتشرا ومع ذلك فهو الحق المنزل من قبل الله تعالى. قلت متعجبا: وهل تريدنى أن أسلم بأن آباءنا وأجدادنا الذين عرفناهم متدينين طريقهم غير الذى أمر به الله. ابتسم قائلا: أنا لست فى مقام بيان وتقييم أحوال الماضين فالله أعلم بهم ولكن أذكرك بأن القرآن يرفض أن يكون الأساس فى الاعتقاد تقليد الآباء والأجداد يقول تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) (سورة البقرة: آية / ١٧٠). شعرت بأن الحوار قد أخذ منحى عاما وأن حجته بدت فى هذا المجال قوية ومدعمة بآيات قرآنية فقررت أن أناقش معه مفردات معتقده التى قرأت نقدها من الكتب وتركتها كورقة أخيرة فى النهاية لأنى على ثقة من أنه لا يستطيع الإجابة عليها، ولقد أضفت إليها رأى الخاص، ولأغير مجرى الحديث إلى حيث أريد قلت له: [صفحة ٥٧] حسنا ماذا تقول الشيعة؟! هنا اعتدل فى جلسته وقال: الشيعة يقولون أن هذا الدين الخاتم لا يجوز لنا أخذه إلا عن طريق أئمة أهل البيت (ع) ويعتبرون أن هذا هو عين التمسك بسنته (صلى الله عليه وآله)

وسلم) وهو المطلوب من كل إنسان. قلت ساخرا: كلنا نتبع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا أحد يرى أنه خلاف ما جاء به عليه أفضل الصلاة والسلام. قال: الأمر ليس مجرد ادعاء إنما يجب إثبات ذلك بالدليل، ونحن كشيعة نرى أن المسألة الأساسية التي ابتليت بها الأمة هي مسألة الإمامة والقيادة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي اختص بها علي (ع) كوصي وخليفه ومن بعده أئمة أهل البيت (ع)، وواحدة من مستلزمات هذه الوصاية والإمامة الخلافة السياسية، ومن أهل البيت فقط يصح أخذ الدين أما ما أخذ من غيرهم فلا- نقول أنه باطل مطلقا ولكنه حق مخلوط بباطل ونحن مأمورون بأخذ الحق فقط دون غيره. قلت: وما جدوائية البحث حول قضية مرت عليها قرون وهل يفيدونا إذا ما كان علي هو الخليفة أم أبو بكر؟! سكت قليلا ثم قال: عندما ننظر يا أخي لكل مشكلة يجب البحث عن جذور تلك المشكلة حتى نحللها، وما عليه المسلمون اليوم من فرقة وشتات وضياح إنما هو ناتج عن ذلك اليوم الذي حجت فيه الخلافة عن علي بن أبي طالب وأعطيت لغيره بلا- حق، ومن هناك ابتداء افتراق الأمة والآن أنا أمامك أقول لك أن الشيعة على حق وأنت ترى خلاف ذلك، من هنا جاءت ضرورة البحث في الماضي لمعرفة أين الأصل ومن الذي خالف... هنا أخذتني العزة وقررت الهجوم عليه من كل جانب فانهلث عليه بالأسئلة مقاطعة: - إذا أنتم تشككون في الصحابة؟! [صفحة ٥٨] أجاب بهدوء: نحن لسنا في مقام التشكيك في أحد ما نقوله أن كل من اتبع الحق من الصحابة أو غيرهم على رؤوسنا نقدسهم نحترمهم وكل من خالف النهج السماوي القويم فلن نسمح لأنفسنا أخذ معالم ديننا منه. - لا أريدك أن تناقشني في عموميات! من غير المعقول أن كل الصحابة الذين بايعوا أبا بكر خالفوا قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)! أتدري ماذا يعني ذلك؟ يعني أن نشكك في كل ديننا. فكيف تجوزون لأنفسكم ذلك وأرجو ألا تستعمل معي التقيية المعروفة عندكم. أجاب: أولا: التقيية شرعية من الكتاب والسنة ولها مجالها، وهي ليست واجبة في كل الأحوال إنما لها ظروفها الخاصة، وأنا لا أمثل كل الشيعة، بإمكانك أن تطلع على كتب الشيعة فلن تجد غير كلامي هذا، أما بالنسبة للصحابة فالأمر لا يصل إلى مستوى التشكيك في الدين إلا إذا كان الدين عندك ملخصا في الصحابة.. قاطعته: إنهم هم الذين نقلوا لنا الدين. قال: بحثنا الآن حول نقلهم وهذا أول الكلام وبيت القصيد أنتم تجرحون الرجال في علم الجرح والتعديل وتبدأون عملية معرفة أحوال الرجال من القرون المتأخرة بعد عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحن الشيعة نبدأ ممن كان حول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن منهم من كان منافقا وآخر كان لا يفقه شيئا... وهكذا، أضف إلى ذلك من الذي قال أن الجميع قد بايع أبا بكر، ارجع لكتب التاريخ ستجد أن أول المعترضين كان عليا (ع) ومعه مجموعة من الصحابة... قلت: لو كان الأمر كما تدعون لنصر الله عليا وخذل أبا بكر وهذا دليل على أن الله اختار للأمة أبا بكر. قال: بقولك هذا تلغى فلسفة الابتلاء التي يمتحن الله بها العباد. إن الله يبين الطريق للناس فقط ثم يدعهم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، والله لا- يجبر الناس [صفحة ٥٩] وإلا نكون من الذين يقولون بالجبر فنسقط الثواب والعقاب، ونتيجة كلامك هذا أن أي شخص يتحكم في رقابنا يجب أن نهتف له ونعتبره تأييدا من الله وهذا ما لا يعقل. ورميت آخر سهم في جعبتي قائلا: إنكم تغالون في أهل البيت وتقولون أنهم معصومون، كما أنكم تبيحون زواج المتعة وتجمعون في الصلاة وتصلون للحجر والأخير رأيته بعيني يعني لم أقرأه في كتاب فقط. قال: أخي هذه فروع بإمكانني أن أناقشها معك ولكن من المنهجية أن تبحث أولا حول الأصل الذي يتبعه الفرع أوتوماتيكيا، فأنت عندما تريد أن تدعو شخصا غير مؤمن بالله إلى الإسلام لن تبدأ معه بكيفية الوضوء والصلاة بل لا بد من إقناعه بوجود الله تعالى ثم النبي ثم تفرع على ذلك. فأطلب منك أخي أن تبحث بتجرد وسترى نور الحقيقة. انتهينا من جلسة الحوار هذه وأنا متعجب من هذه الثقة التي يملكها، وفكرت في البحث ولكن ليس لكي أقتنع وإنما لأملك أدلة أقوى أدحض بها حججه، وبعد فترة قررت ألا- أدخل معه في نقاش حتى أكون بعيدا عن المشاكل وحتى لا أتأثر بهذه الأفكار الغريبة والتي أرى شخصا عن قرب يتبناها. ثم كانت البداية التي جعلتني أنطلق في البحث.

"تسرون حسوا في ارتغاء وتمشون لأهله وولده في الخمر والضراء، ونصبر منكم على مثل حز المدى ووخز السنان في الحشى، وأنتم الآن تزرعون لا إرث لنا أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أنى ابنته، أيها المسلمون!! أغلب على إرثي. يا بن أبى قحافة! أفى كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبى لقد جئت شيئا فريا أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول (وورث سليمان [صفحة ٦٠] داوود) وقال فيما اقتص من خبر زكريا - إذ قال (فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب) وقال (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) وقال (إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) وزعمتم أن لا حظوة لى ولا إرث من أبى أفخصكم الله بآية أخرج أبى منها؟ أم تقولون إنا أهل ملتين لا يتوارثان؟ أولست أنا وأبى من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى؟ فدونها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشركم. نعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون.

بنور فاطمة اهتديت

كلمات كالسهم نفذت إلى أعماقى. فتحت جرحا لا- أظنه يندمل بسهولة ويسر، غالبت دموعى وحاولت منعها من الانحدار ما استطعت!. ولكنها انهمرت وكأنها تصر على أن تغسل عار التاريخ فى قلبى، فكان التصميم للرحيل عبر محطات التاريخ للتعرف على مأساة الأمة وتلك كانت هى البداية لتحديد هوية السير والانتقال عبر فضاء المعتقدات والتاريخ والميل مع الدليل. كان ذلك فى الدار التى يقيم فيها ابن عمى الشيعى! جئت لتحيته والتحدث معه عن أمور عامة... لحظة ثم لفت انتباهى صوت خطيب ينبعث من جهاز التسجيل قائلا " وهذه الخطبة وردت فى مصادر السنة والشيعه وقد ألقتها فاطمة الزهراء لتثيت حقها فى فدىك، ثم بدأ الخطيب فى إلقاء الخطبة. إلى حين استماعى لهذا الشريط لم أكن على استعداد للخوض فى قضايا خلافية مذهبية. قد عرفنا أن الأخ - ابن عمى - شيعى وسألنا الله أن يهديه، وكنا نتحاشى الدخول معه فى نقاش بقدر استطاعتنا. وذلك بعد الحوار الذى مر فى بداية هذا الفصل. ولكن أبى الله سبحانه وتعالى إلا أن يقيم علينا حجته. [صفحة ٦١] بصوت هادئ جميل بدأ الخطيب فى الخطبة وتدفق شعاع كلماتها إلى أعماق وجدانى، وضح لى أن مثل هذه الكلمات لا تخرج من شخص عادى حتى ولو كان عالما مفوها درس آلاف السنين، بل هى فى حد ذاتها معجزة. كلمات بليغة.. عبارات رصينة، حجج دامغة وتعبير قوى.. تركت نفسى لها واستمعت إليها بكل كيانى وعندما بلغت خطبتها الكلمات التى بدأت بها هذا الفصل لم أتمالك نفسى وزاد انهماك دموعى. وتعجبت من هذه الكلمات القوية الموجهة إلى خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومما زاد فى حيرتى أنها من ابنة رسول الله فماذا حدث؟ ولماذا.. وكيف؟! ومع من كان الحق وقبل كل هذا هل هذا الاختلاف حدث حقيقة؟ وفى الواقع لم أكن أعلم صدق هذه الخطبة ولكن اهترت مشاعرى حينها وقررت الخوض فى غمار البحث بجديته مع أول دمعته نزلت من آماقى.. وفى هذا المنحى لا أريد أن أسمع من أحد، فقط أريد خيط البداية أو بداية الخيط لأنطلق، ولم تكن الخطبة مقصورة على ما ذكرته من فقرات بل هى طويلة جدا وفيها الكثير من الأمور التى تشد الهمة لمعرفة تفاصيل ما جرى وظروفه الموضوعية المحيطة به. انتهى الشريط، كفكفت دموعى محاولا إخفاءها حتى لا يحس بها ابن عمى، لا أدرى لماذا؟ ربما اعتزازا بالنفس، ولكن هول المفاجأة جعلنى أنهمر عليه بمجموعة من الأسئلة وما أردت جوابا، إنما هى محاولة للتفيس وكان آخر أسئلتى إذا كان ما جاء فى بعض مقاطع الخطبة صحيحا فهل كل ذلك من أجل فدىك قطعة الأرض؟! أجبني: عليك أولا أن تعرف من هى فاطمة ثم تبدأ البحث بنفسك حتى لا أفرض عليك قناعتى وأول مصدر تجد فيه بداية الخيط صحيح البخارى، وناولنى الكتاب فكانت المفاجأة التى لم أتوقعها.

ماذا بين ابى بكر و فاطمة؟

أخرج البخارى فى صحيحه الجزء الخامس (ص ٨٢) فى كتاب المغازى باب غزوة خيبر قال: عن عروءة عن عائشة أن فاطمة بنت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) [صفحة ٦٢] أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من أبيها مما أفاء عليه بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر فقال أبو بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " لا نورث من تركناه صدقه إنما يأكل آل محمد من هذا المال... إلى أن يقول البخارى فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك فهجرتة ولم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبى (صلى الله عليه وسلم) ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها على ليلا وصلى عليها ولم يؤذن بها أباً بكر. " وأورد مسلم فى صحيحه ذات الواقعة مع تغيير طفيف فى الألفاظ يقول " فغضبت فاطمة " بدل كلمه وجدت [٤٥]. من هاتين الروايتين وغيرهما نستخلص الآتى أولاً: هذه الحادثة التى وقعت بين فاطمة بنت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والخليفة الأول حقيقة لا يمكن تكذيبها ولا الإعراض عنها لأنها مثبتة فى متن أكثر الكتب صحة واعتماداً عند أهل السنة والجماعة بل فى كل المصادر التاريخية والحديثية كما سيأتى بيانه لاحقاً. ثانياً: إن الحادثة لم تكن خلافاً عابراً أو سوء تفاهم بسيط بل هى مشكلة كبرى هذا ما نلمسه من كلمه " فوجدت فاطمة على أبى بكر " أو بتعبير مسلم " فغضبت فاطمة " فالغضب والوجد معانها واحد، محصله أن فاطمة غضبت غضباً شديداً على أبى بكر.. بالرغم من قول الخليفة بأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال " لا نورث " ولكن فاطمة غضبت. ثالثاً: إن غضب الزهراء كما أنه لم يكن قليلاً فى حدته لم يكن قصيراً فى مدته بل استمر حتى وفاتها كما يقول البخارى نقلاً عن عائشة " فهجرتة ولم تكلمه حتى توفيت " وهذا معنى جلى فى أن حالة الغضب والخلاف استمر إلى وفاتها بل إلى ما [صفحة ٦٣] بعد ذلك إذ أن أباً بكر لم يصل عليها ودفنت ليلا سرا بوصية منها كما سنبين. رابعاً: غضب الزهراء لم يكن منصباً فقط على أبى بكر بل شمل الخليفة الثانى بدليل عدم ذكره ضمن المصلين عليها، وسيوضح أثناء البحث أن موقف أبى بكر وعمر واحد يعنى موقف الزهراء منهما وموقفهما منها، يقول ابن قتيبة فى تاريخه " دخل أبو بكر وعمر على فاطمة فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط.. إلى أن يقول فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تعرفانه وتعملان به؟ قالوا: نعم فقالت نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتى فقد أحببني ومن أرضاها فقد أرضاني ومن أسخطها فقد أسخطني؟.. قالوا: نعم سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت: فإنى أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لأشكونكما إليه، ثم قالت: والله لأدعون عليكما فى كل صلاة أصليها [٤٦]. كل هذه الحقائق جعلت الدنيا مظلمة لدى.. وفور توصلى إليها قفز إلى ذهنى ألف سؤال وسؤال.. لا- أدرى ماذا أفعل وكيف أفكر وإلى من ألتجأ؟! إنها بضعة المصطفى الصديقة فاطمة، أقرأ فإذا بها عاشت بعد أبيها فى حالة غضب إلى أن ماتت... كيف ولماذا!!! الطرف الآخر الذى غضبت عليه الزهراء إنه الخليفة الأول.. الصديق.. الخليل لقد كان يحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما علمونا - أكثر من نفسه.. فكيف يفعل بالزهراء شيئاً يغضبها؟. كيفما كانت التساؤلات ومهما كان التبرير هاهى فاطمة (ع) كما وجدت بين طيات الكتب غاضبة على الخليفين.. وكما سأبين لك عزيزى القارئ فى الفصول القادمة.. وبرغم كل الحواجز قررت مواصلة البحث والتنقيب على ألا أجعل بين [صفحة ٦٤] نفسى والحقائق حجاب الخوف أو الرهبة أو التبرير ومضيت فى طريق ربما كان شائكاً فى بدايته ولكنى بفضل بركات الصديقة الطاهرة وصلت إلى شاطئ اليقين، ومعها - روحى فداها - كانت البداية المفجعة والنهائية الممزوجة بحلاوة الإيمان وقمة المعرفة. وسأبدأ معك عزيزى القارئ محطة فمحة ولنطلق من تعريف شخصية فاطمة (ع) من خلال فضائلها التى سطرها الوحي بأحرف من نور وكلها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بصدق حديثه وهو الصادق المصدق فكانت كلماته حول فاطمة ذات دلالات ومعان نحاول أن نستقصيها فى هذه الصفحات وبلا شك لن نستوعب كل ما جاء من مناقب وفضائل عن الزهراء (ع) لكنى سأحاول سرد ما يفيدنا فى بحثنا هذا ومن ثم نتعرف على الحقائق المحيطة بفاطمة (ع) والتى بنورها وبركاتهما اهتديت وخرجت من ظلمات الجهل إلى رحاب نور أهل البيت (ع).

فاطمة في القرآن

كثيرة هي الآيات التي تحدثت عن قدسيه الزهراء (ع) ومكانتها السامية سنختار هنا بعضا منها. الآية الأولى: قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (سورة الأحزاب: آية / ٣٣). تشمل هذه الآية المباركة فيمن تشمل السيدة فاطمة الزهراء (ع) بل هي محور الآية وأساسها.. لأنها نزلت في أهل بيت النبوة، ولنا حديث مع أولئك الذين حاولوا إدخال البعض من غير أهل البيت في نطاق الآية، وما يهمننا الآن هو أن الزهراء معنية بهذا الخطاب الإلهي.. ولقد فصلت السنة في سبب نزول الآية وفيمن جاءت. لقد أورد مسلم في صحيحه أن الآية محل النقاش نزلت في خمسة: النبي (صلى [صفحة ٦٥] عليه وآله وسلم) وعلى وفاطمة والحسن والحسين (ع) وذلك في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل البيت وهو الحديث المعروف بحديث الكساء كما أنه اشتهر عند أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأهل العباءة أو الكساء وهذا من المتسالم عليه بين كل المسلمين خصوصا في مجتمعنا السوداني. وسنزيدك من المصادر التي تؤكد أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليها وفاطمة والحسين هم المقصودون بالآية في البحوث القادمة إن شاء الله ولكن دعنا الآن نتدبر الآية، ومن خلالها نتعرف على شخصية فاطمة (ع). إن المتأمل في كلمات الآية يتوصل إلى أن المخاطبين بهذه الآية، وفاطمة أحدهم مطهرون معصومون من كل رجس، وتقريب ذلك تصدير الآية بأقوى أدوات الحصر على الإطلاق (إنما) مما يعني أن هذا الأمر خاص بجماعة معينة محددة لا يتعداهم إلى غيرهم، ثم يأتي البحث عن الإرادة الإلهية التي ذكرت في الآية (إنما يريد الله...) هي إرادة المولى عز وجل (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول لك كن فيكون) فلا يمكن بحال تخلف إرادته تعالى. أما الرجس في اللغة فمعناه كل ما يلوث الإنسان سواء كان لوثا ظاهريا أو باطنيا والذي يعبر عنه بالإثم.. والرجس في هذه الآية هو اللوث والنجاسة الباطنية لأن الابتعاد والطهارة من النجاسة الظاهرية وظيفه دينية عامة لجميع المسلمين وذلك لشمول التكليف للجميع ولا- خصوص لأهل البيت حتى ترد هذه الآية بحصرها وتوكيدها لنفي الرجس الظاهري عن أهل البيت. إنما جاءت لبيان فضيلة لهم خصهم بها الله سبحانه وتعالى وأخبر عنها في كتابه العزيز. ثم يأتي التأكيد (ويطهركم تطهيرا) إن النظرة العميقة للآية تجعلنا لا نشك لحظة واحدة في عصمة أهل البيت الذين ذكروا فيها ومنهم فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهي معصومة مطهرة من كل رجس ظاهرا وباطنا وسيأتيك التأكيد [صفحة ٦٦] على ذلك. الآية الثانية: قوله تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (سورة الشورى: آية / ٢٣). لقد جعل الله سبحانه وتعالى أجر الرسالة مودة أهل البيت ومنهم فاطمة الزهراء، فالآية نزلت في قربي الرسول وهم على وفاطمة والحسن والحسين كما نقل ذلك أعلام الحديث والتفسير مثل الحاكم الحسكاني الحنفي في شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٣٠ والحاكم النيسابوري في المستدرک [٤٧]. إنها العظمة والرفعة.. لقد وزن الله تعالى الرسالة المهمة على كل الرسائل بمودة القربى.. لقد استحقت فاطمة هذا الوسام الإلهي بجداره ويكفيها لتأكيد ذلك تسطيرها ضمن آيات الذكر الحكيم.. إنه رصيد يضاف لمناقب الزهراء وفضائلها وإلى المزيد. الآية الثالثة: قوله تعالى (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (سورة آل عمران: آية / ٦١). لم يختلف المسلمون أن هذه الآية أيضا من مختصات أهل البيت فهي نزلت يوم مباهلة نصارى نجران وقد أمر الله تعالى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأخذ معه عليا وفاطمة والحسن والحسين (ع). فكانت هذه الآية وذلك مما ذكره مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب [٤٨] وهكذا مثلت فاطمة كل نساء الأمة وكانت المباهلة بمثابة تثبيت للرسالة، ولأهمية الحديث وعظمتها في مسيرة [صفحة ٦٧] الإسلام كان المباهل بهم مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هم علي وفاطمة وابناهما.. مع أن الآية ذكرت نساءنا بصيغة الجمع إلا أن التمثيل المقدس كانت فاطمة فقط دون غيرها من النساء ولا حتى نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتأمل عزيزي القارئ وانطلق بعقلك لتدرك مكانة الزهراء وعظمتها وما أظنك بقادر. آيات أخرى: يقول تعالى (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) إلى قوله

تعالى (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) (سورة الإنسان: آية / ٥ - ٢٢)، هذه الآيات نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين بمناسبة قصة صيامهم ثلاثة أيام وتصدقهم في تلك الأيام الثلاثة بطعامهم على المسكين واليتيم والأسير بينما هم في أشد الحاجة إلى الطعام لإفطارهم.. ولقد ذكر جمع كبير من المحدثين والمفسرين أن هذه الآيات نزلت في هؤلاء الأربعة. منهم الزمخشري في كشفه.. والفخر الرازي في تفسيره [٤٩]. إن نزول هذه الآيات في علي وفاطمة والحسين ينبوع آخر لكرامتهم ومكانتهم عند الله.. إذ أن الخالق جل وعلا خاطبهم من عليائه بصيغة الأمر الذي أبرمه وفرغ منه (فوقاهم الله شر ذلك اليوم، ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا...) إلى آخر الآيات هذه هي حقيقة الزهراء فاطمة وتلك هي مكانتها عند الله. يطول بنا المقام لسرد كل ما جاء عن فاطمة في القرآن ولقد جمع أحد العلماء الآيات التي نزلت في فضل فاطمة وأهل البيت فبلغت (٢٥٨) آية من الذكر الحكيم. [صفحة ٦٨] ومع ذلك لو لم تأت إلا آية التطهير أو المباهلة لكفى بها موعظة لقوم يؤمنون فهذا قرآن عظيم في كتاب مكنون تنزِيل العزيز الحميد.

فاطمة بلسان أبيها

ملاحظتان قبل الانطلاق في أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن فاطمة: الملاحظة الأولى: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما يتحدث عن فاطمة فإنه لا ينطلق من عاطفة الأبوة وهو القائل فيه الباري عز وجل (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) في عموم حديثه عن الأشخاص لا يعطى أحدا أكثر مما يستحقه تبعا لعاطفته وحتى لو كان ذلك الإنسان ابنته. لأننا لو قلنا بذلك لطننا في نبوته وكلماته القدسية التي تؤمن جميعا بأنها حجة لا زيف فيها ولا هوى.. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنهتني قریش وقالوا تكتب كل شيء سمعته من رسول الله وهو بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله فأوما بأصبعه إلى فيه وقال: "أكتب فوالذي نفسى بيده ما خرج منه إلا حق. " إن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينطق إلا صدقا وعدلا فلنضع كلماته عن الزهراء نصب أعيننا ونحن نقرأ عن موقفها بعد وفاته ولا نترك للشيطان سبيلا يتسلل منه.. لان فهمنا لهذه النقطة يمهد لنا السبيل لفهم موقف فاطمة (ع). الملاحظة الثانية إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ركز في شخصيته فاطمة على قدسيتها وخلوصها لله تعالى وقربها منه (صلى الله عليه وآله وسلم) بحيث يجعلك تأخذ الاحساس بأنها [صفحة ٦٩] جزء منه ما يصيبه كأنما أصابها وما يصيبها كأنما أصابها وأنها تمثله جسدا وموقفا.. تعبر عنه وهو المعبر عن إرادة الله تعالى وذلك في مجمل أحاديثه عن فاطمة " من أسخط فاطمة فقد أسخطني " " من أغضب فاطمة قد أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله.. " وعلى هذا المنوال. ولقد استوقفني كثيرا محور كلام الرسول عن ابنته والذي كان يدور حول غضبها وسخطها ورضاها وكأنه - أبى وأمى - يلمح للأمة بمصيبتها وابتلائها في موقفها من الزهراء.. وهذا لا ولن يخفى على ذوى الأبواب المتفتحة والقلوب المفعمة بحب النبي وآله فلماذا يا ترى كان التركيز على هذا المحور بالذات؟! هل يعقل أن يكون ذلك بلا سبب؟! ألا يحمل هذا في طياته دلالات عميقة وإشارات واضحات. لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبلغ العرب حين يتكلم وأكثر الناس حكمة حينما يفصح كما كان أحسنهم إنصافا للناس. لقد هيا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس حتى يصدقوا الزهراء حين تنطق وهياهم لأن يتحاشوا غضبها إذا غضبت وأخبرهم أن أذاها أذى له وهكذا مهمة الأنبياء تربية الأمم حاضرا أثناء حياتهم وتهيتهم لاستقبال الحوادث المستقبلية بعد رحيلهم.. والنبي وهو أعظمهم خص الزهراء وهو الصادق الأمين بهالة قدسية تحرم على الآخرين هتكها.. ولم يكن ذلك لقرباتها منه بل لأنها أخلصت للحق وذابت في بوتقته فكانت مقياسا ومعيارا للذين سيأتون بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وتجلت حكمة الرسول في أحاديثه المختلفة للأمة التي كانت تنظر لواقع المستقبل وهي تحمل في طياتها بصائر تتضح من خلالها الرؤية، وتحكم بها على أحداث الواقع في أي زمان ومكان. والأمثلة على ذلك كثيرة، لقد تحدث النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أبي طالب (ع) حينما قال "

على مع القرآن والقرآن مع علي " لأن معاوية سيأتي يوما ما ويرفع المصاحف على أسنة الرماح طالبا التحكيم بالقرآن كما حدث [صفحة ٧٠] في صفين حينها ستعرف أين جهة الحق والصدق لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ترك المعيار فعلى والقرآن لا يفترقان.. كذلك عندما قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمار " تقتلك الفئة الباغية " فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يترك مجالا للاعتذار لأولئك الذين قاتلوا في صف معاوية ضد علي ومعه عمار بن ياسر وهكذا أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تنطلق من الحاضر لتشخص داء الأمة في المستقبل. كل ذلك يجعلنا ننظر إلى غضب الزهراء بقدسية وإلى موقفها بتعقل. إنه غضب من أجل الحق وموقف صدق ضد الانحراف. إننا ننزه الزهراء من أن تغضب في سبيل شيء غير الحق إنه غضب مقدس وصرخة حق مدوية وبعد قليل سينكشف الغطاء وترى لماذا كان هذا الغضب. وإليك بعضا مما قاله المصطفى في ابنته ربيبة الوحي فاطمة الزهراء (ع): " ١ - فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبنى. " رواه البخاري في صحيحه باب مناقب قرابة الرسول ج ٤ ص ٢٨١ دار الحديث القاهرة [٥٠] . ٢ - " إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها. " رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة. وفي رواية " فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها [٥١] . ٣ - قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة (ع): " إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك " رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين كتاب مناقب الصحابة ص ١٥٤ وقال عنه حديث صحيح الإسناد ولم [صفحة ٧١] يخرجاه [٥٢] . ٤ - جاء في صحيح البخاري كتاب بدء الخليقة في باب علامات النبوة ج ٤ ص ٢٥٠ بسند عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي ما تخرم مشيتها مشية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثا فبكت فقلت لها لم تبكين؟! ثم أسر إليها حديثا فضحكت فقلت ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن فسألتهما عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسألتهما فقالت: أسر إلى أن جبرائيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا- حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي فبكيت فقال: أما ترضى أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة فضحكت لذلك [٥٣] . وأورد الترمذي في سننه كتاب المناقب عن حذيفة قال " أتيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فصليت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي فقال: من هذا حذيفة؟ قلت: نعم قال: ما حاجتك غفر الله لك ولأمك؟ ثم قال: إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة [٥٤] . وجاء في المستدرک ج ٢ ص ٢٩٤ بسنده عن عائشة قالت لفاطمة: ألا أبشرك؟ إنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول " سيدات نساء أهل الجنة أربع [صفحة ٧٢] مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسيا بنت مزاحم. " وقال عنه الحاكم النيسابوري حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " يقصد بخارى ومسلم. " وجاء في كنز العمال ج ٧ ص ١١١ أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة. وذكر محي الدين الطبري حديث أفضل أربع نساء فضلهم الله في ذخائر العقبي ص ٤٤ وأضاف وأفضلهم فاطمة. ٥ - عن عائشة أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت: ما رأيت أحدا كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها [٥٥] . ٦ - أورد السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام) قال: وأخرج الطبراني عن عائشة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) " لما أسرى بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر في الجنة أحسن منها ولا أبيض ورقا ولا أطيب ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبى فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فإذا أنا اشتقت إلى ريح الجنة شممت ريح فاطمة. " وروى الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٥٦ بسنده عن سعد بن مالك قال: قال (صلى الله عليه وآله وسلم) " أتاني جبرئيل (ع) بسفرجلة من الجنة فأكلتها ليلته أسرى بي فعلقته خديجة بفاطمة فكنت إذا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رقبه فاطمة. " ٧ - عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمئ. وإنما سماها فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار، ذكره ابن حجر في صواعقه ص ١٦٠ كما أخرجه النسائي وجاء في تاريخ بغداد أيضا ج

١٢ ص ٣٣١. [صفحه ٧٣] ٨ - فى صحيح الترمذى ج ٢ ص ٣١٩ عن عائشة أم المؤمنين قالت: ما رأيت أحدا أشبه سمتا ودلا وهديا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).. قالت: وكانت إذا دخلت على النبي قام إليها وقبلها وأجلسها فى مجلسه وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته فى مجلسها الحديث. رواه أيضا أبو داود فى صحيحه ج ٣٣ فى باب ما جاء فى القيام. ورواه الحاكم أيضا فى مستدرک الصحيحين ج ٣ ص ١٥٤. ٩ - جاء فى مسند أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٢٧٥ كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا سافر جعل آخر عهده فاطمة وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة.. وذكر ذلك الحاكم فى المستدرک ج ١ ص ٤٨٩ ورواه البيهقى فى سننه. ١٠ - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى وفاطمة والحسين: "أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم" رواه أحمد بن حنبل فى مسنده ج ٢ ص ٤٤٢ والحاكم فى المستدرک ص ١٤٩ وابن الأثير فى أسد الغابة ج ٣ ص ١١ و ج ٥ ص ٥٢٣. ١١ - فى الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩٠ أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: "يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق" ذكره الحاكم فى المستدرک ج ٣ ص ١٥٣. كانت جولتنا مع أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حول فاطمة قصيرة مقارنة بما ورد فى حقها ولكن هذا القدر يكفى للعاقل حتى يتعرف على الزهراء (ع) التى أحاطتها العناية الإلهية من قبل ميلادها وكانت فى جنه الخلد... هنالك كان المبدأ كما فى رواية الإسراء والجنة هى النهاية كما علمت وما بين الانطلاقة الأولى من الجنة والمنتهى فيها كانت حياة الزهراء عظيمة تنبض بكل معانى القيم النبيلة.. فهل من [صفحه ٧٤] الممكن أن يكون هناك نشاز فى منتصف الطريق؟! يقينا لا، لذلك أوصى الرسول بفاطمة كثيرا وحذر الناس من غضبها الذى يعنى غضبه بل وغضب الله عز وجل كما مر وشهدت لها عائشة بأنها أصدق الناس لهجة فهى الصديقة كما أن العناية الإلهية كان لها الدور المباشر فى صياغة شخصية الزهراء فصار أذاها أذى الرسول الذى يعنى أذى الرسالة ونزل الوحي يجلبلج بالتطهير كما جاء فى آية التطهير وتأكيدها على قدسية المسير ومباركة الرب لعمل فاطمة وأهل بيتها كانت سورة الإنسان... وحتى نزيد يقينا بارتباط الزهراء بالوحي واستقامتها كانت المباهلة ثم الزواج المبارك الذى تم فى السماء قبل أن يتم فى الأرض بأمره سبحانه وتعالى. ورعاية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الخاصة بفاطمة حتى إنه عند قدومها يقبلها ويجلسها فى مجلسه وكذا العكس.. ولا يخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) فى سفر إلا أن يكون آخر من يودعه ابنته وأول من يسلم عليه عندما يعود.. هى سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة، إذا كل فعل تفعله هو فعل أهل الجنة وكل موقف تفقه هو موقف أهل الجنة ولو نظرت فى الجنة لرأيت نعيما وملكا كبيرا ويأتى المنادى غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة وتستقر فى مقام محمود منه انطلقت وإليه تعود. هذه المسيرة المقدسة، وهذه العظمة ألا تدفعنا للوقوف إجلالا وإعظاما لشخصية قدستها السماء وبارك مسيرتها أبوها صاحب رسالة السماء؟ كل ذلك ألا يجعلنا نتوقف قليلا أمام مواقفها؟ يبدو لى أننا حتى نستوعب كل ذلك نحتاج إلى عقل سليم وقلب مفرغ من الغرور والاستكبار والهوى لقد جسدت الزهراء تعاليم الوحي.. وسارت وفق هداه فكانت من الجنة إلى الجنة وما بين ذلك غضبها هو غضب الله فتأمل وتفكر وتدبر. [صفحه ٧٥]

موقف الزهراء هو الفيصل

فى الأحداث التاريخية يلعب العقل دورا كبيرا فى استخلاص النتائج والاعتبار بها والاستفادة منها ومن ثم الانطلاق لتحديد موقف معين تجاه تلك الأحداث. والتاريخ الإسلامى كتاب الثقافة الذى حفظ لنا تراثنا ضخما، ما زالت الأمة تعيش على معينه.. وطوال تاريخ أمتنا الإسلامية مرت أحداث عظام مثلت منحى لهذه الحضارة التى قامت أسسها على تعاليم الوحي بشقيه القرآن والسنة. وبما أن التاريخ ثبت لنا مجموعة من الأحداث يجب علينا نحن اليوم النظر فيها بعين الإنصاف، كما يجب علينا التعقل لنستخلص منها عبرا تعيننا لتحديد اتجاه السير الصحيح خصوصا وأن الأمة وبعد وفاة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) شهدت اختلافا كبيرا امتدت

آثاره إلى يومنا هذا. وقضية الزهراء (ع) ومأساتها لم تكن لتنفك عن أمر الرسالة الإسلامية، وموقف الزهراء (ع) لا يمكن أن يمر عليه العاقل المهتم بأمر الإسلام مرور الغافلين، بل لا بد من التوقف عنده والسؤال، هل كان موقف فاطمة (ع) يعنى شيئاً في مسيرة تحديد هويات الاتجاهات المختلفة؟ ذلك ما سنعرفه الآن، ولكن هناك مقدمة ضرورية قبل الإجابة على هذا السؤال وهي: نحن في تحدينا للمواقف المتعددة يجب وقبل كل شيء معرفة صاحب الموقف معرفة تامة لأن ذلك يعيننا لتشخيص وتحليل الموقف تماما وهذا شيء طبيعي وعقلاني، فمثلا- عندما يقف الرسول موقفا معاديا لشخص آخر فإننا تلقائيا ندين الطرف الآخر الذي وقف منه الرسول موقفا عدائيا لأننا على يقين بأن الرسول هو المقياس للفصل بين الحق والباطل وبالتالي إذا وقف في وجه شخص آخر فذلك الشخص على خطأ لا يحتاج منا إلى بيان ولكن هذا احتاج منا إلى مقدمات تجاوزناها سلفا وهي عصمة الرسول وحجية قوله وفعله وتقريره وهذه الحجية لا تكون إلا إذا كان قوله (صلى الله [صفحہ ٧٦] عليه وآله وسلم) وفعله وتقريره حقا ولا يمكن أن يكون بحال من الأحوال باطلا لأن القول بخطأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يستلزم الطعن في القرآن الذي أمر بطاعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دون قيد أو شرط، بل ليس الطاعة فقط وعدم المخالفة إنما عدم الحرج في قضائه (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما).. من هذه الخلفية نكون على اطمئنان بكل موقف يقفه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أن معرفتنا للشخصية تجعلنا نقيم الأحداث بشكل سليم بأفضل ما يكون. والزهراء (ع) رفضت أن تباع الخليفة.. وعارضته بأشد ما يكون وتركت آثار معارضتها إلى الآن إذ أنها أمرت بدفنها ليلا وسرا (ولم يكشف عن مكان قبرها إلى الآن)، فما مدى تأثير هذا الموقف الذي جوبه بأشد أنواع العنف، في سير الرسالة وما مدى حجيته علينا نحن المسلمين اليوم. وإن ذلك يستدعي التعرف على شخصية الزهراء بصورة تفصيلية خصوصا فيما يختص بالحجية " يعنى هل فعلها حجة لها أم عليها " وذلك من الناحية التشريعية وإلا قد مر عليك فضائل الزهراء ومناقبها.

عصمة الزهراء

المتبع للنصوص الواردة في القرآن والسنة الشريفة عن أهل البيت (ع) بما فيهم الزهراء (ع) لا يجد سوى الاقرار بعصمتهم وعلو شأنهم عن الذنوب والمعاصي، وإليك لمحات من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تثبت عصمة أهل البيت (ع) وطهارتهم وقد مر عليك ذكر بعضها. لقد مرت عليك عزيزي القارئ آية التطهير ودلالاتها على عصمة أهل البيت المقصودين في الآية وفاطمة منهم ونورد الأدلة التالية تعريزا لقولنا بعصمة فاطمة (ع): ١ - قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عنها " إن الله يغضب لغضبها [صفحہ ٧٧] ويرضى لرضاها، " هذا القول للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تلازمه العصمة لأنه من المستحيل أن يناط غضب الزهراء بغضب الله سبحانه وهي غير معصومة... لأن القول بعدم عصمتها يعنى إمكانية وقوعها في الزلل والخطأ وربما تغضب لغير الحق، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلامه إطلاق بلا تقييد يعنى أن الزهراء (ع) لن تغضب إلا لشيء يغضب الله بسببه ومن كان غضبه يعنى غضب الله فهو لن يفعل إلا الحق ولن يخطئ أو يميل إلى الباطل طرفة عين وبالتالي يمثل غضبه الحق، وفي الواقع إن هذا الحديث يدل أن للزهراء مكانة عظيمة لا تدرك بالعقول. وليبان هذه العظمة التي من تجلياتها عصمتها (ع) أكد الرسول تكرارا عليها كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) " فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويربيني ما رابها [٥٦] " إن أذى الرسول يعنى أذى الرسالة، أذى القيم والمبادئ، لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) هو محور الحق بل هو الحق الذي يجب أن نقتبس منه، إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم) يمثل الإرادة الإلهية وهو قطب الرحي الذي به يعرف الموحد من المشرك والكافر إذ أن الله تعالى غيب لا ندرکه بعقولنا وأوهامنا والارتباط به تعالى يكون عبر رسله وأنبيائه. لذلك كان مبعث الأنبياء وتولية الأوصياء. ولذلك لا يكون الرسول إلا معصوما حتى لا يفترق عن الحق لحظة واحدة وبالتالي تكون كل تصرفاته حق وأذيته تعنى التحدى للرسالة والإرادة الإلهية وليبان هذه الحقيقة يقول القرآن الكريم (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة) (سورة الأحزاب: آية / ٥٧) وأكرر القول إن

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما يتحدث عن شخص أو يدلي بأى حديث فمن منطلق مسؤوليته تجاه الرسالة وبالتالي يستبعد أى مجاملات أو تقييد بلا حق، والمتفق عليه أن قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وفعله وتقريره حجة يعنى شرع نتعبد به قربة إلى الله تعالى. وقد قال عليه وآله الصلاة [صفحة ٧٨] والسلام فاطمة بضعة منى يعنى هى جزء لا يتجزأ من كيانه وروحه وهو كما قلنا محور الحق والشرع وبالتالي تكون الزهراء (ع) أيضا كذلك، لذلك جعل الرسول أذاها أذاه وكل شئ يريبها يريبه وهو المعصوم الذى لا- تميل به الأهواء ومن يكون جزءا منه يؤذيه ما يؤذيه فهو أيضا مؤهل أن يكون معصوما. وبهذا التقريب نرى عصمة الزهراء (ع) جلية وواضحة فقط تحتاج إلى وجدان صاف سليم وعقل مستنير. ٢- قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) إن كل الأنبياء السابقين لم يطلبوا أجرا من أقوامهم إنما كان قولهم (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) لقد ذكر ذلك فى القرآن على لسان الأنبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب [٥٧] ولكن نبينا الأَعْظَم أمره الله عز وجل بأن يسأل أمته المودة فى القربى ولكن لا لكى يستفيد هو بل لتستفيد أمته، لأنه ليس بدعا من الرسل ليطالب بأجر لرسالته من دون الرسل، كما أنه ليس من المتكلفين كما جاء على لسانه قوله تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) [٥٨]، ودليلنا على أن الفائدة من هذا الأجر الذى طلبه منا تعود علينا نحن قوله تعالى (قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله) [٥٩]، وبظرة أخرى إلى آيات القرآن الحكيم نجد أن هذا الأجر المتمثل فى مودة القربى هو السبيل إلى الله تعالى فى قوله عز وجل (ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) [٦٠]، وهو الذكري للعالمين كما يقول تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى [صفحة ٧٩] للعالمين) [٦١] إذا مودة القربى هى الذكرى وهى السبيل الذى يقول عنه تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) والسبيل إلى الله لا بد أن يكون قويا لا عوج فيه يعنى باتباعه نضمن أننا على الصراط المستقيم ونهايتنا الجنة بمعنى أقرب لا بد أن يكون معصوما وقد تجسد فى القربى وهم أهل البيت (ع) كما هو المسلم به عند جميع المسلمين فيما يرتبط بنزول الآية فى أهل البيت (ع) وفاطمة عماد ذلك البيت فوجب أن تكون معصومة لأنها أحد مصاديق ذلك السبيل. ٣- فاطمة (ع) ومريم (ع): فيما سبق من روايات وضح لنا أن فاطمة الزهراء (ع) هى سيدة نساء العالمين وهى سيدة نساء الجنة. وما إليه من أحاديث تثبت أن الزهراء (ع) أفضل النساء من الأولين والآخرين، ومن جملة النساء الكمل مريم الصديقة (ع) أم النبى عيسى (ع) لقد ارتقت مريم سلم الكمال حتى اصطفاها الله تعالى وطهرها، بل وخاطبها الوحي كما جاء فى القرآن الكريم يقول تعالى (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) (سورة آل عمران: آية / ٤٢) لقد طهر الله مريم واصطفاها وهذه هى العصمة بعينها، ولا يمكن بمجال أن يكون الفاضل أقل درجة من المفضول فإذا ثبتت عصمة مريم (ع) فبالأولى إثبات عصمة الزهراء (ع) لأنها أعلى رتبة وأخص درجة بما عرفت عنها ومدح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لها. لقد أوردنا ما أوردناه لإثبات عصمة الزهراء (ع) أو لا أقل بيان قدسيتها بحيث يتمتع صدور فعل قبيح منها يخالف الشرع أو يرضى طموحا شخصيا لها. ورغم قناعتى بأن الكثير من المسلمين لا يحتاجون إلى مزيد من الكلام حول طهارتها وقدسيتها إلا أننى تأكيدا للحجة على المعاندين والمغالطين أطلت الحديث عن هذا الموضوع ولأنه سيكون المعتمد الأساسى فى الإجابة على سؤال عريض سيواجهنا وتجب الإجابة عليه. [صفحة ٨٠] ألا وهو أين نقف نحن بالنسبة لموقف الزهراء من أبى بكر؟ وكيف المخرج؟ هل يجوز لنا القول بأن الزهراء (ع) مخطئة؟ أما بالنسبة للسؤال الأخير فلا يحق لنا ذلك بل إن القول به يعنى الكفر بالله وبآياته وبرسوله، ويبدو لى أن الإجابة على بقية الأسئلة واضحة ولا تحتاج إلى كبير عناء. ولكن قبل أن أنهى الحديث عن هذا الموضوع، الذى أترك فيه المجال لأصحاب العقول المنيرة والضمائر الحية ليحددوا فيه الموقف، أعرج على حديث شغلنى كثيرا وأنا أقيم موقف الزهراء (ع) من الخليفة أبى بكر وغضبها وعدم السماح له ولعمر بالصلاة عليه حتى وهى ميتة، ألا وهو الحديث المشهور (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). حسنا لقد أصبح أبو بكر خليفة للمسلمين بعد انتقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى. والخليفة هو الإمام وقد جاء فى الحديث أن من لم يعرفه يموت ميتة كميته الجاهلية. وفاطمة (ع) ليس فقط لم تعرف الخليفة بل عارضته وهاجمته وغضبت عليه وأمرت أن لا يصلى

عليها فكيف المخرج من هذه المعضلة؟! فإما أن تكون فاطمة ماتت ميتة جاهلية والعياذ بالله وهذا ما لا يقول به مؤمن برسالة أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) وإما أن تكون في موقفها على حق وبالتالي تنسف كل شرعية للخلافة القائمية آنذاك وهو ما قامت عليه الأدلة والبراهين فثبتت نقلا وعقلا كما بينا وسنبين المزيد إن شاء الله تعالى.

بماذا طالبت الزهراء؟

إشاره

لقد جاء في البخارى ومسلم وغيرهما من المصادر أن الزهراء طالبت بفدك ولا شك ولا ريب أنها كانت تطالب بشئ تعتبره ملكا لها أو حقا شرعيا خاصا بها. لقد طالبت فاطمة بالإضافة إلى فدك بحقوق أخرى سنذكرها.. لكنها أظهرت [صفحة ٨١] فدك باعتبار أن ملكيتها آلت إليها بوجود الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبل وفاته وبالتالي لا ربط لها بقضية الميراث التي زعموا أن الرسول خارج عنها. أما فدك فقد قال عنها ياقوت هي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة وفيها عين فواره ونخيل كثير [٦٢] وقصتها أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث إلى أهل فدك وهو بخير منصرفه منه يدعوهم إلى الإسلام فأبوا فلما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من خير قذف الله الرعب في قلوبهم فبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلحونه على التصرف فقبل منهم [٦٣]. وفي فتوح البلدان: فكان نصف فدك خالصا لرسول الله لأنه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب. لقد كانت فدك ملكا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعلوم أن من حقه التصرف في ملكه وقد كان ذلك حينما منحها لقره عينيه فاطمة كما جاء في شواهد التنزيل للحسكاني وميزان الاعتدال للذهبي ومجمع الزوائد للهيثمي والدر المنثور للسيوطي واللفظ للأول عن أبي سعيد الخدرى: لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) دعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة وأعطاه فدك [٦٤]. إذا فدك كانت ملكا وحقا لفاطمة الزهراء ولا يجوز بحال من الأحوال منعها هذا الحق وهي هي كما علمت.. فكيف يجرؤ أحد على منعها ما أعطاه لها الرسول بأى حق كان ذلك؟ لقد قالوا أن الأنبياء لا تورث - ورغم عدم ثبوت ذلك فإن فدك لم تكن من التركة حتى يحتج عليها بهذا الحديث، ولقد تدرجت الزهراء في [صفحة ٨٢] مطالبتها بحقوقها حتى تتضح الأمور لدى عينين غير أن بعض الأحاديث جاءت مجملة غير مفصلة تختلط فيها لدى القارئ أوراق القضية فيظن أن فدكا كانت ميراثا وكذلك سهم ذى القربى فى حين أن كل ذلك غير الميراث، وحتى تتضح الرؤية دعنا نفصل بعض الشئ فى هذا الأمر. لقد طالبت فاطمة أولا بما أعطاه لها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ثانيا يارث الرسول وثالثا بسهم ذى القربى، بسهم ذى القربى، وإليك بعض الكلام فى هذه المطالبات.

المطالبة باسترداد فدك التى لها ملكيتها

جاء فى فتوح البلدان: إن فاطمة (رض) قالت لأبى بكر الصديق (رض) أعطنى فدك فقد جعلها رسول الله لى، فسألها البيه فجاءت بأمر أيمن ورباح مولى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فشهدا لها بذلك، فقال: إن هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل ومرأتين [٦٥]. وفى رواية أخرى: "شهد لها على بن أبى طالب فسألها شاهدا آخر فشهدت لها أم أيمن،" "وإن عشت أراك الدهر عجباً فاطمة (ع) التى نزلت آيات القرآن تطهرها وتعصمها تكذب وتساءل البيه. إنها سيده نساء العالمين. الصديقه الطاهرة التى بلغت درجة من العصمة والطهارة حتى صار غضبها غضب الرب ورضاها، رضاه لقد قبل المسلمون شهادة أبى بكر فى حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نحن معاشر الأنبياء لا نورث " فكيف لا يقبلون ادعاء الزهراء بأن فدكا ملكها؟ لقد تجلت حكمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما أكد على مكانة الزهراء وصدقها فى الأحاديث المتقدمه خاصة ما جاء على لسان عائشه بنت أبى بكر لقد قالت ما رأيت

أحدا كان أصدق لهجة منها أي فاطمة (ع). لقد وقفت حائرا أمام هذا الموقف! أين أقف؟! هل أضرب بكلام الوحي وقول [صفحة ٨٣] الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن فاطمة عرض الحائط، وأؤيد تكذيب القوم لها! أم ماذا أفعل؟ بلا شك لن أجعل كلام الرسول هذرا ولن أضعه وراء ظهري كما أنني لن أبرر ما فعلوه حينما صدوا الزهراء عن حقها.. لقد استولى أبو بكر على فدك كما استولى على غيرها من الأملاك والحقوق الخاصة بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).. ولا أرى مبررا وجيها يدعو لمنع الحق عن أصحابه إلا أن يكون هنالك أمر آخر ربما خفي على وعليك أيها القارئ العزيز لكن مجريات الأحداث ستبين لك ما هو غامض!!

مطالبها بارث الرسول

عن أبي الطفيل بمسند أحمد بن حنبل وسنن أبي داود وتاريخ الذهبي وتاريخ ابن كثير وشرح النهج واللفظ للأول قال: لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت وارث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أم أهله؟ قال: فقال: "لا، بل أهله،" قالت: فأين سهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [٦٦]. وفي رواية عن أبي هريرة في سنن الترمذي: أن فاطمة جاءت إلى أبي بكر وعمر (رض) تسأل ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالا: سمعنا رسول الله يقول "إني لا أورث،" قالت والله لا أكلكما أبدا، فماتت ولا تكلمهما [٦٧]. وغيرها من الروايات الكثيرة التي تتحدث عن منع أبي بكر فاطمة ميراثها من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أيها، بما في ذلك الحديث الذي بدأنا به هذا البحث. [صفحة ٨٤]

المطالبة بسهم ذي القربى

لقد منعوها ملكها الخالص "فدك" وجاؤوها بحديث "الأنبياء لا يورثون" الذي قال فيه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة "المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده" وقال "إن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلا أبو بكر وحده، ذكر ذلك أعظم المحدثين حتى أن الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم بالخبر برواية الصحابي الواحد، وقال شيخنا أبو علي: لا يقبل في الرواية إلا رواية اثنين كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم، واحتجوا بقبول الصحابة رواية أبي بكر وحده "نحن معاشر الأنبياء لا نورث" [٦٨]. عندما لم يجيئها في كل ذلك طالبتهم بسهم ذي القربى، فقد جاء عن أنس بن مالك أن فاطمة أتت أبا بكر فقالت لقد علمت الذي ظلمتنا أهل البيت من الصدقات وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوى القربى. ثم قرأت عليه قوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسته وللرسول ولذى القربى) فقال لها أبو بكر بأبي أنت وأمي السمع والطاعة لكتاب الله ولحق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحق قرابته وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرأين منه، ولم يبلغ علمي منه أن هذا السهم من الخمس مسلم إليكم كاملا قالت: فلك هو ولأقربائك؟! قال: لا، بل أنفق عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين، قالت: ليس هذا حكم الله [٦٩]. وفي فتوح البلدان وطبقات ابن سعد وتاريخ الإسلام للذهبي وشرح النهج عن أم هانئ قالت: إن فاطمة بنت رسول الله أتت أبا بكر (رض) فقالت: من يرثك إذا مت؟ قال: ولدى وأهلي، قالت: فما بالك ورثت رسول الله دوننا؟! قال: يا بنت رسول الله ما ورث أبوك ذهابا ولا فضا، فقالت: سهمنا بخير وصافيتنا فدك. [صفحة ٨٥] ولفظ طبقات ابن سعد: فسهم الله الذي جعله لنا وصافيتنا بيدك. وفي لفظ ابن أبي الحديد وتاريخ الإسلام للذهبي: قال: ما فعلت يا بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقالت: بلى إنك عمدت إلى فدك وكانت صافية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخذتها، وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنا [٧٠]. لقد طالبت الزهراء (ع) بحقوقها كاملة فلم تحصل منها على شئ ولا أدري لماذا منعت وردت! إما لأنها كذبت في دعواها وحاشا لمن وعى كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وآمن بالوحي حقا أن يدعى عليها مثل هذه الفرية وقد علمت حرص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث عن فاطمة (ع) حتى لا تذهب المذاهب بالقوم وكيف يمكن أن تكذب وهي المطهرة بنص القرآن والمعصومة والصادقة في سيرتها كما جاء في الروايات وهي التي يغضب

الله لغضبها ويرضى لرضاها؟ إنها الزهراء (ع) ميزان الحق الذي به يعرف الباطل وأى خطأ وخطأ يرتكب من يحاول أن يشكك في حقها الذي طالبت به؟ لأن ذلك يعنى الشك في قول الله تعالى وقول رسوله. وليس هناك مجال لمدح يدعى أنها كانت جاهلة بحقوقها وأنها ربما لم تسمع بأنها لن ترث أباهما وأن ملكها يمكن أن يتصرف فيه الخليفة كيف يشاء. إذ أن من المستحيل أن يغفل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن بيان ذلك لابنته الزهراء (ع)، وهي المعنية بالأمر في الدرجة الأولى دون سائر المسلمين.. وزوجها هو على بن أبى طالب الذى قال عنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) "أنا مدينة العلم وعلى بابها" [٧١]، وقد أكد على (ع) دعوى فاطمة (ع) حينما قال أبو بكر: قال [صفحة ٨٦] رسول الله "لا نورث ما تركناه صدقة" فقال على: (وورث سليمان داوود) وقال يرثنى ويرث من آل يعقوب) قال أبو بكر: هو هكذا وأنت والله تعلم مثل ما أعلم فقال على: هذا كتاب الله ينطق! فسكتوا وانصرفوا [٧٢]. إذا فاطمة كانت تدرك تماما ما تفعله وعن علم كامل بحقوقها وإلا لماذا استمر غضبها إلى حين وفاتها ولم تراجع بل احتجت على أبى بكر بأن الأنبياء يورثون من القرآن الحكيم في خطبتها التي خطبتها أمام الخليفة الأول وذلك بعد منعها منحتها وإرثها وحقها في الخمس. جاء في شرح النهج وبلاغات النساء لأحمد بن طاهر البغدادي: لما بلغ فاطمة إجماع أبى بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت جلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى دخلت على أبى بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة ثم أنت أنه أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم افتتحت كلامها بالحمد لله عز وجل والثناء عليه والصلاة على رسول الله ثم قالت: أنا فاطمة بنت محمد أقول عودا على بدء، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تعزوه تجدوه أبى دون آبائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم، ثم استرسلت في خطبتها إلى قولها: ثم أنتم الآن، تزعمون أن لا- إرث لنا أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون يا ابن أبى قحافة! أترث أباك ولا أترث أبى لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون. [صفحة ٨٧] وفي معرض خطبتها الغراء تواصلت الزهراء احتجاجها بما جاء من القرآن عن ميراث الأنبياء فقالت: أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول الله تبارك وتعالى: (وورث سليمان داوود) وقال الله عز وجل فى ما قص من خبر زكريا (رب هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب) وقال عز ذكره (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) وقال (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) وقال (إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) وزعمتم أن لا حظوة لى ولا إرث من أبى أفخصكم الله بآية أخرج نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) منها أم تقولون: أهل ملتين لا يتوارثان. أولست أنا وأبى من أهل لمة واحدة أم أنتم أعلم بخصوص القرآن من أبى وابن عمى أفحكم الجاهلية تبغون... [٧٣]. إن للزهراء من منازل القدس عند الله عز وجل ورسوله والمؤمنين ما يوجب الثقة التامة فى صحة ما تدعى والطمأنينة الكاملة بكل ما تنطق به، ولا تحتاج - عليها السلام - فى كلامها إلى شاهد... ودعواها بمجردا تكشف عن صحة المدعى به كسفا تاما بلا نقصان.. ومع ذلك فقد جاءت - كما ذكرنا - بشاهد لا أظن أنهم يحتاجون إلى شاهد معه وهو على (ع) أخو النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى لا- يفارق الحق والقرآن أبدا.. ولكن رفضت شهادته ولعمري إن شهادة على أولى من شهادة خزيمة التى جعلها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كشهادة عدلين... ولو تنازلنا فسلمنا أن شهادة على (ع) كشهادة رجل واحد من عدول المؤمنين فلماذا لم يطلب أبو بكر من فاطمة اليمين فإن حلفت وإلا ردت دعواها؟! لوجب الحكم بالشاهد واليمين كما رواه مسلم فى أول كتاب الأفضية عن ابن عباس قال: قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيمين وشاهد، ونقل فى الكنز عن الدارقطنى عن ابن عمار قال: قضى الله فى الحق بشاهدين، فإن جاء بشاهدين أخذ حقه وإن جاء [صفحة ٨٨] بشاهد واحد حلف معه. ومما يحير الألباب أن تكذب فاطمة وترد دعواها ولا تقبل شهادة على كل ذلك حرصا منهم على منعها منحة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن جعلوها من متروكات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يعنى من حق ورثته. لكنهم جاؤوا بحديث "

الأنبياء لا يورثون " واحتجت عليهم الزهراء في خطبتها بأنها تستحق ميراث رسول الله فذكرت من الأدلة القرآنية ما يروى الظماً ويبين الحق وتلت الآيات التي ورث فيها الأنبياء وكون حكمها عاما يشمل ابنة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم عرجت على آيات الميراث العامة والتي خوطب بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان الأولى أن تطبق عليه ثم على سائر المسلمين، يقول السيد عبد الحسين الموسوي: " إن توريث الأنبياء منصوص عليه بعموم قوله عز من قائل (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً) وقوله تعالى (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) إلى آخر آيات الموارث وكلها عامة تشمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فمن دونه من سائر البشر فهي على حد قوله عز وجل (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم). وقوله سبحانه وتعالى (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) وقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) الآية. ونحو ذلك من آيات الأحكام الشرعية يشترك فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكل مكلف من البشر لا فرق بينه وبينهم، غير أن الخطاب فيها متوجه إليه ليعمل به وليبلغه إلى من سواه، فهو من هذه الحيثية أولى في الالتزام بالحكم من غيره كذلك آيات الميراث تخص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كغيره من سائر الناس عملاً بظاهر الآيات الكريمة [" ٧٤]. أما كون الأنبياء السابقين قد ورثوا المال فهذا ما نجده في ظاهر الآيات التي [صفحة ٨٩] تحدثت عن زكريا (ع) وغيره من الأنبياء كما ذكرت الزهراء في الخطبة ولعل هنالك من يدعى أن ميراث الأنبياء كان العلم دون المال ولكن ذلك خلاف الظاهر من الآيات إذ أن لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على ما ينتقل من الموروث إلى الوارث كالأموال ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة وقرينة... وبالجملة لا بد من حمل الإرث في الآيات القرآنية التي تتحدث عن ميراث الأنبياء على إرث المال دون العلم وشبهها حملاً للفظ يرثني على معناه الحقيقي المتبادر إلى الذهن إذ لا قرينة على كون المراد في الآيات توريث العلم ومن يدعى ذلك عليه الإثبات وعلى فرض أن الأنبياء ورثوا العلم لأبنائهم وذويهم فهلا سمعوا العلم عن ورثه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخذوا بكلام هؤلاء الورثة ورثة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين هم أعلم بأحكام الدين من غيرهم واتبعوهم أمنا من الضلال " إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدى كتاب الله وعترتي أهل بيتي. " ومما يثير التساؤل ميراث زوجات النبي في بيوته التي اختص بها نساءه، عائشة كيف تسنى لها البقاء في بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أنه وعلى حسب مدعاهم لا يورث ولم يثبت أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ملكها هذا البيت في حياته كما أن أباه الخليفة الأول لم يطالبها بينة وانتقلت إليها ملكية البيت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصبحت هي المتصرفه فيه حتى أن أبا بكر وعمر طلبا منها الإذن حتى يدفنا بجوار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أنها منعت من دفن من هو أكثر نصيباً منها على فرض أنه من الميراث لأنها ترث التسع من الثمن باعتبارها إحدى تسع أزواج مات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهن في عصمته، وللزوجة كما هو معلوم ثمن الميراث إن كان له ولد بينما يرث الحسن (ع) عن طريق أمه فاطمة (ع) أكثر منها ومع ذلك ينقل لنا يعقوبي في حادثه وفاة الحسن بن علي (ع) ثم أخرج نعشه يعني الحسن يراد به قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [صفحة ٩٠] وسلم، فركب مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص فمنعا من ذلك حتى كادت تقع الفتنة وقيل أن عائشة ركب بغلة شهباء، وقالت: " بيتي لا آذن فيه لأحد [" ٧٥]. والقرآن الحكيم يثبت أن هذه البيوت التي أودع فيها زوجاته هي له دون الزوجات في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) (سورة الأحزاب: آية / ٥٣) فنسب البيوت إلى النبي واضحة فهو الأصل وزوجاته عرض على هذه البيوت ولا يعترض قائل بأن الله تعالى يقول أيضاً (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) لأن كلمة (بيوتكن) هنا تشمل البيت الذي كان في زمن حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي تنتقل إليه الزوجة عادة بعد وفاة زوجها... فالزوجة إما ترجع إلى بيت أهلها أو تبقى في بيت زوجها والأخير لا يتم إلا عن أحد طريقين إما أنها تملكته في حياة زوجها أو أنها ورثته عنه والثاني غير ممكن بالنسبة لزوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند من يؤمن بحديث لا نورث أما الأول فلم يثبت أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نحل

البيوت لأزواجه، في حين أن فدكا نحلت لفاطمة الزهراء كما جاء في تفسير آية (وآت ذا القربى حقه) قالوا لما نزلت هذه الآية دعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاطمة وأعطاهها فدك [٧٦]. إذا كلمة (بيوتكن) لا دلالة فيها على ملكية زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لبيوته بل الآية الأولى واضحة في نسبة البيوت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي المقيدة للآية الثانية في حال حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). لقد طالبوا الصديقة الطاهرة بالبينه ولم يطالبوا غيرها بذلك... ما السبب؟! ذلك ما ستكشف عنه الأحداث كما سنفصل. [صفحة ٩١]

فدك الرمز

إشارة

تعرفنا على الزهراء من خلال القرآن فكانت المثال الأعلى للإيمان والتقوى والورع والزهد والعصمة.. تجلت لنا أسمى معاني الأيثار في الزهراء ومع أهل البيت (ع).. وجودون بطعامهم للمسكين واليتيم والأسير لقد مدحها الله مع أبيها وبعلمها وبنيتها فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ووصفهم بأنهم الموفون بالنذر الخائفون من يوم كان شره مستطيرا وهو تعالى القائل عن لسانهم (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) ثم جعل سبحانه وتعالى مودتهم أجرا للرسالة والنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يتحدث عن ابنته فتفيض كلماته لتعطي الزهراء (ع) هالة من القدسية يتوقف عندها كل القديسين والأولياء إجلالا لعظمتها، فاطمة (ع) هذه الشامخة المدركة تماما أنها ما خلفت إلا للآخرة.. إنها كانت من الصنف الذي لا يقيم لحطام الدنيا وزنا وهي التي أهدت حتى ثياب عرسها لسائلة مسكينة ليلة زفافها كما جاء في التاريخ [٧٧]... وهي من علمت أخى القارئ من خلال استعراض آيات الذكر الحكيم التي نزلت فيها إضافة إلى كلام أبيها وسيرتها العطرة... فاطمة الزهراء (ع) التي عرفتها هي أكبر من أن تطالب بقطعة أرض. يا ترى لماذا كان إصرارها على المطالبة بحقوقها المادية المتمثلة في فدك وغيرها من الخمس والميراث؟! إنها لم تكن حريصة على امتلاك شئ ماله إلى الزوال في هذه الدنيا ومن المستحيل أن ندعى على الزهراء بأنها قلبت الدنيا على الخليفة الأول من أجل شئ يرتبط بالدنيا.. لا.. سيما أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبرها بقرب موتها وسرعة لحاقها به. لا بد من أن يكون هنالك شئ عظيم استهدفته الزهراء من مطالبته بفدك، من مجمل الأحداث التي اطلعت عليها أثناء بحثي توصلت إلى مغزى مطالبة فاطمة بفدك [صفحة ٩٢] ومن ثم اتخاذها ذلك الموقف من الخلفاء وغضبها ودفنها ليلا وسرا. بعيد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة حدث الاختلاف حول الخلافة، البعض ينادى بخلافة علي (ع) وأهل البيت وآخرون يرون شرعية ما جرى في السقيفة من تولية لأبي بكر.. إن الأحداث بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذت بعدا آخر ولم تكن فدك فيها إلا حلقة من حلقات الصراع بين أصحاب السقيفة وأهل البيت (ع) المعارضين لها بقيادة علي وفاطمة (ع).. وكان بيت فاطمة هو ملتقى تلك المعارضة يقول ابن قتيبة في تاريخه "إن أبا بكر رضى الله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته في دار علي " وفاطمة " فأبوا أن يخرجوا فدعا عمر بالحطب، يريد منهم أن يبايعوا بالإكراه والقوة، وقال: والذي نفس عمر بيده. لتخرجن أو لأحرقنها علي من فيها. فقيل له يا أبا حفص إن فيها فاطمة فقال: وإن.. فوقفت فاطمة رضى الله عنها علي بابها فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضرا منكم تركتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقنا [٧٨]. لقد أطلقت فاطمة (ع) صوت المعارضة وحملت مشعل الحقيقة لتبين للجماهير التي اشتبه عليها الأمر وطالبت بفدك وأثبتت بذلك للتاريخ كله أن خلافة تقوم في أول خطوة لها بالاعتداء على أملاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليست امتدادا له بقدر ما هي انقلاب عليه كما هو الشأن في كل الانقلابات التي تتم في العالم حيث تتم مصادرة أملاك السابقين وأي شخص يتجرد من العصبية المذهبية ويفهم أوليات السياسة يدرك مغزى مصادرة (فدك) وإخراج عمال فاطمة منها وبالقوة أو كما يعبر صاحب الصواعق المحرقة "انتزاع فدك من فاطمة." "ولم تكن "فدك"

قطعة الأرض، هي مقصد فاطمة (ع) بل الخلافة الإسلامية التي كانت حقا لزوجها علي بن أبي طالب كما سنبين ويمكن [صفحة ٩٣]

تلخيص اسرار المطالبة بفدك في الآتي

١ - إن فاطمة كغيرها من البشر تطالب بحقها سواء كان ذلك نحلته أو هبة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو ميراثا أو حقوقا شرعية كالخمس، ومن هذا الحق الطبيعي انطلقت الزهراء لتعري القوم وتكشف عن حقيقتهم، والحكمة كانت تقتضى أن تكون المبادرة من الزهراء (ع) بعد أن استولى الحاكم الجديد على جميع امتيازات الهاشميين.. وكانت مطالبة علي بن أبي طالب وبقية الهاشميين بحقوقهم صعبة في ظل تلك الظروف التي رفض فيها هؤلاء مبايعة الخليفة وإمضاء ما جرى في السقيفة وأى محاولة منهم للتحرك كانت تعنى إعطاء الطرف الآخر المبرر للتصفية التي كانت تلوح في الأفق من خلال كلمات جماعة السقيفة وهم يتشاورون ويبحثون عن طريقة يجبرون بها الهاشميين وعلى رأسهم علي (ع) على البيعة. ٢ - لقد رأت الزهراء في المطالبة بفدك فرصة طيبة للإدلاء برأيها حول الخلافة وكانت لا بد من أن تدلى بتصريحاتها أمام الجماهير فاخترت المسجد المكان المناسب حيث معقل الخلافة هنالك وحيث كان أبوها يلقي الحديث تلو الحديث عن فضلها ومكانتها عند الله وصدقها وزهدا وقدسيته، ولذلك عرفت نفسها في الخطبة قائلة "واعلموا أني فاطمة وأبي محمد" وانطلقت في مهمتها الرسالية لتظهر حال ومآل الخلافة، وتكشف الحقائق ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. ٣ - كانت الخلافة المغتصبة هي محط أنظار البتول الطاهرة (ع) فجاءت مطالبته الحثيثة بفدك وغيرها من الحقوق وبعدها يفسح لها المجال لتطالب بالأمر الذي اختص به زوجها وهو ولاية أمر المسلمين.. وأصبحت فدك ترتبط بالخلافة بلا فاصل كما تحول محتواها وكبر معناها فلم ينحصر في قطعة الأرض المحدودة بل صار معناها الخلافة والبلاد الإسلامية كاملة.. وذلك ما وضحه حفيدها الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) حينما ألح عليه [صفحة ٩٤] الرشيد العباسي في أخذ فدك، قال له الإمام: ما أخذها إلا بحدودها، قال الرشيد: وما حدودها، قال (ع): الحد الأول عدن والحد الثاني سمرقند والحد الثالث إفريقية والحد الرابع سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية فقال له الرشيد، فلم يبق لنا شئ فتحول من مجلسي - أي إنك طالبت بالرقعة الإسلامية في العصر العباسي بكاملها - فقال الإمام: قد أعلمتك أني إن حددتها لم تردّها. فدك إذا هي التعبير الثاني عن الخلافة الإسلامية والزهراء (ع) جعلت فدك مقدمة للوصول إلى الخلافة. ذكر ابن الحديد في شرحه قال: سألت علي بن الفارقي مدرس مدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحرمة وقله دعابته قال: لو أعطها اليوم فدك بمجرد دعواها، لجاءت إليه غدا وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والمدافعة بشئ، لأنه يكون قد سجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدعى كائنا ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود [٧٩] ومما يؤكد دعوانا في أن الخلافة كانت في الهدف الأساسي ما جاء في الإمامة والسياسة من قول ابن قتيبة ".. وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على دابة ليلا- في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله لقد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر، ما عدلنا به فقال علي كرم الله وجهه: أفكنت أدع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم [٨٠]. [صفحة ٩٥] لقد كان لفاطمة (ع) موقف واضح من الخلافة حتى أن بيتها كان عند جماعة السقيفة هو مركز المعارضة حتى قال عمر في روايته لما جرى في السقيفة بعد أن ذكر أنها فتنه ولكن الله وقى شرها المسلمين يقول: وإن عليا والزيير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة [٨١]. تجمع الهاشميون في بيت فاطمة (ع) وأعلنوا معارضتهم لما جرى في السقيفة ومعهم بعض الأنصار الذين كانوا يهتفون: لا نبايع إلا عليا كما ينقل ابن الأثير ثم يقول "وتخلف علي وبنو هاشم والزيير وطلحة عن البيعة، وقال الزبير: لا أعمد سيفا حتى يبايع علي فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر [٨٢]. وجاء في تاريخ يعقوبى " أن البراء بن عازب جاء فضرب الباب على بنى هاشم وقال: يا معشر

بنى هاشم بويج أبو بكر فقال بعضهم: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه ونحن أولى بمحمد. فقال العباس: فعلوها ورب الكعبة [٨٣]. وينقل أيضا أنه قد " تخلف عن بيعه أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب منهم العباس والفضل بن العباس والزبير والمقداد وسلمان وعمار " " وبلغ أبا بكر وعمر أن هذه الجماعة قد اجتمعت مع علي في منزل الزهراء فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار [٨٤]. إذا لقد تابعت الزهراء أحداث المعارضة بكل تفاصيلها لأنها انطلقت من بيتها، وكما هو معلوم تختلف أدوار المعارضة من شخص إلى آخر، واتكأت فاطمة (ع) على شخصيتها الطاهرة المقدسة التي عرفهم بها القرآن والرسول فأعلنت المعارضة كما هو [صفحة ٩٦] واضح من النصوص التاريخية التي استعرضناها، وكانت المطالبة بفدك، لكن القوم أبوا إلا أن يسدوا كل المنافذ التي كانت تفتح لإيصال كلمة الحق للناس، ومع ذلك يظل موقف الزهراء نورا به يستكشف الحق لمن أراد حقيقته. لقد كانت الفترة ما بين وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حين وفاة ابنته فاطمة الزهراء (ع) منحنى خطيرا في تاريخ الأمة الإسلامية ترك بصماته واضحة لمن ألقى السمع وهو شهيد. وكان لفاطمة (ع) الدور الرئيسي في هذه الفترة وفي مقابل ذلك لم يسكت أصحاب السقيفة مكتوفي الأيدي وهم يرون الزهراء (ع) تفعل ما تفعل فكان لا بد لهم من محاولة إسكات هذه الصرخة فجرت الأحداث ساخنة كما تذكرها كتب التاريخ والسيرة.

الخلفاء واقتحام الدار

بلغ الصراع أعلى قمة له بين أصحاب السقيفة والهاشميين ومن نادى بخلافه علي (ع) حينما تحصنوا بدار فاطمة (ع) وأعلنوا رفض الخلافة وكان لا بد للسلطة آنذاك أن تتخذ خطوات عملية أكثر تطورا حتى لا تتفاقم الأمور وتسير على غير ما يشتهون خصوصا وأن الطرف المقابل المعارض وعلى رأسه علي وفاطمة (ع) له من القدسية ما يلهب في الآخرين الحماس والتحرك لمواجهة الحكومة. وفي مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث مقر الحكم بدأت المشاورات والتخطيط لإجبار المعارضين على البيعة وكما هو معلوم فإن بيت فاطمة يفتح مباشرة على المسجد ولا باب لهم إلا هذا كما سيأتي في حديث سد الأبواب إلا باب علي (ع). لقد كانت فكرة أصحاب السقيفة تتلخص في ضرورة إجبار هؤلاء على البيعة حتى لو اضطروهم ذلك لقتالهم وقتلهم. [صفحة ٩٧] جاء في كتاب الإمامة والسياسة.. " فأتى عمر أبا بكر فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك " يعني علي (ع) " بالبيعة؟ فقال أبو بكر لئن نفذ وهو مولى له: إذ به فادع لي عليا، قال فذهب إلى علي فقال له ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي لسريع ما كذبتهم علي رسول الله فرجع فأبلغ الرسالة قال: فبكى أبو بكر طويلا فقال عمر: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة [٨٥]. لقد كان الاصرار قويا من عمر وهو يلفت نظر أبي بكر إلى تخلف علي (ع) عن البيعة حتى أنهم هددوه بالقتل يقول ابن قتيبة " فقالوا له: بايع، فقال: إن لم أفعل فمه قالوا: إذا والله الذي لا إله هو نضرب عنقك [٨٦]. لقد استفحل الأمر بين الجبهتين حتى أنه وكما ينقل لنا اليعقوبي لو وافى عليا أربعون من المخلصين لكان لأمر الخلافة حديث آخر ولكن لم يجد علي من يعينه، يقول اليعقوبي " وكان خالد بن سعيد غائبا فقدم فأتى عليا فقال هلم أبايعك، فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك واجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة له، فقال لهم: أغدوا على غدا محلقيين الرؤوس فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر [٨٧]. ولم تبق وسيلة أمام السلطة إلا اقتحام الدار وإجبار من فيها حتى ولو كانت هذا الدار هي تلك الدار المقدسة التي يقطنها أهل البيت (ع) ولم يشفع أهل الدار دون أن تحرق وتنتهك حرمتها، وهذا ما جرى عندما تفقد أبو بكر قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه " فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده: لتخرجن أو لأحرقن علي من فيها فقيل له يا أبا حفص: إن فيها فاطمة؟ قال: وإن [٨٨]. [صفحة ٩٨] لقد حاولوا أن يلفتوا انتباه الخليفة الثاني الذي كان شديدا في الأخذ لبيعة أبي بكر ولكنه كان في كامل وعيه وهو ينوي الإحراق وإشعال النار في بيت بنت المصطفى، لقد نظم الشاعر حافظ إبراهيم الحادثة قائلا: وقوله لعلي قالها عمر++ أكرم بسامعها أكرم بملقيها أحرقت دارك لا- أبقى عليك بها++ إن لم تباع وبنت

المصطفى فيها من كان غير أبي حفص يفوه بها++ أمام فارس عدنان وحميها لقد استقبلتهم الزهراء (ع) من وراء الباب صارخة إلى أين يا بن الخطاب؟ أجنث لتحرق دارنا؟ قال: نعم [٨٩]. لم يكن أمام القوم إلا الخلافة، فاقترحوا تلك الدار وأدخلوا فيها الرجال. يقول اليعقوبي " وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار [٩٠]. لا أدري كيف طاوعتهم أنفسهم لهتك ستر هذه الدار التي كان الرسول يقبض حلقتها عند كل صلاة صائحا " الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا [٩١]. من أين أتتهم الجرأة لكشف ذلك البيت الذي كان يخرج رسول الله في أسفاره منه ثم يكون أول محطة له عند عودته. هذا البيت الذي كان يقده الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويأمر الناس بتقديسه.. ولكنها الخلافة.. الرئاسة... الملك. لقد أغلق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل الأبواب التي كانت تفتح على مسجده إلا باب هذا البيت.. فكيف يكون هو نفسه هدف الهجوم من [صفحة ٩٩] الرجال.. لقد جرى كل شيء على مرأى ومسمع الخليفة أبي بكر إذ أن المنبر ليس بعيد عن موقع الأحداث التي جرت في بيت فاطمة (ع) بل إن أبا بكر يعترف بأن الدار قد تم اقتحامها بأمره ويعتبرها إحدى أفعاله التي تمنى لو أنه لم يقم بها، يقول في مرض موته " إنني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتهن وددت أني تركتهن وثلاث تركتهن وددت أني فعلتهن وثلاث وددت أني سألت عنهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأما الثلاث اللاتي وددت أني تركتهن فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلقوه على حرب [٩٢]. في اليعقوبي... " : وليتني لم أفتش بيت فاطمة بنت رسول الله وأدخله الرجال ولو كان أغلق على حرب [٩٣]. في هذين النصين يبرز واضحا اعتراف الخليفة الأول بأن دار فاطمة قد اقتحمت بأمره ولعل كلمتي " أكشف " " وأفتش " دلالتهما بينة خصوصا وأن الدار المقصودة معقل المعارضة، وملتقى الهاشميين فالكشف والتفتيش أقرب المعاني المعبرة عن مراد السلطة آنذاك والكشف معناه كما في لسان العرب لابن منظور رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه وبالتأكيد على حسب كلام أبي بكر لم يكن ذلك برضاهم وإلا- لتغير التعبير لأن رفع الشيء عما يواريه وإظهاره يكون من جانب الكاشف، والمكشوف هنا بيت العصمة والطهارة بيت فاطمة التي قالت لأبي بكر وعمر عندما التقيا بها " أرأيتكما إن حدثكما حديثا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تعرفانه وتعملان به؟ قالا نعم فقالت نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني، قالا نعم، سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قالت فإني أشهد الله [صفحة ١٠٠] وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ولئن لقيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأشكونكما إليه فبكي أبو بكر. حتى كادت نفسه تزهق وهي تقول " : والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها [٩٤]. شيء عظيم هذا الذي فعلوه مع الزهراء حتى أصبحت تدعو على الخليفة الأول في كل صلاة لقد تفننوا في إرعاب قلب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، عندما جاء عمر والرجال لإحراق الدار وجمعوا الحطب كانت أول من تلتقتهم خلف الباب وصرخت ونادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة [٩٥]. ومع ذلك اقتحموا الدار وخلف الباب فاطمة، وذلك ما أقر به أبو بكر في قوله " وليتني لم أفتش بيت فاطمة وأدخله الرجال " ولا ينفع الندم لأن فاطمة (ع) حينما قال أبو بكر هذا كانت قد وصلت إلى أبيها وشكت إليه لأنها ماتت وهي واجدة عليه كما مر. لقد ظلل على الأجواء التوتر ورائحة الدم تملأ المدينة وشبح التصفية يطارد أهل البيت (ع) وفاطمة رمز المعارضة لا يبعد أن يصيبها وابل من غضب أصحاب السقيفة، وهذا ما جرى للأسف الشديد فهم اقتحموا الدار وفيه فاطمة، وأحرقوا الباب وخلفه فاطمة. وأنا أتابع هذه الأحداث أثناء بحثي لم يهمني إلا فاطمة.. ولضباية الرؤية التي كانت في كتب القوم صرت أبحث بتلief هنا وهناك وأتصيد المعلومات لأن الذين كتبوا التاريخ لا بد لهم من أن يحفظوا ماء وجه المقدسين لديهم فلا يبرزوا إلا بعض الحقائق عنهم. وكان يهمني مصير فاطمة، لأنها عندي كانت تعنى مصير الرسالة، ووجدت الطامة الكبرى، واكتملت لدى الصورة عندما رجعت إلى أحفادها " أهل البيت (ع) [صفحة ١٠١] وعرفت ما جرى ولكن قبل أن أصل إلى هذه الحقيقة لفت انتباهي أن

جمهرة من العلماء ذكرت اسم المحسن كأحد أبناء الإمام على من فاطمة لكن بعضهم اكتفى بذكره دون إشارة إلى موته والبعض الآخر قال أنه مات صغيراً أو حين ولادته وثالث قال أنه ولد سقطاً في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتساءلت عن سبب هذه الضباية والتعظيم على زمن وكيفية وفاة المحسن بعد أن ثبت كونه من جملة أولاد علي من فاطمة الزهراء (ع)، وتبين لي مع الأسف أن كل ذلك - من هؤلاء المؤرخين - كان محاولة منهم للجمع بين حقيقته كونه من جملة أولاد الزهراء من جهةً وصرف مسألة العنف الذي بسببه أسقطت الزهراء محسناً، فكانت الضباية، ولكن تواتر الأحداث مضافاً إليها الروايات القائلة بإسقاط الزهراء أثناء الهجوم يؤكد حقيقة واحدة وهي أن فاطمة كانت تحمل في بطنها جنيناً سماه النبي محسناً وهو في بطن أمه.. هذا الجنين لم ير النور قط، وإليك الأحاديث التي جمعناها في هذا الصدد: - قال الطبري وابن الأثير... "وقد ذكر أنه كان له (الإمام علي) منها (فاطمة) ابن آخر يقال له محسن وأنه توفي صغيراً [٩٦]. - قال يونس: سمعت ابن إسحاق يقول: "فولدت فاطمة لعلي حسناً وحسيناً ومحسناً، فذهب محسن صغيراً." وقال ابن إسحاق، فولدت فاطمة لعلي حسناً وحسيناً ومحسناً مات صغيراً [٩٧]. - قال ابن حزم الأندلسي: تزوج فاطمة علي بن أبي طالب فولدت له الحسن والحسين، والمحسن مات المحسن صغيراً [٩٨]. - جاء في تاج العروس ولسان العرب: شبر وشبير ومشبر هم أولاد هارون [صفحة ١٠٢] وبها سمي علي (رض) أولاده يعني حسناً وحسيناً ومحسناً [٩٩]. وهناك روايات تتحدث عن إسقاط المحسن قال المسعودي "وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى أسقطت محسناً [١٠٠]. إنه ولد ثالث للزهراء اسمه محسن، كما يذكر صاحب "ذخائر العقبى في مودة القربى" ويقول عنه أنه مات صغيراً.. "واسم محسن جديد على مسامعي لم أسمع به وما ورد في الحسن والحسين غير قليل فلماذا لم يرد شيء تفصيلي عن الابن الثالث لفاطمة الزهراء (ع)؟! بعد التنقيب والبحث اكتشفت لماذا يذكر المحسن كثيراً.. إذ أن ذكره يستتبع أموراً تهدد الجبال هداً.. وإليك شذرات مما وجدته وبعدها نحاول ربط الأحداث ببعضها لتتعرف على سر المحسن بن علي ثم نخرج على أهل البيت (ع) لنعلم الصورة كاملة: جاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني: قال إبراهيم بن سيار بن هاني النظام إن عمر ضرب بطن فاطمة حتى ألقى الجنين من بطنها وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها [١٠١]. وقال ابن حجر العسقلاني في ترجمة أحمد بن محمد بن السري بن يحيى أبي دارم المحدث أبو بكر الكوفي، قال محمد بن أحمد بن حماد الكوفي الحافظ بعد أن أرخ موته: كان مستقيم الأمر عامه دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب حضرته ورجل يقرأ عليه "أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن [١٠٢]. إذا لقد أسقطت فاطمة عليها السلام الابن الثالث محسن وذلك يعني أنه قتل ولم يمت.. [صفحة ١٠٣] في الواقع إن الأحداث الساخنة التي كانت آنذاك كان لا بد من أن يتخللها مثل هذه المصائب الفظيعة التي لم يذكرها المؤرخون السنة صراحةً والسبب معلوم كما ذكرنا ولكن شعاع الحق يرفض إلا أن يتسلل من بين ثنايا ذكر ما جرى أو بالأحرى ذكر ما يحبون ذكره مما جرى. لقد ذكروا كما رأينا أن عمر كان يصصر على أبي بكر أن يأخذ المتخلفين عن البيعة بالقوة ثم إنه هو الذي أخذ الرجال إلى باب دار فاطمة ومعه الحطب لحرق الدار إن هم رفضوا الخروج وعند وصولهم إلى باب الدار كان أول ما تلقتهم فاطمة (ع) خلف الباب كما ذكرت آنفاً وللتأكيد أورد لك هذين النصين وعليك عزيزي القارئ أن تنتقل بروحك وعقلك إلى تلك الفترة التاريخية لتتصور ما يمكن أن يجري، قال أحمد بن يحيى البلاذري: إن أبا بكر أرسل إلى علي يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة فتلقته فاطمة على الباب فقالت: يا ابن الخطاب أترأك محرقاً على بابي؟ قال: نعم [١٠٣]. وعن نفس الحادثة ينقل ابن عبد ربه الأندلسي: بعث إليهم - يعني المتخلفين عن البيعة - أبو بكر عمر ليخرجوا من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار علي أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب: أجنث لتحرق دارنا؟ قال: نعم [١٠٤]. لقد تصدت فاطمة (ع) لعمر من خلف الباب لعل قلوب الرجال تخشع عندما تسمع صوت امرأة قال عنها الرسول أنها سيدة نساء العالمين وربما لتكون عليهم الحجة أبلغ لقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "من آذى فاطمة فقد آذاني" ولذلك صرخت كما ينقل ابن قتيبة: يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك. [صفحة ١٠٤] ومع ذلك اقتحموا الدار بشهادة أبي بكر في تأسفه على الثلاثة اللاتي ود أنه لم يفعلهن.. وقال... "وأدخله الرجال" كما، مر، قال اليعقوبي "فأتوا في جماعة

حتى هجموا على الدار " ولو لم يتم الهجوم ما كان هنالك داع لتأسف أبي بكر الذي جاء متأخرا. لقد اقتحموا وإن شئت فقل هجموا على دار البتول الزهراء (ع) وكانت أول من تلقاهم خلف الباب، والهجوم والاقترحام عادة يكون بلا استئذان ولا رحمة ومما لا شك أن كل شيء يعترض تلك الهجمة الشرسة لا بد أن يتحطم ويبعد عن الطريق.. ولكن بكل أسى ولوعه كان ذلك الشيء بضعة الرسول ووصيته فاطمة (ع) فضربت حتى أسقط جنينها، هذه هي الحقيقة التي حاول القوم إخفاءها فتسللت من بين مجريات الأحداث وظهرت على صفحة التاريخ نقطة سوداء في جبين الأمة.. كان هذا القدر كاف لكي أجمع باقي خيوط القضية كاملة منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حين موت الزهراء (ع)، أو استشهادها.. نعم لقد انتقلت إلى جوار ربها مظلومة مقهورة بسبب ما جرى لها من ضرب ورفس أدى إلى إسقاط جنينها المحسن ومن ثم مرضت إلى أن لحقت بأبيها تشكو له ما جرى عليها. بعد ذلك توجهت إلى أحفادها لكي استمع منهم تفاصيل ما جرى وهم أدري بما جرى لجدهم الزهراء (ع) وهناك تجلت لي الحقائق.. ولكن كانت تكمن عقدي في أن ذلك يجعلني ألبأ إلى الروايات عن أهل البيت (ع) عن طريق الشيعة. فسألت نفسي.. ولماذا لا آخذ بقولهم لقد عرفت من كتب السنة أن فاطمة غضبت على الخلفيتين حتى ماتت ولم تأذن لأبي بكر أن يصلى عليها ثم إنها طالبت بالخلافة لعلي (ع)، وكان بيتها مركز المعارضة.. كما علمت أن بيتها كان مستهدفا من السلطة التي قررت إجبار من في البيت على البيعة وإن أبوا فالقتل والإحراق ونفذوا ما خططوه وهجموا على الدار وكان خلف الباب الزهراء تذكرهم برسول [صفحة ١٠٥] الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصاياهم ومع ذلك اقتحموا الدار وفاطمة تصرخ ورأيت بين طيات نفس الكتب أن هنالك من يقول بأن فاطمة ضربت وأسقط جنينها كما مر ومهما يكن صنف القول فتسلسل الأحداث يرجح وقوع ما جرى. لكل ذلك لم أجد أن عقلي يمانع في الأخذ بقول الأئمة من أهل البيت (ع) حول ما جرى من أحداث أدت إلى وفاة فاطمة (ع) فكتب السنة ليست أولى بالأخذ منها بكتب الشيعة لأن هذا أول الكلام الذي يحتاج إلى دليل لسنا في صدده الآن. وسأنتقل لك عزيزي القارئ تمام الأحداث كما تراءت لي عند أهل البيت (ع)، لقد تحدث أحفاد الزهراء وبينوا مفصلا ما جرى بعد أحداث السقيفة.. رواياتهم تقطر ألما وحسرة على هذه الأمة التي لم تحفظ رسول الله في أهله.. أغضبت الزهراء وأسقطت ابنها المحسن وقتلت زوجها غدرا وابنها الأكبر المجتبي الحسن سما وابنها الحسين ذبحا. يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق حفيد الزهراء سليل النبوة " ولا يوم كيوم محنتنا بكرىلاء، وإن كان يوم السقيفة وإحراق النار على باب أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة وزينب وأم كلثوم وفضة، وقتل محسن بالرفسة أعظم وأدهى وأمر. " إنني لن أستعرض كل ما ذكره أئمة أهل البيت (ع) حول الأحداث التي جرت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن ذلك يحتاج منا إلى مجلدات، لقد أكثر أهل البيت في بيان ذلك حتى تتعرف الأمة على أصل المأساة التي سببت الفرقة والشتات.. وسأخذ بعضا من هذه الروايات لتكتمل الصورة أمام القارئ العزيز. لقد جرت أحداث السقيفة وتنصيب الخليفة أبي بكر وأهل البيت مشغولون بمصائبهم في وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبالذات الإمام علي (ع) الذي أوصاه الرسول ألا يلي غسله غيره. انتهى أمر الخلافة التي لم يشارك في مشاوراتها علي بن أبي طالب فكان موقفه [صفحة ١٠٦] الذي علمته وسيأتيك مزيد من التفصيل عنه، فلقد رفض البيعة وبدأ يذكر الناس بالعهود والمواثيق، يقول سلمان الفارسي " فلما أن كان الليل حمل علي (ع) فاطمة على حمار وأخذ بيدي ابنه الحسن والحسين فلم يدع أحدا من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتاه في منزله فذكروهم حقه ودعاهم إلى نصرته فما استجاب له منهم إلا -أربعة وأربعون رجلا، فأمرهم أن يصبحوا بكره محلقين رؤوسهم معهم سلاحهم ليبيعوا على الموت فأصبحوا فلم يواف منهم أحد إلا أربعة: أنا وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام، فعل ذلك مرتين وعندما رأى غدرهم وقلة وفائهم له لزم بيته وأقبل على القرآن يجمعه [١٠٥]. ورفض أن يبيع. أرسلوا إليه ليبيع وبدأت من هنا المواجهة الساخنة بعد أن أمر عمر بجمع الحطب أمام بيت فاطمة مهددا بالإحراق إن لم يبيع علي، جاؤوا ليحبوا أهل البيت على البيعة، وقفت فاطمة خلف الباب لعل القوم يراعوا حرمتها وحریمها فلم ينفع فيهم ذلك قال الإمام الكاظم (ع) وهو موسى بن جعفر الصادق - وهو يصف ما جرى - لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوفاة دعا الأنصار وقال يا معشر الأنصار لقد حان الفراق إلى أن قال: ألا إن فاطمة

بابها بابي وبيتها بيتي فمن هتكه فقد هتك حجاب الله. " قال الراوى فبكى الإمام الكاظم " أبو الحسن (ع) طويلا وقطع بقيه كلامه وقال: هتك - والله - حجاب الله هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله [١٠٦]. كما جاء عن الإمام الباقر (ع) محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، وهو يتحدث عن الزهراء: وحملت بالحسن فلما رزقته حملت بعد أربعين يوما بالحسين ثم رزقت زينب وأم كلثوم وحملت بمحسن فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله [صفحة ١٠٧] وسلم) وجرى ما جرى يوم دخول القوم عليها دارها. أسقطت ولدا تماما - وهو محسن - وكان ذلك أصل مرضها ووفاتها صلوات الله عليها. وورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: لما أسرى بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قيل له: إن الله يختبرك فى ثلاث وصار يعددها إلى أن قال: وأما ابتكت فتظلم وتحرم ويؤخذ حقها غضبا الذى تجعله لها وتضرب وهى حامل ويدخل عليها وعلى حريمها ومنزلها بغير إذن ثم يمسه هوان ولا تجدد، مانعا وتطرح ما فى بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب. " ويقول الإمام الصادق (ع) واصفا بعض ما جرى: وضرب سلمان الفارسى، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين لإحراقهم بها وضرب فاطمة ورفس بطنها وإسقاط محسنها. " وقوله (ع) وهو يصف ما جرى لأهل البيت فى رواية طويلة أخرى يتحدث فيها عما فعله القوم.. " وجمعهم الجزل والحطب على الباب لإحراق بيت أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وإضرارهم النار على الباب وخروج فاطمة إليهم وخطابها لهم من وراء الباب: ويحكم ما هذه الجراء على الله ورسوله، " قال عمر: ما على إلا كأحد المسلمين فاخترى إن شئت خروجه لبيعة أبى بكر أو إحراقكم جميعا. " وهجومهم على الدار وركل عمر للباب برجله حتى أصاب بطنها وهى حامل لستة أشهر وإسقاطه إياه وصياح أمير المؤمنين لفظة: يا فضة مولاتك فاقبلى منها ما يقبله النساء، فقد جاء المخاض من الرفسة ورد الباب فأسقطت محسنا، وقال (ع): فإنه لاحق بجده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيشكو له [١٠٧]. [صفحة ١٠٨]

استشهاد الزهراء

ما أفسى لحظات فراق الأحبة، خصوصا إذا كان للعلاقة جذور تضرب فى عمق القيم والمثل وتسقى بالوحي.. علاقة لا كسائر العلاقات.. علاقة بين نبي عظيم وابنة صديقه طاهرة من لحمه ودمه، ابنة ذابت فى حب أبيها وليس حبا للأبوة فقط إنه حب من نوع آخر لا ندرك كنهه أنا وأنت.. لماذا؟! لأنها متبادلة بين أب اختاره الله باعتباره أعظم وأشرف خلق الله وهو المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وابنة طهرها الله وعصمها إذا هو حب منشؤه حب الله وطاعة الله.. لقد انفصمت عرى هذه العلاقة بانتقال الأب والمربي إلى الرفيق الأعلى، وترك الرسالة الإلهية من خلفه وقد أناط استمرارها تلك بالطرف الباقي الآخر، الابنة الزكية التى تدخلت الإرادة الإلهية مباشرة حتى فى زواجها فكان الزوج عليا بن أبى طالب أفضل من يحفظ الرسالة فى شخص فاطمة (ع) وغيرها. لكن القوم ما فهموا معنى الرسالة والرسول، وما عوا معنى النبوة والوحي بل لم يقدر الله حق قدره فاعترضوا على حكمه وتجاوزوا قوله.. ومن ثم اعتدوا على مقام النبوة، وأبوا إلا يجرعونا وكل المحبين لله ولرسوله الغصة تلو الأخرى، وتأبى الدمعة إلا أن تتسلل مصحوبة بألم هائل، إنها الزهراء وما أدراك ما الزهراء!! من يوم ما تعرفت على مأساتها وأنا أشعر بمسحة كآبة تمر بوجدانى وحزن عميق يلفنى عند ذكر اسمها فالقوم لم يراعوا فجيعتها بأبيها فاغتصبوا حقها وقبل ذلك ارتقوا مركبا صعبا هم ليسوا أهلا له ثم أرادوا إتمام ذلك ولو بالقوة فكان ما كان. بقيت الزهراء حزينة منكسرة فى بيتها تبكى وتشكو همها إلى الله عز وجل وتنتظر يومها الموعود فقد أخبرها المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنها أول أهل بيته لحوقا به كما مر... فضلت تبكى وتبكي إلى أن جاء " شيوخ " أهل المدينة يظهرون لعلى انزعاجهم وتأذيهم من بكاء فاطمة ويطالبونه بأمرها بالكف عن ذلك [صفحة ١٠٩] أو تخييرها بين البكاء ليلا فقط أو نهارا فقط، فبنى لها أمير المؤمنين على (ع) بيتا خارج المدينة سمي " بيت الأحران. " هناك واصلت مأساتها. ويوما فيوما راحت تذبذب تلك الزهرة الياضعة. وأخذ المرض منها مأخذا، يقول الإمام الصادق (ع)... (فأسقطت محسنا ومرضت من ذلك مرضا شديدا وكان ذلك هو السبب فى وفاتها).. كيف لا يكون كذلك وهى ابنة ثمانية عشر عاما.. لقد اكتملت عليها المصائب بضربها واقتحام دارها

فكانت البداية والنهاية... وصارت طريحة الفراش تنتظر أجلها الذي اقترب منها سريعا وبجانبها على (ع)، يقول الإمام زين العابدين (ع) عن أبيه الحسين (ع) قال: لما مرضت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصت على بن أبي طالب (ع) أن يكتفم أمرها ويخفي خبرها ولا يؤذن أحدا بمرضها، وكان يمرضها بنفسه وتعيه على ذلك أسماء بنت عميس على استمرار بذلك. لقد يئست الزهراء من أهل المدينة الذين طلبت نصرتهم فلم ينصروها لقد سئمتهم وزهدت في مروءتهم فبلغ بها الأمر ألا تريد رؤيتهم في مرضها الأخير.. يكفيها على ليقف بجانبها وهي على هذه الحالة في اليوم الأخير قبيل رحيلها نامت الزهراء (ع) في ساعة من ساعات ذلك اليوم وإذا بها ترى أباه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام في قصر من الدر الأبيض فلما رآها (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: هلمى إلى بنية فإني إليك مشتاق!! فقالت: والله إنني لأشد شوقا إليك فقال لها: أنت الليلة عندي. انتبهت من غفوتها وبدأت الاستعداد للحق بأبيها.. إن هي إلا ساعات تقضيها في هذه الدنيا الفانية ويتحقق قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لها قبيل انتقاله... وأكده لها بعد انتقاله إنها النبوة ومن ذلك كان يقين فاطمة بقرب النهاية.. بينما الفرح يغمرها لارتحالها إلى العالم الأبدى حيث الرضوان الأكبر وجنة [صفحة ١١٠] عرضها السماوات والأرض يعترضها ألم من ناحية أخرى. سوف تترك الزهراء (ع) الزواج العطوف وحيدا بعدها، وفراخا لم تنبت أجنحتهم بعد وزهورا لم تفتح. إنهم أفلاذ كبدها... ستغادرهم وتتركهم لهذه الحياة التي تحمل الكثير الكثير من المأسى خصوصا لهؤلاء، إنهم آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر الناس بلاء وأعظمهم امتحانا.. وإن بعض شذاذ الآفاق ونبذة الكتاب يتربصون بهم.. ستودعهم وهي تنظر إلى ذلك المستقبل غير المجهول لأبنائها وزوجها.. إنها تنظر بعين أبيها الباصرة بإذن الله إلى الغيب حيث يضرب على بالسيف غيلة وهو في محرابه ويقتل الحسن سما والحسين تمزيقا بسيف بدأ سلها في وجه أهل البيت (ع) منذ وفاة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم). كل ذلك يدور في خلد الزهراء وهي تمشي نحو الماء متكنة على الحائط من شدة الضعف لتغسل أطفالها وثيابهم آخر غسله وهي ترتعش وكأنها تودعهم.. لا أدري عمق شعورها آنذاك، إن من جملة أسمائها (الحانية) لأنها كانت القمة في الحنان والعطف على أبنائها. دخل الإمام على (ع) البيت ووجدها على رغم علتها تمارس أعمالها وتخدم في البيت. رق لها قلب الإمام وهي بهذه الحالة فأخبرته بأنه آخر أيامها وأخبرته بما رآته وسمعتة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أثناء نومها وعادت إلى فراشها ثم قالت له: يا ابن عم!! إنه قد نعت إلى نفسي وإنني لا أدري ما بي إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة وأنا أوصيك بأشياء في قلبي... قال لها على (ع): أوصني بما أحببت يا بنت رسول الله فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، قالت: يا ابن عم! ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني.. فقال على (ع) معاذ الله! أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفا من الله من أن أوبخك بمخالفتي وقد عز على مفارقتك وفقدك إلا أنه أمر لا بد منه، والله لقد جددت على مصيبي رسول الله وقد [صفحة ١١١] عظمت وفاتك وفقدك فإنا لله وإنا إليه راجعون وبكيا جميعا ساعة، وأخذ الإمام رأسها وضمها إلى صدره ثم قال: أوصني بما شئت، فإنك تجدينني وفيما أمضى لما أمرتني به وأختار أمرك على أمري. فقالت: جزاك الله عنى خير الجزاء.. يا ابن عم، أوصيك أولا: أن تتزوج بابنة أختي أمامة، فإنها تكون لولدى مثلي، فإن الرجال لا بد لهم من النساء ثم قالت، وأوصيك إذا قضيت نحبي فغسلني ولا تكشف عني فإني طاهرة مطهرة وحنظلي بفاضل حنوط أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصل على، وليصل معك الأذى فالأذى من أهل بيتي وادفني ليلا لا نهارا إذا هدأت العيون ونامت الأبصار، وسرا لا جهارا وعف موضع قبري ولا تشهد جنازتي أحدا ممن ظلمني. لقد أرادت الزهراء (ع) مواصلة الجهاد بعد مماتها فكانت وصيتها الاعلان الأخير لموقفها الصامد والمستم من وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحتى مرضها وتريده باقيا إلى ما شاء الله.. تدفن بنت المصطفى سرا. ليلا لا يصلى عليها إلا أهل بيتها والمخلصون لهم!! في لحظاتها الأخيرة طلبت ثيابا جديدة ثم دعت سلمى امرأة أبي رافع وقالت لها هيني لي ماء وطلبت منها أن تسكب لها الماء وهي تغتسل ثم لبست ملابسها الجديدة وأمرت أن يقدم سريرها إلى وسط البيت واستلقت عليه مستقبلة القبلة وقالت إنني مقبوضة الآن، فلا يكشفني أحد. تقول أسماء بنت عميس: لما دخلت فاطمة البيت انتظرتها هينة ثم ناديتها فلم تجب فنادت: يا بنت محمد المصطفى، يا بنت أكرم من حملته النساء، يا

بنت خير من وطأ الحصى، يا بنت من كان من ربه قاب قوسين أو أدنى، فلم تجب، فدخلت البيت وكشفت الرداء عنها فإذا بها قد قضت نحبها شهيدة صابرة مظلومة محتسبة ما بين [صفحة ١١٢] المغرب والعشاء فوقعت عليها أقبلاها، وأقول يا فاطمة إذا قدمت على أبيك (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقرئيه منى السلام. فيينا هي كذلك وإذا بالحسن والحسين دخلا الدار وعرفا أنها ميتة فوقع الحسن يقبلها ويقول: يا أمه كلميني قبل أن تفارق روحى بدنى، والحسين يقبل رجلها ويقول يا أمه أنا ابنك الحسين، كلميني قبل أن ينصدع قلبى فأموت. ثم خرجا إلى المسجد وأعلما أباهما بشهادة أمهما فأقبل أمير المؤمنين إلى المنزل وهو يقول: بمن العزاء يا بنت محمد؟ وقال: (اللهم إنها قد أوحشت فآنسها، وهجرت فصلها، وظلمت فاحكم لها يا أحكم الحاكمين). وخرجت أم كلثوم متجللة برداء وهى تصيح: يا أبتاه يا رسول الله الآن حقا فقدناك فقدنا لقاء بعده، وكثر الصراخ فى المدينة على ابنه رسول الله، واجتمع الناس ينتظرون خروج الجنازة، فخرج إليهم أبو ذر وقال: انصرفوا إن ابنه رسول الله أخر إخراجها هذه العشيء. وأخذ أمير المؤمنين فى غسلها، وعلل ذلك حفيدها الإمام الصادق (ع) يقول: إنها صديقة فلا يغسلها إلا صديق كما أن مريم لم يغسلها إلا عيسى (ع)، وقال (ع): إن عليا أفاض عليها من الماء ثلاثا وخمسا وجعل فى الخامسة شيئا من الكافور، وكان يقول: اللهم إنها أمتك وبنت رسولك وخيرتك من خلقك، اللهم لقنها حجتها، وأعظم برهانها وأعل درجاتها، وأجمع بينها وبين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). وحنطها من فاضل حنوط رسول الله الذى جاء به جبرائيل إذ أخبرهما النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) سابقا: يا على ويا فاطمة هذا حنوط من الجنة دفعه إلى جبرائيل وهو يقرئكما السلام ويقول لكما.. أقسماه واعزلا منه لى ولكما، فقالت فاطمة: ثلثة لك والباقى ينظر فيه على (ع) فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وضمها إليه وقال: إنك موفقة رشيدة مهديء ملهمة، يا على قل فى الباقى، فقال: نصف منه لها، والنصف لمن ترى يا رسول الله قال هو لك. [صفحة ١١٣] وكفنها فى سبعة أثواب، وقبل أن يعقد الرداء عليها نادى: يا أم كلثوم، يا زينب، يا فضة، يا حسن، يا حسين، هلموا وتزودوا من أمكم الزهراء، فهذا الفراق واللقاء الجنة. حقا إنها لحظات وداع لشمعة انطفأت وطالما احترقت لتتير للآخرين.. ما أعظم الرزية وما أجل المصيبة. أقبل الحسنان (ع) يقولان: واحسرة لا تنطفى من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا الزهراء؟ إذا لقيت جدنا فأقرئيه منا السلام وقولى له: إنا بقينا بعدك يتيمين فى دار الدنيا. قال أمير المؤمنين (ع) وإذا بهاتف من السماء ينادى يا أبا الحسن ارفعهما عنها، فلقد أبكيا والله ملائكة السماء فرفعهما عنها وعقد الرداء عليها. وجاءت أهم اللحظات.. لحظة تنفيذ بند الوصية المهم ذلك البند الذى سىظل شاهدا على موقف الزهراء إلى القيامة. إنها لحظات الدفن التى يجب أن تكون سرا وقبلها الصلاة على الجنازة الذى كان محمدا فيها ألا يكون فيه شخص ممن ظلم الزهراء. هكذا كانت الوصية. جن الليل.. نامت العيون وهدأت الأبصار. وجاء فى جوف الليل نفر قليل من الهاشميين ومن المحبين الذين وقفوا مع على وفاطمة موقفا إيجابيا وهم سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار، صلى عليها الإمام على (ع) ومعه هذه العصبه القليلة المباركة.. ثم دفنها ولما وضعها فى اللحد قال: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله وعلى ملء رسول الله محمد بن عبد الله، سلمتك أيتها الصديقة إلى من هو أولى بك منى، ورضيت لك بما رضى الله لك. ثم قرأ (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى). ثم إنه (ع) سوى فى البقيع سبع قبور، أو أربعين قبرا لكى يضيع بينها قبر [صفحة ١١٤] الزهراء (ع)، ولما عرف شيوخ المدينة دفنها، وفى البقيع قبور جدد أشكل عليهم الأمر فقالوا: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور لنخرجها ونصلى عليها، فبلغ ذلك عليا (ع) فخرج مغضبا عليه قباؤه الأصفر الذى يلبسه عند الكريهة ويده ذو الفقار، وهو يقسم بالله لئن حول من القبور حجر ليضعن السيف فيهم، فتلقيه عمر ومعه جماعة فقال له: ما لك، والله يا أبا الحسن لننبش قبرها ونصلى عليها. فقال على (ع) وهو غاضب: أما حقى فتركته مخافة أن يرتد الناس عن دينهم، وأما قبر فاطمة فولذى نفسى بيده لئن حول منه حجر لأسقين الأرض من دمائكم، فتفرق الناس [١٠٨] . وأسدل الستار عن أول محطة سقطت الأمة فى امتحانها، وغادرت الزهراء مشتاقة للقاء ربها وأبيها ذهبت وهى تحمل جراحات مثخنة وآلاما عظاما.. انتقلت لتشكو إلى الله سبحانه وتعالى ليحكم لها على من ظلمها وتركت لنا أعلام هداية ومنازل فرقان.. رحلت وخلفت فينا سرها. سرها الذى دفن فى قبرها الذى دفنت فيه سرا. إنه سر سهل ممتنع لا تطوله كل العقول ولا يمتنع عن جميع العقول،

سر لا يطوله إلا من أشرق في قلبه نور فاطمة وارتشف من ضياه عقله فانفتح على الحق والخير ونفر من الظلم والانحراف. ورغم أنني تجرعت كأس ألمها إلا- أنه بالنسبة لي كان ممزوجا بالحلاوة. شربت منه فأشرفت لي فاطمة بنورها فكانت الدليل إلى الصراط المستقيم. وما أعظم شأنها. حقا إنها فاطمة بنت محمد زوج علي.

الزهراء صرخة مدوية عبر التاريخ

لقد انتقلت الزهراء (ع) إلى بارئها هناك حيث جنة عرضها السماوات والأرض تنتظر يوم القيامة يوم الحساب.. ولكنها تركت صرخة تجلجل وتدوى لتحرك [صفحة ١١٥] الضمائر الميتة وتهز الوجدان وتنفض غبار الغفلة والشهوات والتكبر عن العقول.. صرخة ألم ولوعة أما صرخة الألم فهو نتاج ما لحقها من أذى وضرب وإسقاط جنين وأما اللوعة فهي مما اقترفته الأمة تجاه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسالته التي لم تحفظ.. لقد غادرت الزهراء وتركت سهمين في صدر التاريخ ينزفان دما الأول انتقالها وهي لم تكمل عقدها الثاني أما الآخر فهو دفنها ليلا سرا حتى أن قبرها الذي تهفو إليه قلوب الملايين لا يعرف له موضع.. حسرة وما أعظمها من حسرة إنها إشارة الزهراء لننطلق في تلمس الحقائق، ثمانية عشر ربيعا فقط وكانت أول أهل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) لحوقا به.. ترى لماذا... صحيح أن الموت حق على كل العباد ولكن ألا يقفز إلى الذهن السؤال عن سبب الموت؟ كلنا عندما نفقد عزيزا في ريعان شبابه ويأتينا الخبر بموته نسأل مباشرة وكيف مات؟! وهذا ما يريد الله عز وجل منا لنصل إلى عمق المسألة، سؤال فطري.. ما الذي جعل الزهراء (ع) تنتقل بهذه السرعة وغيرها يمتد به العمر إلى ما شاء الله.. وعندما نسأل أنفسنا هذه الأسئلة سنكتشف الحقيقة.. أولا حزنا على فقد الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم على غضب الحقوق ثم اعتداء وضرب وإسقاط الحقوق حقوقها وحقوق زوجها وأبنائها وحقوق الأمة الإسلامية ويتوج ذلك كله الاعتداء الصارخ بالإحراق والضرب والرفس ومن ثم إسقاط المحسن "ألا يكفي هذا لأين تهد الجبال هدا.. إن الزهراء (ع) قاست كل ذلك لا لكي تجني فائدة شخصية ولكن لتثبيت دعائم الإسلام.. هكذا يريد الله تعالى أن يكشف لنا عن الحقائق عبر حياة أوليائه. والسهم الآخر دفنها سرا.. إن الزهراء (ع) بنت النبوة ربيبة الوحي تخدم الرسالة حية وميتة.. لقد أمرت ألا يصلى عليها رمز الشرعية في السقيفة وأن تدفن ليلا سرا حتى لا يعلم قبرها فيبقى التساؤل عن سر ذلك قائما حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا.. كل الشخصيات الهامة، وكل الصالحين نعرف قبورهم ويقصدها من يقصدها إلا الصديقة الطاهرة أم أبيها ترى لماذا؟! إنها أيضا رسالة الرسالة لمن يؤمن بالرسالة وذكرى لقوم يعقلون. [صفحة ١١٩]

الامامة والخلافة

تمهيد

لم أكن أتصور بأنني سأجد هذا الزخم الهائل من الأحاديث والآيات التي تؤيد وتدعم دعوى الشيعة. فبعد حوارى مع ابن عمى، والذي أخذ منحى آخر معى متوخيا الحذر بعد أن علمت بظلامه الزهراء (ع)... أعطاني ثلاثة كتب قرأتها، كان الأول لدكتور أعلن ولاءه لأئمة أهل البيت (ع) بعد أن كان من علماء أهل السنة والجماعة، والكتاب الثاني "المراجعات" وهو مناظرة قيمة جرت بين عالم شيعى وهو السيد عبد الحسين شرف الدين وآخر سنى كان زعيما للأزهر الشريف هو الشيخ سليم البشرى، وكتاب آخر عن تأريخ الشيعة وظلم الحكام لهم على امتداد التاريخ، وحقا كان لكتاب "ثم اهتديت" للدكتور التيجانى السماوى الدور الأكبر فى تحفيزى للبحث كما أنه كان دافعا لقراءة كتاب المراجعات بدقه وعناية ولا أظننى سأجد كتابا على أديم الأرض أكثر قوة وحجة ومنطقا من كتاب المراجعات الذى أمارت اللثام وأبطل كل حجج الشيخ البشرى بأدب ووقار. وأذكر ذات يوم أن أحد الأشخاص استعار كتاب المراجعات من أحد الأصدقاء وبعد فترة وجيزة جاء بالكتاب وهو يقول - محاولا الاستهزاء به كرده فعل طبيعى إنه

مختلف وإن هذه المناظرة أساسا لم تقم، فأجابه الأخ: - يا شيخنا فلنفرض جدلا أن هذه المناظرة لم تكن، وأن هذه الشخصيات لا وجود لها في الحقيقة ما رأيك فيما ورد في الكتاب من الأدلة، نحن كلامنا ليس حول الشخصيات وما يهمننا محتوى الكتاب إذا كنت تملك ردا عليه ففضل (هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) وإلا فالزم الصمت... فصمت صاحبنا. والحال إننا نتق بأن هذه المناظرة والحوار بين السيد عبد الحسين والشيخ سليم حدثت حقيقة، والشخصيتان علما بارزان في سماء الأوساط الدينية عند الشيعة والسنة. وسوف أقدم مجموعة من الأدلة تأخذ بأعتاقنا شئنا أم أبينا إلى اتباع أهل البيت (ع) والافتداء بهم دون غيرهم من الخلق لأنهم خلفاء رسول الله (صلى الله عليه [صفحة ١٢٠] وآله وسلم) وإن الهدى في اتباعهم وأخذ الدين منهم وموالاتهم وإن الضلالة في موالاتهم ولن آتى دليل من خارج الكتب المعتمدة لدى أهل السنة والجماعة حتى نلزمهم بما ألزموا به أنفسهم. وموضوع بحثنا كما هو واضح الإمامة والخلافة التي قيل فيها: لم يسلم سيف في الإسلام كما سل في الإمامة، وهي جذر الخلاف القائم بين الشيعة والسنة ومن عندها تفرع حتى وصل إلى أصغر الجزئيات فهل الإمامة نص وتعيين أم هي شورى واختيار من قبل المحكومين؟.

بالشورى ام بالتعين؟

مفهوم الشورى عند أهل السنة والجماعة غير واضح

الحق إن الكلام حول خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غير واضح عند الإخوة أهل السنة فتارة يقولون بالشورى وأخرى يعطون الشرعية للنص، ومع ذلك لا نجد مستندا شرعيا ولا دليلا يؤيد دعواهم، وقد تمسكوا بآيتين وردتا في القرآن الكريم اشتبه على القوم سبيل فهمهما كما سنبين. ولم نجد عندهم مفهوما واضحا للشورى ولا حدودا ولا تفاصيل سواء من القرآن أو السنة، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يوضح شيئا - كما يظنون - عن أخطر فتنة يمكن أن تتعرض لها الأمة وهي الخلافة بحسب منهجهم، وهو الذى يحمل على عاتقه تبليغ خاتمة الرسالات ولم يترك فيها كبيرة ولا صغيرة يحتاجها الناس إلا وبينها لهم حتى أحكام التخلي فكيف بقيادة الأمة ونظام الحكم فى الإسلام؟ بل إن القول فى الشورى عندهم عبارة عن اجتهادات لعلماء رسموا مفهومها الدينى بناء على ما جرت عليه الأحداث، فقالوا يجوز لولى الأمر أن يعين خليفته كما فعل أبو بكر، ويمكن أن تنعقد البيعة لأحدهم بمبايعة فرد واحد [صفحة ١٢١] كما بايع العباس عليا بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكما بايع عمر أبا بكر، ومنهم من قال إن الشورى تنعقد بأهل الحل والعقد ولكن دون توضيح من هم أهل الحل والعقد ومن الذى يعينهم، وبعضهم جمع بين كل ذلك وتاه فى ظلمات بعضها فوق بعض... وكل ذلك تقول على الدين لا يؤيده دليل عقلى ولا نقلى اللهم إلا الآيتان الشريفتان وهما أجنبيتان عن المقام ولا يمكن تثبيت هذه الشورى المزعومة بهما. الآية الأولى: قوله سبحانه وتعالى: (وشاورهم فى الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله) (سورة آل عمران: آية / ١٥٩). استدلوها بهذه الآية على أصل الشورى وقالوا إن الخلافة والإمامة بالشورى فى حين أن الآية واضحة فى خلاف مرادهم إذ أنها تخاطب الحاكم الذى استقرت حكومته وتوجهه لمشاورة الرعية لأنه هو الذى يشاور، ونفس الآية تشير إلى أن هنالك ثمة رئيس (حاكم) بعد أن يمحص الآراء والأفكار يأخذ بالنافع منها ثم يعزم هو على ما ارتآه بعد المشاورة متوكلا على الله.. كذلك تبين الآية أن الأمر هنا غير الحكومة، فبدون الحاكم لا وجود للشورى لأنها تحتاج إلى حاكم يكون قيما عليها ليعزم ويتوكل على الله، وبناء على هذه الآية لا تتم الشورى إلا بولى الأمر الذى يفصل فى موضوعها، وعلى ذلك لا دلالة للآية على الشورى التى بها يتم اختيار ولى الأمر لأن وجوده مكمل لنفس الشورى، ويتوقف اختياره على وجوده ضمن الجماعة المكونة للشورى، وهذا يلزم الدور وهو باطل، والدور يعنى تثبيت وجود شئ بوجود شئ آخر يتوقف وجوده على وجود الشئ الأول مثل قضية الدجاجة والبيضة أيهما أول فالبيضة يتوقف وجودها على الدجاجة وكذلك الدجاجة وما أشبه!! الآية الثانية: قوله تعالى: (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) (سورة الشورى: آية / ٣٨) إن الآية الكريمة حثت على

الشورى فيما يمت إلى شؤون [صفحة ١٢٢] المؤمنين بصله، لا- فيما هو خارج عن حوزة أمورهم، أما كون تعيين الإمام داخلا فى أمورهم فهو أول الكلام، إذ لا ندرى هل هو من شؤونهم أم من شؤون الله سبحانه وتعالى وعلى فرض أن ذلك من شؤونهم فمع هذا لا يصح الاستدلال بهذه الآية فى موضوع تعيين الإمام والخليفة إذ لا يقال أنه يجوز قيام الشورى الشرعية دون ولى الأمر كما ذكرنا فى الاستدلال بالآية السابقة، والآية فى الواقع عامة تولت تفصيلاتها آية (وشاورهم فى الأمر...) أما الآية موضع البحث فقد جاءت تتحدث عن صفات المؤمنين والرسول (صلى الله عليه وآله) أحدهم بل أكملهم وأتقاهم وهو ولى الأمر المستقر له الوضع، فلا يمكن أن لا- تكون له كلمة الفصل، وواضح من الآية أنها نزلت بلحاظ وجود ولى الأمر بينهم لا بعدم لحاظه ومن يدعى غير ذلك فعليه الإثبات. إذا علمت ذلك نقول أنه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إما كان هناك ولى أمر فلا داعى للشورى لتنصيبه، وإما لم يكن فيحتاج إلى شورى شرعية حتى يتم تنصيبه. والشورى الشرعية تحتاج إلى ولى أمر قيم عليها يأخذ بالنافع بعد المشاورة ويعزم عليه وبدونه تكون الشورى غير شرعية فلا يلزم بها أحد من المسلمين. وبناء على ذلك لا بد من النص على الإمام (ولى الأمر) وهذا ما يثبته التاريخ والعقل ومرويات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن وفيها ما يشبعك.

التعيين ضرورة

جاء فى سيرة ابن هشام. لما دعا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنى عامر للإسلام وقد جاؤوا فى موسم الحج إلى مكة قال رئيسهم: أريت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أكون لنا الأمر من بعدك؟ قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): [صفحة ١٢٣] "الأمر لله، يضعه حيث يشاء" [١٠٩]. لقد بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الأمر لله تعالى وهذا القرآن الذى نتلوه ليل نهار يؤكد ذلك أيضا بقوله تعالى: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [١١٠]. والاصطفاء الإلهى لحمل عبء تبليغ الرسالة والحفاظ عليها سنة إلهية لن تتغير ولن تتبدل، قال الله سبحانه وتعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) [١١١] ويقول جل وعلا (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) [١١٢]، ويؤكد سبحانه وتعالى أن الأمر ليس بيد أحد مهما بلغ من الوعى فأضاف إلى نفسه تعالى الاختيار والجعل يقول تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) [١١٣] (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) [١١٤]. وهذا الجعل ليس بأمر الأمة بل بأمر الله (بأمرنا) ولا يعقل أن يكون الضمير فى "أمرنا" شامل للأمة إذ ليست هى التى توحى إلى الأئمة فعل الخيرات وإقام الصلاة... كما أن الأمة ليست هى المعبودة (وكانوا لنا عابدين) ولا هى صاحبة الآيات (بآياتنا يوقنون). وضرورة التعيين أمر يعلمه كل إنسان بوجدانه وعقله، لضرورة وجود خليفة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوم مقامه فى كل واجباته، ويكاد يكون ذلك من [صفحة ١٢٤] البديهيات وإلا- أى ضمانه يمكن لها أن تحفظ لنا ديننا وتمثل بوصله لبيان الانحراف الذى ربما يحدث بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كما حدث فى الأمم السابقة؟ من الذى تركز إليه الأمة ليواصل مسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف يتأتى للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ينتقل للرفيق الأعلى دون أن يعين خليفته؟ أمن العقل أن يترك أمر الخلافة والإمامة فى أيدي الناس الذين قد تتغلب عليهم شهوة السلطة والزعامة؟ ذلك لأن طبيعة البشر تهوى به إلى أسفل ولا يكفيها وجود شريعة محفوظة فى الكتب، بل لا بد من تجسيد تلك الشريعة فى إنسان يتمتع بتفوق تشريعى (معصوم) يعطيه صلاحية تطبيق الشريعة على الناس (منصوص عليه) إذ لا بد لكل قانون من مطبق نافذ الكلمة وإلا عاد القانون حبرا على الورق [١١٥]. إن الخالق الذى من أجل كمال كل مخلوق وفر له الوسائل الضرورية وغيرها كى يعبر من حدود النقص والضعف إلى منازل الكمال، كيف يمكن أن يستثنى من ذلك القيادة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والتى تعتبر عاملا- مهما لرقى الإنسان معنويا وروحيا. والتعيين أمر تنبه له أبو بكر عندما كتب وصيته التى نصب فيها عمر خليفة من بعده وأمر الناس بالسمع والطاعة له... ومع أنه كان على فراش الموت عند كتابته لذلك إلا أن عمر كان حريصا على تنفيذ الوصية فى حين أنه

كان المعترض الأول على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما أراد كتابة وصيته وهو مريض وقال " إنه يهجر " ويقول أمير المؤمنين على (ع) في شأن تعيين أبي بكر لعمر " فيا عجا بنا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشظرا ضرعها . " كما أن عائشة أقرت بضرورة التعيين عندما ضرب عمر وبقي على الفراش ينتظر الأجل المحتوم إذ أرسلت إليه أن أوص من يخلفك ولا تترك أمه محمد بعدك هملا. [صفحہ ١٢٥] وبدون راع، وأشار عبد الرحمن بن عوف على عمر بذلك أيضا. والواقع العملي يثبت أن الخلفاء جاؤوا بالتنصيب وبلا شوري حتى شوري الستة كانت بالتعيين كما سترى.

علي بن ابي طالب اول خليفة للنبي

اشاره

طفحت كتب أهل السنة والجماعة بالأحاديث التي تبين أن أهل البيت (ع) هم خلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وحمله دين الله بعده، وغير المتمسك بهم ضال وذلك بإخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن اختيار الله تعالى لهم، وسنرى من خلال ما نستدل به أن الأمر لا ينحصر في حبه فقط والتبرك بهم إنما موالاتهم واتباعهم والتسليم لهم. وكثيرا ما يقول لى البعض نحن نحب أهل البيت (ع)... أقول إن حب أهل البيت (ع) مجردا عن ترتيب أثر على ذلك لا يجدى، فحبهم يستتبع أن نسلك مسلكهم وتتبع منهجهم ونوالى أولياءهم هذا هو الحب يقول تعالى (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (سورة آل عمران: آية / ٣١) وأهل البيت (ع) هم حملة رسالة السماء وبهم يعرف الحق من الباطل والمتمسك بهم هو الملتزم بمنهجهم السائر على دربهم. والإمام على (ع) هو الإمام الأول والخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... ذلك ما توصلت إليه من خلال ما تواتر من الأحاديث حول تنصيبه إماما للأمة وعن أفضليته على جميع الصحابة، رغم أن أعداءه أخفوا مناقبه حسدا وأخفاها شيعته خوفا إلا أنه ظهر من بين ذلك ما ملأ الخافقين يقول أحمد بن حنبل " ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الفضائل ما جاء لعلى بن أبي طالب [١١٦] ومع ذلك سأختار بعض الأحاديث التي تثبت له الولاية والخلافة: [صفحہ ١٢٦]

حديث الغدير

في حديث طويل " أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جمع الناس يوم غدير خم (موضع بين مكة والمدينة - الجحفة) وذلك بعد رجوعه من حجة الوداع وكان يوما صائفا حتى أن الرجل ليضع رداءه تحت قدميه من شدة الحر، وجمع الرجال وصعد عليها وقال مخاطبا معاشر المسلمين: أليست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا " بلى، قال: من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. " إن حديث الغدير من أوضح أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بيانا وأعمقها دلالة وأقواها بلاغة ولقد أوردته السيوطي في الدر المنثور في ذيل الآية (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) لبيان أن ولاية على (ع) التي قرنها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بولايته هي امتداد لها وكما كان (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى بالمؤمنين من أنفسهم كذلك على بن أبي طالب، مما يدل على أن النبي ما أراد الولاية بمعنى الحب إنما أرادها بمعنى الإمامة لوجود القرينة المقالية فقد بدأ الحديث بولاية نفسه على المؤمنين ثم قرنها بولاية على فالولاية بمعنى الأولى من المؤمنين بأنفسهم. هذا الحديث لا شبهة في صحته وهو من الأحاديث المتواترة التي لم يستطع علماء أهل السنة والجماعة رده فبحثوا له عن تخريج ومعنى يتناسب مع ما تهواه أنفسهم فاضطروا إلى تفسير الموالات بمعنى الحب وهذا المعنى لا ينسجم ومفهوم الحديث القاضى بولايته وإمامته على الناس بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلافته له بصورة واضحة وجليه، ولا يمكن لشخص يملك عقلا سليما ووجدانا صحيحا أن يقنع بقول علماء أهل السنة والجماعة، فهم كأنما يقولون أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومع هذه الأعداد الهائلة من الحجاج والذين

يبلغ عددهم ما يقارب المائة وعشرين ألف... أوقف من معه وأرسل في طلب من سبقه ليأتي راجعا وانتظر من كان بعده يوقفهم في تلك الصحراء والشمس تفتح الوجوه ليقول لهم [صفحة ١٢٧] أيها الناس "أحبوا" عليا فإنه ابن عمي وزوج ابنتي. أي أحقق هذا الذي يؤمن بهذا القول والله إنها لضحالة في التفكير وسذاجة في استعمال أساليب المكر والخداع وخبث ينم عن عداء حقيقي لعلي بن أبي طالب (ع). وقد تتبع صاحب موسوعة "الغدِير" العلامة الأميني رواة هذا الحديث من الصحابة فبلغ عددهم "١١٠ صحابي" فيهم أبو هريرة وأسامة بن زيد وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله والزيير بن العوام وزيد بن الأرقم وغيرهم [١١٧] ومن التابعين بلغ عدد الرواة (٨٤) ولم يترك حتى العلماء في القرون الأولى وكذلك الشعراء [١١٨]. ولقد أورد الحديث أحمد بن حنبل في مسنده وأضاف "فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئا يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة" [١١٩]. كما أورده الحاكم في مستدرکه ج ٣ ص ١١٠ وقال عنه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ولأهمية أمر الإمامة والولاية في الرسالة وباعتبارها جزءا أساسيا لا تكتمل الرسالة بدونها جاء الأمر من الله تعالى بتبليغ ذلك للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فكان حديث الغدير كما جاء في تفسير الفخر الرازي في ذيل الآية (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) (سورة المائدة: آية ٦٧ / قال: والعاشر - أي من الوجوه التي قالها المفسرون في نزول الآية: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب (ع) ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه "فلقيه عمر رضى الله عنه فقال: هنيئا لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي" [١٢٠]. [صفحة ١٢٨] وبهذا تتضح أهمية الولاية كجزء من الرسالة من دونها تفقد الرسالة أهميتها كما تنطق الآية. ومما يؤكد قولنا اختصاص علي بالولاية دون غيره من الصحابة وذلك في قوله: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (سورة المائدة: آية ٥٥) يقول الرازي والطبري المقصود من الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون السيوطي في الدر المنثور وكذلك كثر العمال. والآية ظاهرة في إمامته ومعنى الولي في هذه الآية لا بد أن يلائم الحصر في الله عز وجل وفي رسوله وفي علي وظهور أداة: إنما في الحصر تشير إلى تفسير واحد لكلمة الولي وهو مالك الأمر ونحوه مما يناسب الاختصاص.

حديث المنزلة

جاء في البخاري "كتاب بدء الخلق" في باب غزوة تبوك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج إلى تبوك واستخلف عليا (ع) فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي [١٢١]. ولا يخفى على المتأمل الدلالة الواضحة لخلافة علي (ع) والتي كخلافة هارون (ع) إلا أن النبوة ختمت بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد ألمعنا في نقاشنا لقصص بني إسرائيل إلى وجه الشبه بين خلافة هارون لموسى (ع) وكيف أضل السامري القوم، وبين خلافة علي (ع) التي انقلب عليها المسلمون ووضعوا الأمر في غيره فتأمل.

حديث الانذار

لما نزلت آية (وأندر عشيرتك الأقربين) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [صفحة ١٢٩] جمع بني عبد المطلب على طعام ثم قال: إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرنى على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى ووارثى فلم يقم أحد. قال علي: وقلت وإني لأحدتهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحشهم ساقا: أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه قال النبى: إجلس، قال ثم قال ثلاث مرات كل ذلك

أقوم إليه فيقول لي اجلس حتى كانت الثالثة فأخذ برقبتي ثم قال إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع [١٢٢]. والحديث لا يحتاج منى إلى توضيح فهو أوضح من الشمس فى رابعة النهار.

حديث الرأية

حاول أحدهم أن يثبت لى وهو يحاورنى أفضلية الخلفاء الثلاثة على على (ع) قلت له: هناك حديث واحد كاف لبيان الفرق بين على (ع) وأبى بكر وعمر، روى ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية: بعث النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أبابكر (رض) إلى بعض حصون خيبر فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر (رض) فقاتل ثم رجع ولم يكن فتح فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله فامض بها حتى يفتح الله عليك" [١٢٣]. من خلال هذه الرواية نستشف من هو الأفضل وإلا لماذا ميز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا (ع) بهذه الصفات التى جاءت فى الحديث وهو من أوتى جوامع الكلم وفصاحة اللسان وبلاغة اللسان وبلاغة التعبير خصوصا ما جاء فى آخر الكلام "ليس بفرار" [صفحة ١٣٠] إشارة إلى فرار من سبقه من ساحة الوغى وقد استحى ابن كثير من ذكر ذلك فذكرها الطبرى فى تاريخه بكل وضوح عندما قال: "فانكشف عمر وأصحابه فرجعوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجنبه أصحابه ويجنبهم." ولقد أورد الحديث البخارى فى كتاب الجهاد والسير باب ما قيل فى لواء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وباب فضل من أسلم على يديه رجل. كما جاء فى صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير غزوة ذى قرد وفى كتاب فضائل الصحابة باب فضائل على. وأنا لا أريد أن أفضل أحدا على أحد دون دليل ولكنى أرى نفسى ملزما بتفضيل من فضله الله، ولقد جاء فى سيرة ابن هشام: "عندما نزلت سورة براءة بعث بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أبابكر ثم أرسل عليا فى أثره فأخذها منه فلما رجع أبو بكر قال: هل نزل فى شئ؟ قال: لا ولكنى أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتى [١٢٤]. ولأن الحديث عن فضائل على ومكاته يطول سنورد ملخص ما جاء به ابن حجر العسقلانى المعروف عند أهل السنة والجماعة فى كتابه الإصابة فى تمييز الصحابة: مما أورده: حديث الرأية المتقدم. حديث الانذار. عندما نزلت آية التطهير (إنما يريد الله أن....) أخذ الرسول رداءه ووضع على على وفاطمة والحسن والحسين وتلى الآية. نومه فى فراش النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما هاجر. حديث المنزلة. [صفحة ١٣١] سد الأبواب إلا باب على (ع) فیدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. قول الرسول من كنت مولاه فعلى مولاه. قول عمر "لا أبقانى الله لمعضلة ليس لها أبو حسن." قول على "سلونى سلونى عن كتاب الله تعالى فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار." قال معاوية لسعد بن أبى وقاص: ما منعك أن تسب أبابكر "تراب" يعنى عليا، فقال: "أما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من أن يكون لى حمر النعم فلن أسبه سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى وسمعتة يقول يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله فتناولنا لها فقال: ادعوا لى عليا فأتاه الحديث ونزلت الآية (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا وفاطمة والحسن والحسين فقال اللهم هؤلاء أهلى. قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى "لا- يجبك إلا- مؤمن ولا يبغضك إلا- منافق." قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) "ما تريدون من على إن عليا منى وأنا من على وهو ولى كل مؤمن بعدى." قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) "وإن تؤمروا عليا وما أراكم فاعلين - أقول: صدق الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) - تجوده هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم" [١٢٥]. [صفحة ١٣٢]

مناظرة للمأمون العباسي في فضل علي

(العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ج ٥ ص ٩٢ - ١٠١) ولو أردنا التحدث عن مناقب وفضائل أمير المؤمنين علي (ع) لاحتاج ذلك إلى مجلدات وما أوردناه فيه الكفاية لذي عينين ونختم هذا المطلب بمناظرة الخليفة العباسي المأمون واحتججه على الفقهاء في زمانه حول فضل علي (ع) بالرغم من أن المأمون وكل الخلفاء العباسيين كانوا ممن ينصبون العداة لأهل البيت (ع) إلا أنهم في البداية عندما تسلموا زمام الأمور ولتوطيد أركان حكمهم كانوا ينادون بالرضا من آل محمد وكانت ثورتهم على الأمويين تحت هذا الشعار ولكن الملك عقيم.. ما إن استقر وضعهم حتى بدأوا في محاربة آل محمد (ع) وشيعتهم وكانوا أعظم من بنى أمية في عداوتهم لأهل البيت (ع)، جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: بعث المأمون إلى يحيى بن أكثم قاضي القضاة وعدة من العلماء وأمره أن يحضر معه مع الفجر أربعين رجلا- كلهم فقيه يفتحه ما يقال ويحسن الجواب، فأتوا العدد وغدوا عليه قبل طلوع الفجر وبدأ معهم الحوار في مواضع شتى ثم قال: إنني لم أبعث إليكم لهذا ولكنني أحببت أن أنبئكم أن أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه ودينه الذي يدين الله به، قالوا: فليفعل أمير المؤمنين وفقه الله فقال المأمون: إن أمير المؤمنين يدين الله على أن علي بن أبي طالب خير خلق الله بعد رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأولى الناس بالخلافة، قال إسحاق (أحد الفقهاء) قلت: يا أمير المؤمنين) إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في علي وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة، فقال يا إسحاق: اختر إن شئت أن أسألك وإن شئت أن تسأل قال إسحاق: فاغتنمها منه، فقلت: بل أسألك يا أمير المؤمنين. قال: سل، قلت من أين قال أمير المؤمنين إن علي بن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله وأحقهم بالخلافة بعده؟ قال: يا إسحاق أخبرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان أفضل [صفحة ١٣٣] من فلان؟ قلت: بالأعمال الصالحة، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن فضل صاحبه على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم إن المفضول عمل بعد وفاة الرسول بأفضل من عمل الفاضل على عهد الرسول، أيلحق به؟ قال إسحاق: فأطرت، فقال لي: يا إسحاق لا تقل نعم فإنك إن قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهادا وحجا وصياما وصلاة وصدقة قلت: أجل يا أمير المؤمنين لا يلحق المفضول على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الفاضل أبدا، قال. يا إسحاق فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن أبي طالب فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر وعمر فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلى وحده فقل إنهما أفضل منه، لا والله ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان فإن وجدت مثل فضائل علي فقل أنهم أفضل منه، لا والله، ولكن قس إلى فضائله فضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجنة فإن وجدت تشاكل فضائله فقل إنهم أفضل منه، ثم قال: يا إسحاق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؟ قلت الإخلاص بالشهادة قال: أليس سبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم قال اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى: (والسابقون السابقون أولئك المقربون) إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحدا سبق عليا إلى الإسلام؟ قلت: يا أمير المؤمنين، إن عليا أسلم وهو حديث السن لا- يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم، قال: أخبرني أيهما أسلم قبل؟ ثم أناظرك من بعده في الحدائث والكمال، قلت: علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة فقال: نعم فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاما من الله، قال إسحاق: - فأطرت فقال لي: يا إسحاق لا تقل إلهاما فتقدمه على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرئيل عن الله تعالى. قلت: أجل بل دعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا إسحاق، فهل يخلو [صفحة ١٣٤] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟ قال: فأطرت. فقال: يا إسحاق لا تنسب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى التكلف فإن الله يقول عن الرسول (وما أنا من المتكلفين) قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله، فقال: فهل صفة الجبار جل ذكره أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم؟ قلت: أعوذ بالله! فقال: أفتراه في قياس قولك يا إسحاق إن عليا أسلم صيبا لا يجوز عليه الحكم، وقد كلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعاء الصبيان إلى ما لا يطيقونه، فهو يدعوهم

الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شئ ولا يجوز عليهم حكم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ أترى هذا جائزا عندك أن تنسبه إلى الله عز وجل؟ قلت أعوذ بالله قال: يا إسحاق فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرف مكانه وفضله ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا عليا؟ قلت: بلى قال: فهل بلغك أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا أحدا من الصبيان من أهله وقربته، لثلاثا تقول إن عليا ابن عمه؟ قلت: لا أعلم، ولا أدرى فعل أو لم يفعل. قال يا إسحاق، أرأيت ما لم تدري ولم تعلمه هل تسأل عنه؟ قلت: لا. قال: فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك. ثم قال: أي الأعمال كانت أفضل بعد السابق إلى الإسلام؟ قلت: الجهاد في سبيل الله، قال: صدقت، فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما تجد لعلی في الجهاد؟ قلت: من أي وقت؟ قال: في أي الأوقات شئت؟ قلت: بدر قال: لا أريد غيرها، فهل تجد لأحد إلا دون ما تجد لعلی يوم بدر، أخبرني كم قتلى بدر؟ قلت نيف وستون رجلا من المشركين. قال: فكم قتلى علی وحده؟ قلت لا- أدرى. قال: ثلاثة وعشرون أو اثنان وعشرون والأربعون لسائر الناس. قلت يا أمير المؤمنين، كان أبو بكر مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في عريشه، قال: ليصنع ماذا؟ قلت: يدبر، قال: ويحك! يدبر دون رسول الله أو معه شريكا أم افتقارا [صفحة ١٣٥] من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى رأيه، قال: أي الثلاثة أحب إليك؟ قلت: أعوذ بالله أن يدبر أبو بكر دون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو أن يكون معه شريكا أو أن يكون برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم) افتقار إلى رأيه. قال: فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل ممن هو جالس؟ قلت: يا أمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهدا. قال: صدقت، كل مجاهد ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن الجالس أفضل من الجالس، أما قرأت في كتاب الله (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما). قلت: وكان أبو بكر وعمر مجاهدين قال: فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟ قلت: نعم. قال: فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر. قلت: أجل قال: يا إسحاق، هل تقرأ القرآن؟ قلت: نعم قال: إقرأ على: (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) فقرأت منها حتى بلغت (يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) إلى قوله: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) قال: على رسلك، فيمن أنزلت هذه الآيات؟ قلت: في علي. قال: فهل بلغك أن عليا حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: إنما نطعمكم لوجه الله؟ قلت: أجل قال وسمعت الله وصف في كتابه أحدا بمثل ما وصف به عليا؟ قلت: لا قال: صدقت، لأن الله جل ثناؤه عرف سيرته، يا إسحاق أأنت تشهد أن العشرة في الجنة؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين. قال: أرأيت لو أن رجلا قال: والله ما أدرى هذا الحديث صحيح أم لا، ولا أدرى إن كان رسول الله قاله أم لم يقله، أكان عندك كافرا، قلت: أعوذ بالله قال: أرأيت لو أنه قال ما أدرى هذه السورة من كتاب الله أم لا أكان كافرا؟ قلت: نعم. قال: يا إسحاق أرى بينهما فرقا. يا إسحاق أتروى الحديث؟ قلت: نعم قال: فهل تعرف حديث الطير [١٢٦]؟ قلت: نعم قال: فحدثني به. [صفحة ١٣٦] قال فحدثته الحديث. يا إسحاق، إنى كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق، فأما الآن فقد بان لى عنادك، إنك توافق أن هذا الحديث صحيح قلت: نعم، رواه من لا يمكنني رده. قال: أفرأيت أن من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحدا أفضل من علي، لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنده مردودة عليه، أو أن يقول: إن الله عز وجل عرف الفاضل من خلقه وكان المفضل أحب إليه، أو أن يقول: إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضل، فأى الثلاثة أحب إليك؟ فأطرت. ثم قال: يا إسحاق لا تقل منها شيئا، فإنك إن قلت منها شيئا استتبتك، وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله. قلت: لا أعلم، وإن لأبي بكر فضلا. قال: أجل، لولا أن له فضلا لما قيل إن عليا أفضل منه، فما فضله الذي قصدت إليه الساعة؟ قلت: قول الله عز وجل: (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) فنسبه إلى صحبتته، قال: يا إسحاق، أما إنى لا أحملك على الوعر من طريقك، إنى وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه

ورضى عنه كافرا، وهو قوله (فقال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا) الآية. قلت: إن ذلك صاحب كان كافرا، وأبو بكر مؤمن. قال: فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضىه كافرا جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمنا وليس بأفضل المؤمنين ولا- الثانى ولا الثالث، قلت: يا أمير المؤمنين إن قدر الآية عظيم، إن الله يقول: (ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) قال: يا إسحاق تأبى الآن إلا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك، أخبرنى عن حزن أبى بكر، أكان رضى أم سخطا؟ قلت: إن أبى بكر إنما حزن من أجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وغما أن يصل إلى رسول الله شئ من المكروه قال: ليس هذا جوابى، إنما كان جوابى أن تقول: رضى الله أم سخطا؟ قلت: بل رضى الله. قال: فكأن الله جل ذكره بعث إلينا رسولا ينهى عن رضى الله عز وجل وعن طاعته، قلت: أعود بالله. قال: أو ليس قد زعمت أن أبى بكر رضى الله؟ قلت: بلى قال: أو لم تجد أن القرآن يشهد أن [صفحة ١٣٧] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له: "لا تحزن" نهيا له عن الحزن، قلت: أعود بالله. قال: يا إسحاق، إن مذهبي الرفق بك لعل الله يردك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعذب به. وحدثنى عن قول الله (فأنزل سكينته عليه) من عنى بذلك: رسول الله أم أبى بكر؟ قلت: بل رسول الله قال: صدقت. قال فحدثنى عن قول الله عز وجل: (ويوم حينئذ إذ أعجبناكم كثرناكم) إلى قوله (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أتعلم من المؤمنون الذين أراد الله فى هذا الموضوع؟ قلت: لا- أدرى يا أمير المؤمنين. قال: الناس جميعا انهزموا يوم حنين فلم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا سبعة نفر من بنى هاشم: على يضرب بسيفه بين يدى رسول الله، والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله، والخمسة محدقون به خوفا من أن يناله من جراح القوم شئ، حتى أعطى الله لرسوله الظفر فالمؤمنون فى هذا الموضوع على خاصة ثم من حضره من بنى هاشم. قال: فمن أفضل: من كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فى ذلك الوقت وأنزل عليه السكينه، أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعا لينزلها عليه؟ قلت: بل من أنزلت عليه السكينه! قال: يا إسحاق، من أفضل، من كان معه فى الغار أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه، حتى تم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما أراد من الهجرة؟ إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر عليا بالنوم على فراشه وأن يبقى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه، فأمره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك. فبكى على رضى الله عنه. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ما يبكيك يا على أجزعا من الموت؟ قال: لا، والذى بعثك بالحق يا رسول الله، ولكن خوفا عليك، أفتسلم يا رسول الله؟ قال: نعم قال: سمعا وطاعة وطيبه نفس بالفداء لك يا رسول الله. ثم أتى مضجعه واضطجع، وتسجى بثوبه. وجاء المشركون من قريش فحفوا به، لا يشكون أنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لثلا يطلب الهاشميون من البطون بطنا بدمه. وعلى يسمع ما القوم فيه من تلف النفس ولم يدعه ذلك إلى الجزع، كما [صفحة ١٣٨] جزع صاحبه فى الغار، ولم يزل على صابرا محتسبا. فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركى قريش حتى أصبح فلما أصبح قام، فنظر القوم إليه فقالوا: أين محمد؟ قال: وما علمى بمحمد أين هو؟ قالوا: فلا تراك إلا كنت مغررا بنفسك منذ ليلتنا. فلم يزل على أفضل، ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتى قبضه الله إليه. يا إسحاق هل تروى حديث الولاية؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أروه ففعلت. فقال: يا إسحاق، أرأيت هذا الحديث هل أوجب لعلى أبى بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟ قلت: إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين على وأنكر ولاء على، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال: وفى أى موضع قال هذا؟ أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟ قلت: أجل قال: فإن زيد بن حارثة استشهد قبل الغدير، كيف رضيت لنفسك بذلك؟ أخبرنى لو رأيت أبنا لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمى أيها الناس، فاعلموا ذلك. أكنت منكرا عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟ فقلت: اللهم نعم. قال: يا إسحاق: أنتزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويحكم! لا تجعلوا فقهاءكم أربابا إن الله جل ذكره قال فى كتابه: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمرهم فطاعوا أمرهم يا إسحاق أتروى حديث "أنت منى بمنزلة هارون من موسى؟" قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قد سمعته

وسمعت من صححه ومن جرده. قال: فمن أوثق عندك من سمعت منه فصححه أو من جرده؟ قلت: من صححه. قال: فهل يمكن أن يكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مزح بهذا القول؟ قلت: أعود بالله. قال: فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه؟ قلت أعود بالله. قال: أما تعلم أن هارون كان أخاً موسى لأبيه وأمه؟ قلت: بلى. قال فعلى أخو رسول الله لأبيه وأمه؟ قلت: لا. قال: أوليس هارون كان نبياً وعلى غير نبي؟ قلت: بلى. قال: فهذان الحالان معدومان من على وقد كانا في هارون، فما معنى قوله " أنت منى بمنزلة [صحفه ١٣٩]. هارون من موسى " قلت له: إنما أراد أن يطيب بذلك نفس على لما قال المنافقون إنه خلفه استتقلاً له. قال: فأراد أن يطيب نفسه بقول لا- معنى له؟ قال فأطرت قال: يا إسحاق له معنى في كتاب الله بين. قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عز وجل حكاية عن موسى أنه قال لأخيه هارون: (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) قلت: يا أمير المؤمنين إن موسى خلف هارون في قومه وهو حي، وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته. قال: كلا- ليس كما قلت. أخبرني عن موسى حين خلف هارون، هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحد من الصحابة أو أحد من بني إسرائيل؟ قلت: لا. قال: أوليس استخلفه على جماعتهم قلت: نعم قال: فأخبرني عن رسول الله حين خرج إلى غزاته، هل خلف إلا- الضعفاء والنساء والصبيان؟ فأني يكون مثل ذلك؟ وله عندى تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه علياً لا يقدر أحد أن يحتاج فيه. قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله: (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخى أشد به أزرى وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً) فأنت منى يا على بمنزلة هارون من موسى، وزيرى من أهلي، وأخى أشد به أزرى، وأشركه في أمري، كي نسبح الله كثيراً ونذكرك كثيراً أمر أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا؟ ولم يكن ليطلب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن يكون لا- معنى له. قال: فطال المجلس وارتفع النهار فقال يحيى بن أكثم القاضى: يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير وأثبت ما لا يقدر أحد أن يدفعه.

اهل البيت هم اولو الامر بعد النبي

الحديث ٠٠١

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتى ويسكن جنه عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدى وليوال وليه، وليقتد بأهل [صفحه ١٤٠] بيتى من بعدى، فإنهم خلقوا من طينتى ورزقوا فهمى وعلمى، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتى، القاطعين فيهم صلتى لا أنالهم الله شفاعتى [١٢٧] هل هنالك أوضح من ذلك حجة علينا... دلالة واضحة ومعان بينة وأوامر جازمة، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

الحديث ٠٠٢

اشاره

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): " إنى تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وعترتى أهل بيتى ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض. " وقال أيضاً: " يوشك أن يأتينى رسول ربي فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه هدى ونور وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى " وسئل زيد بن أرقم " راوى الحديث، " فهل نساؤه من أهل بيته قال: لا. وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر أو الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده [١٢٨]. ولو لم يكن لدينا سوى هذا الحديث لكفى لإثبات خلافة أهل البيت (ع) وإمامتهم وأنهم عدول القرآن لا يفترون عنه وأن المتمسك بهما معا لن يضل أبداً والمفرط بهما أو بواحد منهما ضال بلا شك. وقد

حاول البعض أن يضع في مقابله حديث " كتاب الله وسنتي " والعجب كل العجب أن علماءهم عندما يروون هذا الحديث يكتبون في ذيله متفق عليه والحال أن حديث... " وسنتي " حديث مرسل لا سند له، وأول من رواه مالك في موطنه مرفوعاً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يروه غيره من أصحاب الصحاح [صفحة ١٤١] المعتبرة بينما حديث " كتاب الله وعترتي " متواتر لدى الفريقين تسنده أحاديث أخرى بألفاظ مختلفة. والحق يقال إن واضع الحديث " المحترفين هذا الفن " أبدعوا وأجادوا وهم يصنعون في مقابل كل حديث حول أهل البيت (ع) حديثاً يرفع من شأن غيرهم والأمثلة كثيرة سند ذكر بعضها إن شاء الله. ولا أدري كيف يتمسكون بهذا الحديث وأول من خالفه عمر بن الخطاب في رزية يوم الخميس المعروفة والتي سيأتي ذكرها.. حينما قال " حسبنا كتاب الله " وهو بنفسه الذي فرض حظراً على الصحابة في رواية أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أحرق أبو بكر الأحاديث المكتوبة حتى لا تختلط بالقرآن على حد زعمهم وغيرها من الحوادث التي تثبت عدم الاعتراف بالسنة كما هو متعارف عليه الآن. وحديث العترة يثبت فيما يثبت عصمة أهل البيت (ع) لأن الذي لا يفارق القرآن ولا يفترق عنه يعني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا- من خلفه مثل القرآن تماماً، ولو كان هنالك ثمة احتمال ولو ضئيل جداً بافتراق أهل البيت (ع) عن القرآن لما أكد لنا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلامه أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، وبهذا المعنى نفهم آية التطهير التي نزلت في أهل البيت (ع). (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) ولقد أجمعت مصادر التفسير والحديث على نزول هذه الآية في خمسة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى فاطمة والحسن والحسين كما جاء في صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل البيت (ع) [١٢٩]. والآية ناطقة بعصمة أهل البيت (ع) مما يؤهلهم دون غيرهم للقيام بدور الإمامة لحفظ الشريعة الإسلامية وممارسة دور الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) القيادي في الأمة والذي لا يتأتى إلا لمعصوم مصطفى من السماء وهذا ما لخصته آية التطهير والتي [صفحة ١٤٢] صدرت بأداة الحصر " إنما " وهي من أقوى أدوات الحصر، وفيها إذهاب الرجس عن أهل البيت (ع) والرجس يعني مطلق الذنوب والآثام والأدناس، والقيام بالتطهير بإرادة الله تعالى.. كل ذلك مؤداه عصمة أهل البيت (ع). ومن أوضح الواضحات التي لا تقبل الجدل عندنا في السودان أن أصحاب الكساء أو أصحاب العباءة هم الخمسة الذين نزلت فيهم آية التطهير كما تواتر في الأحاديث.

حوار حول العصمة في حديث الثقلين

جرى حوار بيني وبين أحد الأصدقاء حول عصمة الإمام قال لي: أنتم مغالون تبالغون في حب أهل البيت (ع) حتى ادعيتهم أنهم معصومون ومفوضون بالتشريع ونحن لا- نرى سوى عصمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). قلت: أولاً- أهل السنة والجماعة لا يقولون بأن النبي معصوم في كل شيء بل في أمر التبليغ فقط، ولا ندرى كيف يحددون ويصنفون الأمور الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أي منها من الدين وأي من غيره وذلك بخلاف قول الشيعة الذين يقولون بعصمة النبي المطلقة ولا فرق في ذلك بين أمور التشريع وغيرها. أما عصمة أهل البيت فالآية واضحة في دلالتها يقول تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) الآية. أضف إلى ذلك مجموعة الأحاديث التي نستشف منها بوضوح دلائل العصمة وحسبك في ذلك حديث الثقلين بعد أن ثبتت صحته لدى جمهور المسلمين سنة وشيعة. قال: هذا الحديث لا يدل على العصمة فهو فقط يخبرنا بالرجوع لأهل البيت. قلت: بل الحديث أوضح من أن يبحث فيه عن العصمة إذ أن صحة الحديث يؤكد عصمتهم وإليك البيان، وسألته: - ما قولك في القرآن؟ قال: - ماذا تقصد؟! قلت: - هل يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه؟ قال: - لا. قلت: - إن اقتران أهل [صفحة ١٤٣] البيت (ع) بالكتاب والتصريح بعدم الافتراق عنه يدل على عصمتهم. إذ أن صدور أي مخالفة للشريعة منهم سواء كان عمداً أم سهواً أم غفلة يعتبر افتراقاً عن القرآن، لو قلنا بأنهم يفترقون عنه ولو للحظة فهذا تكذيب للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أخبر عن الله عز وجل بعدم وقوع الافتراق وتجويز الكذب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) متعمداً مناف لعصمته حتى في مجال التبليغ وقد أكد

على الحديث في أكثر من موضع. أضف إلى ذلك أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) اعتبر التمسك بهم عاصما من الضلالة دائما وأبدا كما هو مقتضى ما تفيده كلمة لن التأيدية فإذا كان هنالك مجال لضلالتهم ولو للحظة فكيف يكون التمسك بهم عاصما. هذا عن العصمة أما ما قلته عن التفويض فلا أحد من الشيعة يقول به، إنما هو قول أعداء الدين الذين حاولوا تشويه الصورة النقية للشيعة، وأنت إذا أردت أن تتعرف على معتقدات الشيعة فيجب عليك الاطلاع عليها من كتبهم وأقوال علمائهم لا من كتب وأقوال المناوئين لهم الذين لا يتورعون عن الكذب والافتراء، ومعروف عند الشيعة أن الأئمة يقولون بما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وها هو الإمام أمير المؤمنين علي (ع) يقول "علمنى رسول الله ألف باب من العلم يفتح لى من كل باب ألف باب" فهم لا يقولون بالتفويض بل أهل السنة والجماعة هم الذين فوضوا الصحابة في التشريع حتى أمضوا اجتهادات الصحابة الواضحة مقابل النصوص المؤكدة. بعد هذا الحوار أخذ صاحبي يبحث له عن مخرج وبدأ يقفز بالحديث هنا وهناك ويحاول أن يجد ثغرة يصطادني بها وعندما لم يجد قال لى: - يا أخى أنا مفوض أمرى إلى الله نحن أهل تسليم. قلت: - التسليم لا يكون إلا للحق، أما التفويض لله فلا يلغى إرادتك ويجمد عقلك. إذا كنت تصبوا إلى الحقيقة واصل بحثك عنها ثم فوض الأمر إلى الله يهديك [صفحة ١٤٤] إلى الصراط المستقيم، أما أن تكون لا- تدرى أعلى حق أنت أم على غيره ثم تفوض الأمر هذا تبرير لا- يقبل شرعا ولا عقلا. وتركته وذهبت. بقى أن نبين بعض المصادر التي ذكر فيها حديث الثقلين: - صحيح مسلم فضائل على (ع). صحيح الترمذى ج ٥ ص ٦٦٢ - ٦٦٣. صحيح أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧ - ج ٥ ص ١٨٢ ومواقع متعددة. مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٠٩ وكتاب معرفة الصحابة ص ٢٧ وغيرها من المصادر.

الحديث ٥٠٣

قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق." مستدرک الحاكم ج ٢ ص ٣٤٣ وغيره من المصادر مثل كنز العمال وتاريخ البغدادي ورواية أخرى تعضدها جاءت في مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤٩ "أهل بيتي أمان لأمتي" ما أبلغ تعبير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الحديث الذي يشبه أهل البيت (ع) بسفينة نوح التي حملت المؤمنين برسائله ومن لم يؤمن بها أخذته أمواج الطوفان حتى ابنه الذي قال كما جاء في القرآن (... سأوى إلى جبل يعصمني من الماء) (سورة هود: آية / ٤٣) لم ينج من تلك الأمواج وأصبح من الهالكين، واليوم أمواج الفتن تتلاطم ويذهب ضحيتها أولئك الذين لم يركبوا في سفينة النجاة التي أخبر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... وكل الذين يقدمون الأعداء والتبريرات لعدم تمسكهم بأهل البيت (ع) وركوبهم سفينة النجاة هم كابن نوح الذي اعتبر الجبل عاصما له من الغرق دون السفينة، والفرق أن الجبال تعددت في وقتنا الحاضر وأكثرها علوا عند من يفكر فيها جبل "عدالة الصحابة" فهل يا ترى يعصمهم من الأمواج الهادرة؟! وحتى نعطّر أجواء هذا البحث نعرض على القرآن الكريم لنستضيء بنوره [صفحة ١٤٥] ونقتبس منه بعض المعاني يستفيد منها من يريد أن يصل إلى الحق. الآية الأولى: مبالهة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للنصارى. قال الله سبحانه وتعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (سورة آل عمران: آية / ٦١). تواتر لدى الفريقين نزول هذه الآية - كما بينا في حديثنا حول الزهراء (ع) - في علي وفاطمة والحسين، جاء في صحيح مسلم "ولما نزلت هذه الآية دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا وفاطمة والحسن والحسين فقال: اللهم هؤلاء أهلى." قال الفخر الرازى في تفسيره "وأعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث [١٣٠] إن القرآن بدقته وبلاغته يعطى لأولى الأبواب بصيرة وتوجيها من أقصر الطرق وأيسرها والآية المذكورة تحمل دلالات عظيمة وتفصل معاني الاصطفاء والاختيار الإلهي في أقصر العبارات وأبلغها. وكما جاء في الأحاديث لم يأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) معه أبا بكر وعمر كما أنه لم يأخذ عائشة أو غيرها من زوجاته.. لم يأخذ إلا هذه العصبة المباركة والتي لم يكن اختيارها اعتباطيا أو عاطفيا

في وقت تمر فيه الرسالة بمنعطف تاريخي وهي تواجه نصارى نجران وتحداهم إنما كان اختيارا ربانيا كما عبر عنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: لو علم الله تعالى أن في الأرض عبادا أكرم من علي وفاطمة والحسن والحسين لأمرني أن أباهل بهم، ولكن أمرني بالمباهلة مع هؤلاء فغلبت بهم النصارى. ويأتى البعض لإقناعنا بأن الصحابة أفضل من أهل البيت (ع) وكيف يكون ذلك وهذا الاقتران بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته من كل مورد وكما [صفحة ١٤٦] ورد في الآيات مما يؤكد بأنهم الامتداد الرسالى له (صلى الله عليه وآله وسلم). وهنالكَ ملاحظة جديرة بالالتفات إليها، وأذكرها لأصحاب العقول المستنيرة الباحثة دوما عما هو أحق بالاتباع... وهي موقعية على (ع) في آية المباهلة فهو ليس من أبناء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كالحسن والحسين كما أنه بالطبع لا يدخل في قائمة النساء ومع ذلك أتى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا نجد له مكانا إلا نفس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (وأنفسنا وأنفسكم) هذه المفردة القرآنية تعتبر عليا الحالة التجسيدية الكاملة لشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا ما أكدته الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديثه "على منى وأنا من على" فتدبر!! الآية الثانية: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم...) [١٣١]. -لا- يختلف اثنان من وجوب طاعة أولى الأمر كما جاء في هذه الآية التي قرنت طاعتهم بطاعة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وهؤلاء القادة الواجبة طاعتهم على سبيل الجزم لا بد أن يكونوا في مصاف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من وجود الصفات والخصائص الربانية إلى وجوب الاقتداء والتمسك بهم وهذا يستوجب عصمتهم.. لأنه يستحيل أن يأمرنا الله تعالى على سبيل الجزم بطاعة من يحتمل خطؤه وعصيانه، لأنه مفترض الطاعة بلا استثناء ولا حدود، والاتباع في حالة الخطأ منهى عنه، فكيف يجتمع الأمر والنهى في فعل واحد باعتبار واحد؟ فيثبت من ذلك أن من أمر الله بطاعتهم على سبيل الجزم وجب أن يكونوا معصومين وذلك ما توصل إليه الفخر الرازى في تفسيره فأثبت عصمة أولى الأمر ولكنه في محاولة يائسة حاول صرف المعنى عن أهل البيت (ع) إلى أهل الحل والعقد ولا نجد من هو أجدر من أهل من الأمة والذين لم نجد لهم تعريفا ثابتا أو فهما [صفحة ١٤٧] واضحا في الشرع الذى أمرنا بطاعتهم. البيت (ع) لما ذكرنا من أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لنا باتباعهم وأنهم معصومون وإلى غير ذلك مما تقدم ذكره فهم أولو الأمر المعنيون بالآية. وبهذا تكون الحقيقة قد تجلت لمن يريد الأخذ بها وإن معالم طريق الخلاص باتت واضحة وسبيل النجاة منحصر فى اتباع أهل البيت (ع) وعلى الأقل فإن هذا ما قادنى إليه الدليل - أهل البيت الذين اصطفاهم الله لحمل أعباء الرسالة بعد رسوله الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) مستحفظا بعد مستحفظ أوصياء معصومون يحافظون على سير الشريعة فى خطها المستقيم وينفون عنها كل الشبهات ويقفون بقوة أمام محاولة تحريفها من قبل المنافقين والحاقدين، والتاريخ يشهد لهم بذلك وواقعا أيضا وسنين ذلك لاحقا. عندما كنت أحاور ذلك السلفى الذى أجريت معه المناظرة المذكورة فى أول الكتاب وفى أثناء حوارنا لمعت عيناه فجأة وكأنه عثر على ضالته وفاجأنى بسؤال معتقدا أنه سيضعنى فى زاوية حرجة... سؤال من ظن أنه بلغ منتهى العلم والحكمة، قال: من قال لكم أن الأئمة اثنا عشر ولماذا هذا العدد بالذات؟ وضحك!! قلت له: يا أخى بالنسبة للعدد فلو فتحنا هذا الباب لمعرفة الحكمة من العدد سأجر إليك أسئلة لا قبل لك بها فلماذا كان الخلفاء أربعة فقط؟ ولماذا اختار موسى سبعين رجلا لميقات ربه ولم يكونوا ثمانين؟ ولماذا خلق الله سبع سماوات وسبعا من الأرض ولم تكن كل واحدة منهما عشرة مثلا ولماذا كان عدد نساء بنى إسرائيل اثنا عشر ولماذا يقول تعالى (وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما) ولم يكونوا خمسة عشر وهكذا... أضف إلى ذلك أن الآيات والروايات التى وردت عن أهل البيت (ع) كافية لتوجهنا للأخذ منهم ونحن لم نجد سوى الشيعة متمسكة بهم وهنالكَ تعلم بعدد الأئمة ولا ضرورة للاحتجاج عليك بعدد الأئمة من مصادركم لأن الموضوع فرعى ومع ذلك وبلطف من الله تعالى لإظهار الحق ولإقامة الحجة لم تخل مصادر أهل السنة والجماعة من [صفحة ١٤٨] الأحاديث التى تحدد عدد الأئمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصدفة كنت أحمل أحد مجلدات موسوعة تجمع ما جاء فى الصحاح الستة من أحاديث وفتحت باب الإمارة وقرأت عليه عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) "يكون بعدى اثنا عشر أميرا كلهم من قريش" وقلت له: هل سمعت؟ فبهت الذى كفر.. وانتفض انتفاضة قوية وكأنه قد

مس بطائف من الشيطان، وقال: من أين لك هذا الحديث؟! فذكرت له المصادر وأذكرها هنا تنمة للفائدة: صحيح البخاري كتاب الأحكام ج ٩ ص ٧٢٩. صحيح مسلم ج ٣ كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش. صحيح الترمذي ج ٤ ص ٥٠١. سنن أبي داود كتاب المهدي ص ٥٠٨. مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٩٨. وهذا الحديث جعل علماء أهل السنة يعيشون في تخبط ومشكلة كبيرة لن يخرجوا منها ولن يجدوا لها حلا إلا عند أتباع أهل البيت (ع) وهم الشيعة المعروفون بـ "الاثنى عشرية.. " ولقد حاول البعض أن يجد تفسيراً معقولاً للحديث على أرض الواقع فمنهم من عد أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وتوقف، ومنهم من زاد عليهم الحسن بن علي ثم تحير، وبعضهم أضاف إليهم معاوية وبنو أمية فلم يوفق لضبط العدد وآخر أصبح انتقائياً يختار كما يتراءى له وهكذا... والأمر لا غموض فيه ولا لبس عند شيعة أهل البيت ذلك بعد أن علمنا حقهم في الولاية والخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس من المعقول أن يخرج هذا العدد خارج دائرتهم وقد جاء في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الباب (٩٤) عن المناقب بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا جابر إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدى أولهم علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ستدركه يا جابر فإذا لقيته [صفحة ١٤٩] فأقرئه مني السلام ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم القائم اسمه اسمي وكنيته كنيته محمد بن الحسن بن علي " المهدي " ذلك الذي يفتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها. " أما النصوص الواردة من مصادر الشيعة عن طريق أهل البيت (ع) فهي متواترة وواضحة بخصوص هذا الشأن، ولم يرع أحد من الأمة أنه أحد الأئمة الاثنى عشر كما قال أهل البيت (ع) عن أنفسهم والتاريخ يخبرنا عن سيرتهم بل أعداؤهم اعترفوا بمكانتهم السامية وعلمهم الغزير وأخلاقهم الرفيعة وهم كما جاء في الحديث آنف الذكر: ١ - علي بن أبي طالب. ٢ - الحسن بن علي. ٣ - الحسين بن علي. ٤ - علي بن الحسين الملقب بزين العابدين والسجاد. ٥ - ثم ابنه محمد بن علي الملقب بالباقر. ٦ - ثم ابنه جعفر بن محمد الملقب بالصادق. ٧ - ثم ابنه موسى بن جعفر الملقب بالكاظم. ٨ - ثم ابنه علي بن موسى الملقب بالرضا. ٩ - ثم ابنه محمد بن علي الملقب بالجواد. ١٠ - ثم ابنه علي بن محمد الملقب بالهادي. ١١ - ثم ابنه الحسن بن علي الملقب بالعسكري. ١٢ - ثم ابنه محمد بن الحسن ويدعى المهدي والقائم والحجة. هؤلاء هم أولو الأمر الذين فرض الله علينا طاعتهم في القرآن (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وعرفنا منزلتهم (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (سورة آل عمران: آية / ٣٤). [صفحة ١٥١]

الانقلاب

إشارة

(وما محمد إلا - رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) (سورة آل عمران: آية / ١٤٤) [صفحة ١٥٣]

ماذا حدث؟

اختزلت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) ما حدث بكلمات بليغة في خطبتها الرائعة، قالت: " فلما اختار الله لنيبه (صلى الله عليه وآله وسلم) دار أنبيائه ومأوى أصفياه، ظهرت فيكم حسكة النفاق وسمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ حامل الأقلين وهدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملا حظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً فوسمتم غير إبلكم وأوردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب

والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر. " ... عبارات رصينة تلاحظ الانقلاب الذي جرى بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لم يأل جهدا في بيان حدود الشريعة ولم يسكت عن أمر الخلافة وأوضح للأمم ما يجب أن تتمسك به بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى - كما بينا - ولكن أبي البعض إلا- أن يخالف أوامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليدخل الأمة في نفق مظلم ومناهات تتخبط فيها إلى يومنا هذا اللهم إلا- من أنعم الله عليه بمعرفة أهل البت (ع) حق المعرفة. وما أن تحاول الخوض في غمار أحداث الانقلاب إلا- ويظهر لك من تمسح بلباس الدين ليخرج من جيبه بطاقة الفتنة ويشهرها في وجهك، أو يخرج لك صنم " عدالة الصحابة، " لكي تتوجه إليه تاركا المقاييس الإلهية الحقيقية التي تميز بها الحق عن الباطل.. وعندما يضطر أحدهم لمناقشة قضية الخلافة يطوى هذه سريرا قائلا: إن المسلمين والصحابة اتفقوا على خلافة أبي بكر التي كانت بالشورى الإسلامية! أقول بإمكانكم اليوم الهروب من الحقيقة بسبب العاطفة اللامنتطقية والتعصب الأعمى ولكن لا بد أن يكشف الغطاء هنالك في يوم المحشر وحينها ستقولون (يا ليتني كنت ترابا). [صفحة ١٥٤] ومع هذا يسخر الله من يسبر أغوار التاريخ ليخرج لنا الحقيقة، وستكون كتب القوم شاهدة على وهن ما يعتمدونه من تصويب كل ما فعله الصحابة المقدسون. وقبل مناقشة ما جرى في السقيفة من أحداث الشورى المزعومة يجدر بنا أن نتحدث عن أهم نظرية أسس عليها أهل السنة والجماعة قاعدتهم التي انطلقوا منها لأخذ معالم دينهم وهي " نظرية عدالة الصحابة " وبئس ما أسسوا (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله والله لا يهدي القوم الظالمين) [١٣٢]. هذه النظرية التي تخالف منطق القرآن والعقل بل وتناقض صريح الأحاديث الشريفة الواردة في كتب التاريخ والسيره جعلت الأمة تتيه وتتخبط وأحيانا تجمد وتقف حائلا بين الناس والحق، فهؤلاء الصحابة بأنفسهم يهدمون هذه النظرية من أساسها بأقوالهم وأفعالهم، أما ما وضع من فضائل مكذوبة لهم فلا يحتاج أمرها إلى ذكاء خارق لمعرفة ضعفها ووهنها سندا ومتنا وذلك لمخالفتها الواقع، ولو لم تكن إلا هذه النظرية لكفى بها تمييعا وتضعيفا لمعتقد أهل السنة والجماعة الذي لا يفرق بين المسلم والكافر ولا بين المؤمن والمنافق.

مع عدالة الصحابة

إشاره

الصحابي عند أهل السنة والجماعة هو كل من لقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤمنا به ولو ساعة من النهار ومات على الإسلام، وبالطبع لم يبق بمكة والطائف أحد سنة عشر إلا أسلم وشهد مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حجة الوداع. وإنه لم يبق في الأوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ودخل في الإسلام، وألحق بهذا الكم الهائل من أمروا في الفتح بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كل هؤلاء يدخلون تحت مصطلح الصحابي بمفهوم [صفحة ١٥٥] أهل السنة، ويرون أنهم كلهم عدول كما قال ابن عبد البر في مقدمته كتابه الإستيعاب "، والصحابة يشاركون سائر الرواة في كل ذلك إلا في الجرح والتعديل فإنهم كلهم عدول " وقال ابن حجر " اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول " وغير ذلك من أقوال علمائهم ويرون زندقه من يناقش أحوالهم.

القرآن و عدالة الصحابة

القرآن الكريم يقف عكس هذا الكلام تماما وينقضه وكذلك العقل الذي لم يهبه الله لنا إلا لتصديق الوحي ومن ثم الانطلاق لمعرفة الحقائق، وما جرى بين أولئك الصحابة يجعلنا نقف حيارى أمام أفعالهم المخالفة للدين في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد وفاته وما فعلوه في أهل بيته. والمتتبع لآيات الذكر الحكيم بعيدا عن التعصب والالتفاف إعراضا عن الحقيقة يدرك أن في

الصحابه منافقين مردوا على النفاق، ورموا فراش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإفك وحاولوا اغتياله وفيهم المرتابون وأن القلة منهم مؤمنة بحق وقد أطلق عليهم القرآن صفة الشاكرين (لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون) [١٣٣] (ولا تجد أكثرهم شاكرين) [١٣٤] ويقول (وقليل من عبادى الشكور) [١٣٥]. ونفس هؤلاء الأصحاب قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم أنهم يوم القيامة يختلجون دونه فيقول "أصحابى، أصحابى فيقال لى: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك." "ومما لا شك فيه أن المنافقين والمرتابين والذين سينقلبون على أعقابهم عاشوا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصلوا خلفه وصحبوه فى حله وترحاله، وهذه بعض الآيات التى تتحدث عن حال بعضهم وهم حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): - قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) (سورة الحجرات: آية / ١٤). [صفحة ١٥٦] إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون) (سورة التوبة: آية / ٤٥). - (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تفروا فى الحر، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) (سورة التوبة: آية / ٨١). - (ذلك بأنهم أتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم) (سورة محمد: آية / ٢٨ - ٣٠). - (ها أنتم تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) (سورة محمد: آية / ٣٨). - (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) (سورة محمد: آية / ١٦). - (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن، قل هو أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) (سورة التوبة: آية / ٦١). - (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا، وضاعت عليكم الأرض بما رحبت ثم ولتيم مدبرين) (سورة التوبة: آية / ٢٥). أقول أضف إليها قوله تعالى: - - (ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة، فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (سورة الأنفال: آية / ١٦).. فتأمل!! [صفحة ١٥٧] وهنالك فئة كبيرة من المنافقين لم يتناساها القرآن وأشار إليها بوضوح فى أكثر من مورد وهى جماعة لا يستهان بها.. ولكن للأسف ونحن ندرس التاريخ فى مدارسنا لم نعلم منهم إلا عبد الله بن أبى سلول، وكلما ذكر النفاق فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قفز إلى ذهنى هذا المناق مع أن القرآن يركز عليهم بشدة وذلك لا يكون إلا- إذا كانت حركة النفاق قوية جدا داخل المجتمع الإسلامى ولولا ذلك لم يولها القرآن هذا الاهتمام. والعجب كل العجب أن هذا التيار المناق سكنت حركته بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا ندرى لماذا؟ فهذه الفئة المنافقة إما أنها آمنت بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على يد الخلفاء الثلاثة، وإما وجدت الوضع ملائما فى عهدهم فقفزت إلى أعلى مراكز السلطة وامتلكت قرار الأمة، والأخير أقرب، وما جرى بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) دليلنا على ذلك: ما أن أجمع المسلمون على تنصيب على (ع) بعد مقتل عثمان حتى برز النفاق من جديد ليقود الحرب ضد خليفة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فخاض على الحروب المتتالية - الجمل، صفين، النهروان، وأخيرا استشهاد ليعود الأمر كما كان عليه وتتسلط جبهة النفاق على رقاب المسلمين من جديد. وهذه بعض من الآيات تبين مدى قوة جبهة النفاق فى عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). - (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون) (سورة التوبة: آية / ٦٤). - (ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) (سورة التوبة: آية / ١٠١). [صفحة ١٥٨] - الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا- يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم) (سورة التوبة: آية / ٩٧). - (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم) (سورة التوبة: آية / ٩٨). - (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله ونسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) (سورة التوبة: آية / ٦٧). - (وعد الله المنافقين والمنافقات نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم

ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) (سورة التوبة: آية / ٦٨). - (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) (سورة الفتح: آية / ٦). هذا قليل من كثير ولو تصفحنا كتاب الله لتعرفنا على مزيد من صفات المنافقين والمنافقات ولما احتجنا إلى كل هذا التكلف حتى نصنع هالة قدسية لكل من صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وهنالك كما لا يخفى على الألعى علاقة بين حركة التيار المنافق والحروب التي جرت في عهد الإمام على (ع)، ونظرة إلى أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حول صفات المنافقين تصل إلى السر الذي جعل الجيوش تتحرك لقتال على (ع) قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلى (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق). هذا المعيار أوضح من أن يحتاج إلى بيان، إذ أن من صفة المنافق بغض على (ع) وأعظم مصداق للبغض في أعلى مراتبه الحرب.. [صفحة ١٥٩] ولقد ورد هذا الحديث في صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب قال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن لا- يجنبى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق" [١٣٦]. ولقد كان ذلك معروفا في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى قال أبو ذر: "ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلى بن أبي طالب" [١٣٧]. السنة وعدالة الصحابة: - قال (صلى الله عليه وآله وسلم): " - ليردن على أناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك" [١٣٨]. يا قوم ما لكم كيف تحكمون؟ من أين لكم بهذه الخزعليات التي يرفضها القرآن والسنة؟ لماذا نظل نبرر كل انحراف؟ وإلى متى نغض الطرف عما حدث؟ حتى هؤلاء الصحابة شهدوا على أنفسهم بأنهم أحدثوا الكثير بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما جاء في البخارى " عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضى الله عنهما فقلت: طوبى لك صحبت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبايعته تحت الشجرة! فقال: يا بن أخى إنك لا تدري ما أحدثنا بعده" [١٣٩]. وقال أنس بن مالك " ما عرفت شيئا مما كان على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غير الصلاة وقد ضيعتم ما ضيعتم منها. وقال الزهري دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيعت" [١٤٠]. [صفحة ١٦٠] وروى أنس بن مالك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لأنصار: إنكم سترون بعدى أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض، قال أنس فلم نصبر" [١٤١] وإليك هذه الحادثة التي توضح حال هؤلاء الصحابة مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) " عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) قال: أقبلت غير من الشام تحمل طعاما ونحن نصلى مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجمعة فانفض الناس إلا اثني عشر رجلا- فنزلت هذه الآية (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما). وغير ذلك من الأحداث التي تبين الحالات المتباينة بين الصحابة، ولكن أهل السنة وخاصة علماءهم أبو إلا يطمسوا الحقيقة ويستغلوا العامة بلعهم على وتر العاطفة وارتباط الناس بدينهم فجعلوا الصحابة أصلا من أصول الدين لا- يجوز النقاش فيه أو السؤال عنه أو الطعن فيه بينما يمكنك الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بكل ارتياح، وأصبح عندهم الأمر عكسيا الأصل (النبوّة) صار فرعاً والفرع (الصحابة) أصبح أصلا، (وعند نقدك لأحد الصحابة تتهم بالزندقة وعندما تدافع عن عصمة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يشبتون بشتى الطرق أنه يخطئ ويسهو ويصيبه السحر وأن عمر بن الخطاب يفكر ويقدر أفضل منه) [١٤٢]، والمسلمون منقادون لعلمائهم بدون تعقل ودراية (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) [١٤٣]. فخاضوا بهم في متاهات لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى، وكثيرا ما يشتبه البعض فى الاستدلال على عدالة جميع الصحابة بقوله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) مع أن الآية تتحدث عن المؤمنين فقط وتحصر [صفحة ١٦١] رضى الله سبحانه وتعالى فيهم، والاستدلال بقوله تعالى (المؤمنين) على أنهم جميع الصحابة محل نظر يضاف إلى ذلك أن هنالك منافقين قد بايعوا رسول الله على هذه الواقعة ومن ضمنهم كما ذكر المؤرخون عبد الله بن سلول المنافق المعروف فهل يا ترى تشمله هذه الآية؟ إذا قلنا بالنفى فالمعنى الواضح أن الآية لا تشمل كل من بايع وإنما المؤمنين منهم وبالتالي فهي مخصصة ولا يصح أصلا الاحتجاج بها لأنها أخص من المدعى، وإثبات إيمان كل الصحابة يحتاج إلى دليل سابق

على ذلك. ثم إن الله تعالى يقول في آية أخرى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) والآية صريحة بإخبارها أن هنالك من ينكث وبهذا يكون رضا الله تعالى ما دام الإيمان والاستقامة وعدم الانتكاث، وحديث إبراء المتقدم يؤكد على ذلك.

الصحابة عند شيعة أهل البيت

أما أهل البيت وشيعتهم " فيرون أن لفظ الصحابي ليس مصطلحا شرعيا وإنما شأنه شأن سائر مفردات اللغة العربية، والصاحب في لغة العرب بمعنى الملازم والمعاشر ولا- يقال إلا- لمن كثرت ملازمته، والصحبة نسبة بين اثنين، ولذلك لا تستعمل الصحاب وجمعه الأصحاب والصحابة في الكلام إلا مضافا، كما ورد في القرآن الكريم (يا صاحبي السجن) و (أصحاب موسى) وكذلك كان يستعمل في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مضافا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو مضافا إلى غيره مثل قولهم (أصحاب الصفه) لمن كانوا يسكنون صفه مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم استعمل الصحابي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا- مضاف إليه وقصد به أصحاب النبي، وصار اسما لهم، وعلى هذا فإن (الصحابي) و (الصحابة) من اصطلاح المتشرعة وتسمية المسلمين، وليس اصطلاحا شرعيا. [صفحة ١٦٢] أما عدالتهم فإن مدرسة أهل البيت (ع) ترى تبعا للقرآن أن في الصحابة منافقين ومرتابين... الخ كما بينا بالآيات والأحاديث، والصحبة عندهم ليست بهذا المفهوم الذي أسس عليه أهل السنة دينهم، وعندما يتحدثون عن الصحابة يضعون نصب أعينهم آيات الذكر الحكيم وقول إمامهم على (ع) عندما سئل أمن المعقول أن تكون عائشة وطلحة والزبير على باطل قال " : ويحك يا رجل لا يعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله. " وهكذا فالشيعة يقدسون ما قدسه الله ويلتزمون بالولاء لمن التزم بقيم السماء ويتبرؤون من أعداء الله ورسوله وأهل بيته المنصوص عليهم، ولهم أدعية يقرؤونها ويدعون بها لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المخلصين ومن أشهرها ما ورد في الصحيفة السجادية للإمام الرابع للشيعة على بن الحسين " زين العابدين (ع) ... " . " اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته وسابقوا إلى دعوته واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأرواح والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به، ومن كانوا منظومين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته... الخ الدعاء.

مصيبة الامة

والمصيبة التي منيت بها هذه الأمة هي عدم كتابتها للحديث وذلك بفضل ذكاء أبي بكر وعمر الحاد اللذين شجدا في منع نشر كلمات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فتأخر زمان التدوين ليتنهم معاوية الفرصة ويغدق في العطاء للوضاعين للحديث ويوسع عليهم لضرب خصومه السياسيين وعلى رأسهم على (ع) الذي أمر معاوية بسبه على المنابر، استفاد معاوية من هذا المنع وأجزل في الدفع لوعاظ السلاطين لكي [صفحة ١٦٣] يخلتقوا له مجموعة من الفضائل والمناقب للخلفاء الثلاثة في مقابل فضائل لعلي (ع)، وعلى امتداد التاريخ لم يبق حديث في فضائل أهل البيت (ع) إلا وألفوا في مقابله فضيلة لأعدائهم، ومثال ذلك حديث " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " والذي كان في مقابل حديث " النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض. " قلت لأحدهم وهو يحاورني: إن كان حديث أصحابي كالنجوم صحيحا أفلا يعتبر على منهم فيحق لي اتباعه؟ قال: على من أكابر الصحابة! قلت له: إذا أنا أقتدى بعلي (ع) الذي رفض بيعه أبي بكر وقاتل عائشة وطلحة والزبير ولو ظفر بطلحة والزبير أثناء القتال في صفوف أعدائه لقتلهم، وكنت سأقاتل مع علي (ع) لو كنت حاضرا في حرب صفين ولو تمكنت من معاوية لقتلته، وكنت سأجهز على عمرو بن العاص وهو يظهر سواته لعلي (ع) حتى لا يقتله! أليس من حقي أن أقتدى بأصحابي كما تدعون؟!... ألا ساء ما يحكمون.

حديث العشرة المبشرين المزعوم

ما بدأت حوارا مع أحد ما جرى بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا وبادرني "إنهم مبشرون بالجنة" مستندا إلى حديث العشرة المبشرين بالجنة كما يزعمون وإنه لعمرى حديث لا- يحتاج مني إلى كثير عناء لإثبات وهنه ومخالفة متنه لواقع الأحداث التاريخية، وهو لا- يعدو أن يكون إحدى الأكاذيب التي وضعت كغيرها من الفضائل، وأورده هنا كنموذج لمأساة الأمة. العشرة المبشرون بالجنة هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح. هذا الحديث الضعيف سندا كما بين فطاحل العلم يكذبه متنه كذلك ولا ندرى لماذا اشتهر هؤلاء العشر بالتبشير بالجنة وحصرت فيهم مع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشر غيرهم كآل ياسر والحسن والحسين وأبي ذر، والقرآن أيضا يبشر كل من آمن وعمل صالحا ثم اهتدى بالجنة. إن هؤلاء الذين يرفعون عقيرتهم بمثل هذه الروايات الموضوعية لم يفتنوا إلى وضوح كذب الأحاديث إذ أنها لو كانت وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حقيقة لسمعنا في التاريخ احتجاج عمر بها مثلا في السقيفة كدعاية انتخابية لأبي بكر يسند بها انتخابه له. وياليتني أجد من يوضح لي هل من الممكن أن يكون عبد الرحمن بن عوف أحد رواة هذا الحديث معتقدا بصحته ومع ذلك يسلم سيفه على علي (ع) يوم شوري الستة قائلا: بايع وإلا تقتل؟ ويقول لعلي (ع) بعدما انتفضت البلاد على عثمان: إذا شئت فخذ سيفك وأخذ سيفي إنه قد خالف ما أعطاني. وهل أبو بكر وعمر المبشران بالجنة هما اللذان ماتت الصديقة بضعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي واجدة عليهما؟ وهل هما اللذان قالت لهما: إنني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أَرْضِيتماني ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه؟ وهل أبو بكر هذا هو الذي أوصت فاطمة (ع) أن لا يصلى عليها وأن لا يحضر جنازتها؟ وهل كان عمر يصدق هذه الرواية وله إمام بها وهو يناشد مع ذلك حذيفة اليماني العالم بأسماء المنافقين ويسأله عن أنه هل هو منهم؟ وهل كان طلحة والزبير يؤمنان بقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهما يؤلبان على عثمان ويشاركان في قتله؟ وهما اللذان خرجا على إمامهما وخليفة المسلمين المفروض عليهما طاعته بعد أن عقدت له البيعة فنكثا بيعته وأسعرا عليه نار البغض وقتلاه وقتلا. أو ليس طلحة والزبير هما اللذان ارتكبا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هتك حرمة ما لم يرتكبه أحد، حينما أخرجا زوجته عائشة تسير بين العساكر في البراري والفلوات غير مبالين في ذلك ولا متحرجين؟! [صفحة ١٦٥] وغير ذلك الكثير مما يؤكد أن الحديث مكذوب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أصله ولا تحتاج معرفة ذلك إلى كبير عناء.

السقيفة

حتى نتعرف على حقيقة ما جرى يوم تنصيب أبي بكر خليفة للمسلمين لا بد لنا من أن نتصفح أحداث ذلك اليوم ومن ثم نحدد هل هي الشورى كما يدعون: جاء في طبقات ابن سعد "عندما انتقل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى اجتمعت الأنصار في سقيفة بنى ساعدة وتبعهم جماعة من المهاجرين [١٤٤]. ولم يبق حول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أقاربه الذين تولوا غسله وتكفينه وهم: علي والعباس وابناه الفضل وقتم وأسامة بن زيد وصالح مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأوس بن خولى الأنصاري، ولخص عمر بن الخطاب خبر السقيفة فقال: إنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أن الأنصار اجتمعوا في السقيفة "سقيفة بنى ساعدة" وخالف عنا علي والزبير ومن معهما فقلت لأبي بكر: إنطلق بنا إلى إخواننا الأنصار فانطلقنا حتى أتيناهم فإذا رجل مزمل، قلنا من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة يوعك. فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط نبينا وقد دفت إلينا من قومكم دافه. قال عمر: فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر وقد كنت زورت في نفسي مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر فلما أردت أن

أتكلم قال: على رسلك فكرهت أن أغضبه، فقام فحمد الله وأثنى عليه فما ترك شيئا كنت زورت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت إلا قد جاء به أو بأحسن منه وقال: أما بعد يا معشر الأنصار فإنكم لا تذكرون منكم فضلا إلا وأنتم له [صفحة ١٦٦] أهل (وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش) [١٤٥] (وهم أوسط دارا ونسبا) (ولكن قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين) فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح، فلما قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجل فقال "أنا جدي لها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش." قال عمر فارتفعت الأصوات وكثر اللغط فلما أشفقت الاختلاف قلت لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك قال أبو بكر: بل أنت يا عمر فأنت أقوى لها مني وكان عمر كما ينقل الطبري أشد الرجلين وكان كل واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها ففتح عمر يد أبي بكر وقال: إن لك قوتي مع قوتك فبايع الناس واستثبتوا البيعة وتخلف على والزبير واختلط الزبير سيفه وقال: لا أعمده حتى يبايع على فبلغ ذلك أبا بكر وعمر فقال عمر: خذوا سيف الزبير فاضربوا به الحجر قال فانطلق إليهم عمر فجاء بهما تعباً وقال لتبايعان وأنتما طائعان أو لتبايعان وأنتما كارهان [١٤٦]. يقول عمر ثم نزونا على سعد حتى قال قائلهم قتلتم سعدا فقلت: قتل الله سعدا وأنا والله ما وجدنا أمرا هو أقوى من مبايعه أبي بكر [١٤٧]. هكذا كانت أحداث السقيفة، مهزلة تاريخية عاد الناس فيها إلى جاهليتهم حتى قال أحدهم لعمر "والله لنعيدنها جذعة" وهو نفسه القائل "أنا جدي لها المحكك...". "إن ما جرى في السقيفة لعبة سياسية ومسرحية درامية وضع لها السيناريو وحبكت خيوطها قبل تنفيذها، ولم يكن المنطق فيها للقيم والمبادئ بل لنعرات جاهلية. ولم نر فيها وجودا للمهاجرين سوى هذا الثلاثي أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وهو ما يحتاج إلى تفسير فلماذا هؤلاء بالذات دون غيرهم وكما يقول عمر لقينا [صفحة ١٦٧] رجلا صالحا شهدا بدرا فأخبرانا بخبر السقيفة ولم يذكر اسميهما. فمن هما وما هو السر في اختيارهما لهؤلاء. ثم إن وجود هذا الثلاثي في المدينة غير شرعي لأنهم مأمورون بإنفاذ الجيش الذي أعطى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر القيادة فيه لأسامة كما سيأتينا خبره. وماذا كان يضير هؤلاء الثلاثة إذا عملوا على تهدئة الأوضاع حتى يدفن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خصوصا وأن فيهم أبا بكر، وعلى حد زعمهم له المكانة التي كان يمكن استغلالها لذلك أم أن الأمور ستصبح على خلاف ما يشتهون؟! أما الحضور الكمي لهذه الشورى فلا أظن أنه كان كبيرا خصوصا لو علمنا أن هذه السقيفة مكان لا يتسع بأى حال من الأحوال إلى عدد كبير أضف إلى ذلك غياب عدد كبير من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى رأس أولئك على والهاشميون لأنهم كانوا في شغل عن الأمر بمصيبة وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تناسها الخليل الصديق وهو يسعى وراء الخلافة. يقول عمر "إنه كان من خبرنا حين توفي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة [١٤٨]. أى شورى هذه التي لم يحضرها باب مدينة العلم الفاروق الأكبر والصديق الأول على بن أبي طالب (ع)، ومن أين تستمد شرعيتها وكل سكان المدينة آنذاك ناهيك عن الدولة الإسلامية لم تجمع على ترشيح أبي بكر. وحتى الذين بايعوا لم يكن دافعهم إلى ذلك شخصية أبي بكر فهناك من بايع لموازات سياسية كما فعلت الأوس عندما بايعت أبا بكر قال بعضهم وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر [١٤٩]. [صفحة ١٦٨] احتج أبو بكر على القوم قائلا: لن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا واحتج عمر قائلا: من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته.. إذا كان هذا هو المعيار فأهل بيت النبوة وعلى رأسهم على (ع) أولى، الذي قال عندما سمع احتجاجهم: "احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة." وقد عبر أحد الشعراء عن هذا الموقف بقوله: فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم ++ فكيف بهذا والمشيرون غيب وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم ++ فغيرك أولى بالنبي وأقرب وأخيرا قال عمر عن بيعه أبي بكر "إن بيعه أبي بكر كانت فلتة فقد كانت كذلك غير أن الله وقى شرها [١٥٠]. وأنا أقول كانت فلتة مزقت الأمة تمزيقا وأبعدتها عن الصراط المستقيم.

أعلن على (ع) والعباس والهاشميون رفضهم لبيعة أبي بكر من الوهله الأولى وظلوا في بيت فاطمة (ع) معارضين، ولقد حاول أبو سفيان الاضطهاد في الماء العكر، جاء في الطبري " لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر قال أبو سفيان: ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش، وأقبل وهو يقول: والله إنى لأرى عجاجة لا- يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف فيما أبو بكر من أموركم أين المستضعفان على والعباس وقال: أبا حسن أبسط يدك أبايعك والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا [" ١٥١] ، لكن [صفحة ١٦٩] عليا (ع) رفض عرضة لأنه كان يعلم نوايا أبي سفيان وبنى أمية المعادية للإسلام فقال له " : إنك والله طال ما بغيت الإسلام شرا لا حاجة لنا في نصيحتك [" ١٥٢] ، وقد هدا أبو سفيان بعد أن ولي أبو بكر ابنه يزيد [١٥٣] . الإمام على (ع) كان يدرك أن الأمة الإسلامية في مفترق طرق والناس تتجاذبهم الأهواء وأي محاولة لتصحيح الانحراف بحرب مسلحة يمثل خطرا يهدد بيضة الإسلام التي يحافظ عليها على (ع) وهو الأمين عليها. ولقد بين أهل البيت (ع) لماذا لم يعارض على (ع) الخلفاء بالسيف قال الإمام الصادق (ع) في جواب سؤال وجهه إليه بعض أصحابه: ما منع أمير المؤمنين أن يدعو الناس إلى نفسه ويجرد على من ابتز حقه سيفه؟ فقال: تخوف أن يردوا وأن لا يشهدوا أن محمدا رسول الله. " والتاريخ يعلن لنا معارضة لما كان يجري فإننا لا نعلم لعلي (ع) دورا سياسيا بارزا على عهد الخلفاء ولم نسمع له خبرا في كل الحروب بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المشهود له بمواقفه الجهادية في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وعندما طلب منه عبد الرحمن بن عوف في شورى الستة أن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين رفض الأخيرة مما يشكك في مطابقة سيرة الشيخين " أبي بكر وعمر " لسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولو كان يعتقد بمطابقتها لسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلماذا يرفضها إذن؟. وفي أكثر من موقع يبين الإمام على (ع) حقه في الخلافة وانحصار الإمامة في أهل بيت النبوة (ع) يقول " أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم بنا يستعطي [صفحة ١٧٠] الهدى ويستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاء في غيرهم [" ١٥٤] . وفي كلام له يقول: (أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسبا والأشدون برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نوطا فإنها كانت أثره شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم لله والعود إليه يوم القيامة [" ١٥٥] . ويقول (ع) عن أهل البيت " هم موضع سره ولجأ أمره وعيبه علمه، وموئل حكمه، وكهوف كتبه، وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائضه.. لا يقاس بآل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفى الغالى وبهم يلحق التالى ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثه [" ١٥٦] . كما جاء في نفس المصدر قوله " نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحلم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة [" ١٥٧] . أحد العلماء من الذين يدعون حب أهل البيت (ع) جرى بينه وبين بعض الإخوة حوار قال لهم " : إن لعلى ولاية أعطاها له الله سبحانه وتعالى، ولو كانت خلافة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له، لتمكن من السيطرة عليها بدعاء منه، ولا يستطيع أحد أن يحتل مكانه. " من الواضح أن هذا القول الضعيف البين الوهن لا يمكن أن نفى به مسألة الانقلاب على على (ع)، لأن ذلك يقودنا إلى عدة أسئلة منها كيف ذبحوا الأنبياء [صفحة ١٧١] السابقين وهم أولياء الله بلا خلاف، وكيف أودى أفضل الأنبياء وأكملهم وحبيب إله العالمين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولماذا تكسر رباعيته وينهزم الجيش يوم أحد ألم يكن في إمكانه بدعاء منه أن يهزم جميع المشركين. إن الأنبياء والأولياء جاؤوا لهداية الناس دون جبر أما المعجزة والكرامة فليست لقهر العباد بالقوة للسير على الصراط المستقيم، وإنما كانت لإتمام الحجة وبيان حقيقة مكانة الأولياء عند الله تعالى، ولو كان كل انحراف يواجهه بالتدخل الغيبي لإرجاع الناس إلى الحق لما كان هنالك معنى للابتلاء ولا معنى للثواب والعقاب، يقول تعالى (ولو شاء ربك لأمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (سورة يونس: آية / ٩٩). إن الإمام والخليفة يعرف بالنص من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى الناس الالتزام بنصرتهم،

كما الكعبة تعرف بحج الناس إليها فيأتونها ولا تأتي لأحد، جاء في أسد الغابة عن علي (ع) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "أنت بمنزلة الكعبة، تؤتى ولا تأتي، فإن أتاك هؤلاء القوم فسلموها إليك - يعنى الخلافة - فاقبل منهم، وإن لم يأتوك فلا تأتهم حتى يأتوك" [١٥٨]. ولقد اختصر أمير المؤمنين علي (ع) وجهه نظره في خطبته المعروفة بالشقشقية يقول فيها: "أما والله لقد تقمصها فلان [١٥٩] وإنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحي، ينحدر عنى السيل ولا- يرقى إلى الطير، فسدت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا وطفقت أرتأى بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه!. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجى، [صفحة ١٧٢] أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان [١٦٠] بعده ثم تمثل بقول الأعشى: - شتان ما يومى على كورها++ ويوم حيان أخى جابر فيا عجباً!! بينا هو يستقلها فى حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته - لشد ما تشطرا ضرعيها - فصيرها فى حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تقحم فمنى الناس - لعمر الله - بخبط وشماس وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها فى جماعه زعم أنى أحدهم، فيا لله وللشورى! متى اعتراض الريب فى مع الأول منهم، حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر! ولكنى أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصره مع هن وهن إلى أن قام ثالث القوم [١٦١] نافجا حزنه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتله وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته."

خلافة علي...

اشاره

بعد وفاة عثمان لم يكن للأمة مناص من الاتجاه إلى من يحملهم على جادة الطريق كما قال عمر، إذ أن الفساد السياسى وصل إلى قمته وصارت أموال المسلمين فى يد الطلقاء، كان لا بد للأمة أن تبحث عن من يذكرهم بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد إعراض دام سنوات أوصلهم إلى ما أوصلهم إليه.. جاءت الخلافة إلى علي (ع) وهى تحبو محملة بجراحات متخنة من جراء اجتهادات السابقين، لم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه... [صفحة ١٧٣] أخيراً انكشف الغطاء وعرفوا الحل "ولا أبقى الله الأمة لمعضلة ليس لها أبو الحسن" اجتمعوا عليه وطلبوا منه أن يقبل الخلافة، أشار عليهم أن يبحثوا عن غيره لأنه كان يعلم بأنهم لن يستطيعوا معه صبرا على الحكم بالحق، وأنه لن يخاف فى الحق لومة لائم كما قال فى الأموال التى وزعها عثمان على محبيه وهى ملك للمسلمين عامة"، والله لو وجدته قد تزوجت به النساء وملك به الإماء لرددته فإن فى العدل سعة ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيقت. "هكذا سيكون على ولن يعجب هذا الحال بعض الذين تعودوا على العطايا والهبات الملكية زمن الخلفاء إضافة إلى الذين لا يرغبون فى شخص على (ع) حاكما. فألبوا الناس على قتاله، وحكم على (ع) المسلمين فى فترة اتسمت بالحروب التى كانت فيصلا بين الحق والباطل وقد أخبره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) "تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل." يقول الإمام على (ع) فى أمر مبايعته: "فما راعنى إلا- والناس كعرف الضبع ينثالون على من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفائى مجتمعين حولى كربيضة الغنم، فلما نهضت بالأمر" نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون [١٦٢] كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) بلى "والله لقد سمعوا ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا فى أعينهم وراقهم زبرجها" الشقشقية.

حرب الجمل

كان طلحة والزبير ذوا حظوة حتى عهد عثمان، وكانا يطمعان في الكثير على عهد علي (ع)، وعندما لم يجدا بغيتهما عند إمام العدل أضمرنا في نفسيهما أمرا وطلبا [صفحة ١٧٤] الإذن من علي (ع) بعد أن بايعاه بالذهاب إلى مكة للعمرة فأذن لهما وهو يعلم ما يضمران وقال لأصحابه "والله ما أرادا العمرة ولكنهما أرادا الغدرة" ولحقا بعائشة في مكة وحرصاها على الخروج.

عائشة بنت أبي بكر

في النصف الثاني من حقبة خلافة عثمان بن عفان كانت السيدة عائشة "من أشد الناس على عثمان حتى أنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله لم يبيل وقد أبلى عثمان سنته.. وقالوا أنها كانت أول من سمى عثمان نعتلا (اسم أحد اليهود بالمدينة)، وكانت تقول اقتلوا نعتلا! قتل الله نعتلا [١٦٣]. وكما تنقل إلينا المصادر التاريخية كانت السيدة عائشة بمكة، خرجت إليها قبل أن يقتل عثمان، فلما قضت حجبها انصرفت راجعة، فلما صارت في بعض الطريق، لقيها ابن أم كلاب (أحد معارفها) فقالت له: ما فعل عثمان قال: قتل! قالت: بعدا وسحقا. ولكن ما نعجب له هو مسيرها بجيش جرار لقتال علي (ع) لأنه قتل عثمان كما تزعم، فكيف تطالب بقتل عثمان ثم تقود الجيوش للأخذ بثأره؟! يقول الطبري عندما لقيت عائشة ابن أم كلاب الذي أخبرها بمقتل عثمان قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور خير مجاز، اجتمعوا على علي بن أبي طالب فقالت: والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ردوني، فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه فقال لها ابن أم كلاب: ولم! فوالله إن أول من أمال [صفحة ١٧٥] حرفه لأنت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعتلا فقد كفر [١٦٤]. وللرجل كل الحق في تعجبه هذا، ولكن بنظرة سريعة لتاريخ عائشة مع علي (ع) نجد أنها لم تكن على توافق معه منذ عهد رسول الله، وكلماتها التي ذكرناها آنفا تدلل على مدى بغضها لعلي (ع) والذي ترجم إلى الحرب والتأليب والتخريض بل وقيادة جيش لقتاله، وقد تقدم قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) "لا يحبك إلا مؤمن ولا- يبغضك إلا- منافق" ونفس هذه المصادر التي ذكرت الحديث تخبرنا عن بغض عائشة لعلي (ع) حتى أنها كانت لا تطيق ذكر اسمه [١٦٥] وينقل الإمام أحمد بن حنبل "إن أبا بكر جاء مرة واستأذن على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبل الدخول سمع صوت عائشة عاليا وهي تقول للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): والله لقد عرفت أن عليا أحب إليك مني ومن أبي تعيدها مرتين حتى ضربها أبوها [١٦٦]. مجموعة من الصفات النفسية كانت وراء موقف عائشة من أهل البيت (ع) حتى أنها صرحت بعدم حبها للحسن (ع) عندما أرادوا دفنه عند جده المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) فخرجت عليهم قائلة (لا يدفن في بيتي من لا أحب)، ولعل أبرز تلك الصفات غيرتها العجيبة والتي لم تخف على الجميع ولقد درسناها في مناهجنا الدراسية. وهنالك عوامل أخرى كثيرة كانت السبب في خروج عائشة على علي (ع) لعل أهمها موقف علي وأهل البيت (ع) من خلافة أبيها، ووقفه الزهراء في وجهه أيضا ومعلوم أن الزهراء (ع) زوجة علي (ع) وأم الحسن والحسين وفوق ذلك هي البنت الوحيدة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من خديجة زوجته الأولى التي كانت تغير منها عائشة حتى وهي في العالم الآخر... فتأمل، لم نجد ما يبرر خروج عائشة على [صفحة ١٧٦] الإمام علي (ع) بل وجدنا أن ذلك خلاف الشرع وفقا للدليل النقلى والعقلى وإجماع الأمة. إن عائشة بخروجها تكون مخالفة لصريح الآيات القرآنية التي تأمر نساء النبي بالاستقرار في بيوتهن (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وقد عمل كل نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك ما عدا عائشة. كما أن خروجها على الخليفة الشرعى فيه إشكال بغض النظر عن كونها امرأة مأمورة بالبقاء في بيتها وذلك منهج أهل السنة والجماعة، والإمام علي (ع) أجمعت عليه الأمة كخليفة للمسلمين فلا يجوز لها الخروج عليه وقتاله إذ أن ذلك يعتبر خروجا عن الدين بقولنا وبقولهم. ثم إن العقل يحكم بتناقض موقفها فهي تارة تطالب بقتل عثمان وعندما يحدث ذلك تطلب ثأره، هذا شئ غريب وموقف غير مفهوم يحتاج إلى تأمل حتى نستطيع أن نحدد موقفنا... خصوصا وإنه قد قيل أن نصف الدين عند الحميراء. وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بخروجها كما جاء في المستدرک قال: ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وسلم) خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال: انظري يا عائشة أن لا تكوني أنت " ثم أخبر أن التي تخرج ستنبحها كلاب الحوآب. وعندما نبحت عليها الكلاب قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: الحوآب قالت: ما أظنني إلا راجعة فقال الزبير: لا بل تقدمي ويراك الناس قالت: ما أظنني إلا راجعة سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوآب [١٦٧]. وهي في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نراها كما جاء في الآيات المباركة من سورة التحريم والتي فصلت في أمر زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [صفحة ١٧٧] وبينت لنا أن نساء الأنبياء ليس من الضرورة أن يكن على قدر من الإيمان، بل يمكن أن يصرن على خلاف ما عليه أزواجهن من الأنبياء وليس ذلك بالأمر المستبعد والله تعالى يضرب لنا الأمثال لعنا نعقل (ضرب الله مثلا- للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) [١٦٨]. هذا المثل جاء في سورة التحريم التي تتحدث عن بعض أفعال عائشة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا) [١٦٩]. الآيات كما قال عمر نزلت في عائشة وحفصة كما ذكر البخاري [١٧٠]. ويهددهن الله تعالى بالطلاق (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) [١٧١]. وأنا لا أريد الحديث عن سيرتها تفصيلا لأن المقام مقام جهاد وحرب وقيادة جيوش وهو خاص بالرجال ولكن لكي تتضح الرؤيا أوردنا ما أوردناه. أحد الأصدقاء كان يحاور بعض الوهابية عن جهاد المرأة فاحتدم النقاش بينهما وتعصب الوهابي في وجه هذا الأخ صارخا: "الجهاد للمرأة غير جائز ويعتبر تبرجا وهو حرام" فقال له "إذا لماذا خرجت أمكم يوم الجمل." هذه هي أطراف حرب الجمل، على (ع) خليفة المسلمين وولى أمرهم من جهة والجهة الأخرى على قيادتها عائشة وطلحة والزبير. وقد كانت عائشة هي القائد الفعلي لجيشها وكانت تتصرف فيه وكأنها [صفحة ١٧٨] الخليفة الشرعي. وأظنها بدأت تتوهم بأن في إمكانها أن تحل محل أبيها، ومما يؤيد ذلك ما ذكره ابن أبي الحديد " أن عائشة كتبت وهي في البصرة إلى زيد بن صوحان العبدى رساله تقول له فيها: من عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد فأقم في بيتك وخذل الناس عن ابن أبي طالب وليبلغني عنك ما أحب فإنك أوثق أهلى عندي. والسلام. فأجابها الرجل: من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر أما بعد فإن الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر: أمرك أن تقرى في بيتك، وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك تأمريني أن أصنع خلاف ما أمرني الله به، فأكون صنعت ما أمرك الله به وصنعت أنت ما به أمرني، فأمرك عندي غير مطاع، وكتابك لا جواب له. هكذا كانت عائشة وهي تحارب الإمام المفترض الطاعة بمنظورنا وخليفة المسلمين المجمع عليه دون باقى الخلفاء بمنظور أهل السنة والجماعة، وانتصر عليها أمير المؤمنين وعقر ناقتهما وسار فيها بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أهل مكة إذ قال لهم " اذهبوا فأنتم الطلقاء" وأرسلها على (ع) إلى المدينة سالمة.

صفين

اشاره

لن أتحدث عن صفين في تفاصيلها إنما موضوعنا حول قيادة الجيش الذى حارب عليا (ع) من صفين، لأن القيادة تبين لنا الفاصل بين الجيشين وأيهما الحق وأيهما الضلالة. وفي صفين يكفى أن تعلم أن قيادة الجيش المقابل لمعاوية كانت متمثلة في علي (ع) حتى تحكم علي معاوية ومن معه أنهم على خطأ فادح، ومع ذلك كان وجود عمار بن ياسر في جيش علي (ع) تذكرة ودلالة على أن الفئة الباغية معاوية وأصحابه إذ أنه من المتفق عليه قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لعمار " يا عمار تقتلك الفئة الباغية " ولقد استشهد عمار في صفين كما هو معلوم. [صفحة ١٧٩] لم أقف على قول يفصل في حادثة إسلام معاوية وفي اعتقادي أن معاوية لم

يجد له مكانا وسط المسلمين إلا بعد توليته الشام من قبل عمر الذي أطلق له العنان دون المحاسبة التي اشتهر بها وذلك تتمه للصفقة بين أصحاب السقيفة وبنى أمية كما تقدم ذكره عندما أراد أبو سفيان أن يحرض عليا (ع) على القتال. وعمر يريد أن يستمر الهدوء على عهد خلافته فأسكت بنى أمية بالشام وهم لا يهمهم كيف تكون الدولة الإسلامية بقدر ما يهتمون بوجود مكانة لهم في هذا الواقع الذي فرض عليهم ودخلوا فيه اضطرارا لا إيمانا برسالة الإسلام ونبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولقد وضع ذلك جليا عندما تسلموا زمام السلطة فحاربوا عليا وأبناءه لأنهم امتداد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبما أن معاوية لا يستطيع أن يسب محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) لجأ إلى سب علي (ع) وجعل ذلك سنة عند خطباء دولته، والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول "من سب عليا فقد سبني" [١٧٢]. والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوضح من هو معاوية كما جاء في تاريخ الطبري قال: رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أبا سفيان مقبلا على حمار ومعاوية يقود به ويزيد أخوه يسوق قال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق. "أما شخصي معاوية بمنظار علي (ع) فسوف نجدتها في رسائله لمعاوية حيث جاء في رد للإمام علي على خطاب أرسله معاوية": أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصله، ورسالة محبرة نمقتها بضلالك وأمضيها بسوء رأيك، وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده، وقد دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتبعه فهجر لا غطا وضل خابطا [١٧٣]. في رسالة أخرى له يقول الإمام: "ومتى كنت يا معاوية من ساسة الرعية وولاء [صفحة ١٨٠] أمر الأمة؟ بغير قدم سابق ولا شرف باسق ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء وأحذر أن تكون متماديا في غرة الأمانة مختلف العلانية والسرية. ولقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانبا واخرج إلى واعف الفريقين من القتال، لتعلم أينا المرين على قلبه والمغطى على بصره! فأنا أبو الحسن قاتل جدك وأخيك وخالك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوى ما استبدلت دينا ولا استحدثت نبيا وإنى لعلى المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين" [١٧٤].

رسالة محمد بن أبي بكر لمعاوية

كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية: - بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر. سلام على أهل طاعة الله ممن هو مسلم لأهل ولاية الله. أما بعد: - فإن الله جل جلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقا بلا عنت ولا ضعف في قوته ولا حاجة به إلى خلقهم إلى أن قال: فكان أول من أجاب للرسول وآب وصدق ووافق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب فصدقه بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم فوقاه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الأزل (الضيق الشديد) ومقامات الروح حتى برز سابقا لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو المبرز السابق في كل خير أول الناس إسلاما وأصدق الناس نية وأطيب الناس ذرية وأفضل الناس زوجة وخير الناس ابن عم وأنت اللعين ابن اللعين ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتحالفان فيه القبائل، على ذلك [صفحة ١٨١] مات أبووك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والشاهد لعلى مع فضله المبين وسبقه القديم أنصاره الذين ذكروا في القرآن فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار فهم معه عصائب وكتائب حوله: يجادلون بأسياهم ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتباعه والشقاء في خلافه، فكيف بالك الويل تعدل نفسك بعلي وهو وارث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووصيه وأبو ولده، وأول الناس اتباعا وآخرهم به عهدا، يخبره بسر، ويشركه في أمره وأنت عدوه وابن عدوه؟ فتمتع ما استطعت بباطلك وليمدد لك ابن العاص في غوايتك، فكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا، واعلم أنك إنما تكايد ربك الذي قد أمنت كيده، ويشت من رحمته وهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور وباللله وأهل رسوله الغناء والسلام على من اتبع الهدى [١٧٥]. هذه الرسالة تتطابق وواقع معاوية

الحقيقي في التاريخ، معاوية الذي جمع حوله الهمج والرعا حتى أنه صلى بأهل الشام الجمعة يوم الأربعاء وأرسل لعلي (ع) إنى جئت بقوم لا- يفرقون بين الجمعة والأربعاء، إضافة إلى المصلحين والدهاة أمثال عمرو بن العاص. ومما يثير العجب أن تجد كتابا باسم (رجال حول الرسول) يتحدث كاتبه عن عمار بن ياسر فيثبت أنه صحابي جليل به عرف أن الفئة الباغية فئة معاوية وبعد ذلك بصفحات يتحدث عن عمرو بن العاص - قادة الفئة الباغية فيثبت أيضا أنه صحابي جليل!! والحديث عن عمرو بن العاص - داهية معاوية ويده اليمنى - طويل ومتشعب ويكفينا دوره العجيب في قضية التحكيم التي لعب فيها دهاؤه ومكره الدور الكبير لتكون السبب المباشر لخروج الخوارج. [صفحة ١٨٢] ولقد رفض عمرو مشاركة معاوية إلا مقابل جزء من دنيا معاوية فقبل معاوية أن يشتري منه دينه مقابل نصف دنياه. يقول المسعودي " وكان عمرو بن العاص قد انحرف عن عثمان لانحرافه عنه وتولية مصر غيره فنزل الشام، فلما اتصل به أمر عثمان وما كان من بيعه على كتب إلى معاوية يهزه ويشير عليه بالمطالبة بدم عثمان وكان فيما كتب إليه: ما كنت صانعا إذا قشرت من كل شيء تمتلكه فاصنع ما أنت صانع، فبعث إليه معاوية فسار إليه، فقال له معاوية. بايعني، قال: لا والله لا أعطيك من ديني حتى أنال من دنياك، قال: سل، قال: مصر طعمه، فأجابته إلى ذلك وكتب له به كتابا، وقال عمرو بن العاص في ذلك. " معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل ++ به من دناكم فانظرن كيف تصنع فإن تعطني مصرا فارح صفقة++ أخذت بها شيئا يضر وينفع [١٧٦]. وجاء في تاريخ الطبري أن عمرو بن العاص قال لمعاوية " أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته ولكن إنما أردنا هذه الدنيا فصالحه معاوية وعطف عليه [١٧٧]. هؤلاء هم قادة جيش معاوية في صفين باعوا دينهم بدنياهم وحاربوا إمام زمانهم وخليفة المسلمين ومع ذلك يأتي من يقول أن معاوية وعمرو بن العاص صحابة ويجب التسليم!! وما جرى من عمرو بن العاص ومعاوية في المعركة بين مدى جبنهم وحرصهم على الحياة الدنيا، يقول المسعودي " ثم نادى على: يا معاوية علام يقتل الناس بيني وبينك؟ هلم أحاكمك إلى الله. فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور، فقال عمرو لمعاوية: قد أنصفك الرجل، فقال له معاوية: [صفحة ١٨٣] ما أنصفت وإنك لتعلم أنه لم يبارزه رجل قط إلا قتله أو أسره، فقال له عمرو: ما يجمل بك إلا مبارزته، فقال معاوية: طمعت فيها بعدى وحقدتها عليه. ثم إن معاوية أقسم على عمرو لما أشار عليه بهذا أن يبرز إلى علي فلم يجد عمرو من ذلك بدا، فبرز فلما التقيا عرفه على فرغ السيف ليضربه به، فكشف عمرو عن عورته وقال: مكره أخوك لا- بطل. فحول على وجهه عنه وقال: قبحت، ورجع عمرو لصاحبه [١٧٨]. دنا عمار بن ياسر من عمرو أثناء المعركة فقال: يا عمرو بعث دينك بمصر تبا لك طالما بغيت في الإسلام عوجا [١٧٩]. لقد كانت شخصيات الصحابة مكشوفة لدى بعضهم وكل واحد يعرف نفسيات الآخر ولقد تجلى ذلك في الحروب المتتالية وهذا واقع لا يمكن أن ننكره ويجب علينا أن نميز فيه بين الفاسق والمؤمن. والحديث عن معاوية وصاحبه عمرو يطول بحيث لا- يسع المجال لعرض تاريخهما الحافل بالعجائب ونقتصر على التذكير ببعض غرائب معاوية التي لا يستطيع أحد نكرانها.

بعض أفعال معاوية

- اغتصابه الخلافة بالقهر. - قتل حجر بن عدى وأصحابه لأنهم رفضوا سب علي (ع) والبراءة منه ووقفوا في وجه من يفعل ذلك وقد قالت عائشة لمعاوية: الله الله في حجر وأصحابه وعاتبته وقالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: يقتل بعدى [صفحة ١٨٤] بعذراء (بالشام) سبعة رجال يغضب الله وأهل السماء لهم [١٨٠]. وقال الإمام علي (ع): " يا أهل الكوفة سيقتل منكم سبعة نفر هم خياركم بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود. - " جعل سب علي (ع) سنة يتبرك بها غربانه في أقطار حكمته. - سفك دماء شيعة الإمام الطاهر علي (ع) واستباحة أموالهم وأعراضهم وقطع أصولهم بقتل ذراريهم وأطفالهم وحتى نسائهم، ولا أدري أين كان ابن آكلة الأكباد والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصي الأمة بهم خيرا. - اجتهاده وإلحاقه زياد ابن أبيه وقد قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الولد للفراش وللعاهر الحجر. - نقض كل المواثيق والعهود التي أبرمها مع الإمام الزكي الحسن بن

على (ع) بعد أن عقد معه صلحا، إلا أن معاوية وعندما هدأت له الأمور خطب في أهل الكوفة وقال: يا أهل الكوفة إني ما قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج. ولقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم وعلى رقابكم [١٨١] إلى أن قال: وكل شرط شرطته وكل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به. - " وختم صفحته السوداء مع الحسن (ع) بدس السم إليه فلقى الحسن (ع) ربه شهيدا مظلوما، ولما سقى السم، وقام لحاجته ثم رجع فقال: لقد سقيت السم عدة مرات فما سقيت مثل هذه لقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه يعود في يدي. وكان معاوية قد أطمع جعده بنت الأشعث زوجة الحسن (ع) بالزواج من يزيد ابنه ثم طلب منها دس السم للحسن (ع)، ولما استشهد الحسن (ع) أرسل لها قائلا: إنا [صفحة ١٨٥] نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه. - أما أعظم ما فعله فهو استخلافه يزيد وهو الخمير السكير، وسيأتيك خبره مع وجوه الصحابة وأفضل القوم. إن بنى أمية يبحثون عن هذه الفرصة منذ أن علاهم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسيف ونصره الله عليهم وهم مشركون وأظهره على جزيرة العرب بعد أن أكرمه بالنبوة وحباه بالرسالة، ولا يخفى عدا بني أمية لبني هاشم، فكيف بهم إذا كان النبي من بني هاشم والأوصياء والخلفاء منهم، وما كان في خلد معاوية يوم استقرت له السلطة وتم له الملك أن يتخذ ابنه ولي عهده ويأخذ له البيعة ويؤسس حكومة أموية مستقرة في أبناء بيته، فلم يزل يروض الناس لبيعة يزيد سبع سنين يرسل للأقطار بعد أن بويع له بالشام وسافر معاوية بنفسه إلى المدينة ومكة ساعيا وراء البيعة لابنه. ونختم المطلب بقول الحسن البصري عندما سئل عن معاوية، قال: - أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتراؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منها وفيهم بقايا الصحابة وذوى الفضيلة، واستخلافه ابنه يزيد بعده سكييرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجرا ويل له من حجر " قالها مرتين [١٨٢] أقول ربما يدارى الرجل بعض أفعال معاوية وإلا فالموبقات كثيرة حدث عنها ولا حرج. [صفحة ١٨٩]

كربلاء امتداد للسقيفة

كيف يرون معاوية ويزيد

في إحدى المرات التقى بعض الإخوة الشيعة مع مجموعة وهابية صدفة وكنت موجودا ولم تكن الرؤية واضحة لدى وإن كانت ملامح الصواب بدأت تلوح لي، ويبدو أن هؤلاء الوهابية كان لهم حوار سابق مع الشيعة فبدأوا معهم النقاش حول قضية الحسين (ع) وكربلاء ورأيت الوهابية وقد احتوشوا الإخوة والشرر يتظاير من أعينهم وكأنهم يريدون القتال، تحدث أحد الشيعة عن عدم أحقية معاوية في تنصيب يزيد خليفة للمسلمين فذكر اسم معاوية مجردا من الترضي عليه فصرخ أحدهم في وجهه قائلا: - قل رضى الله عنه هل هو أخوك حتى تذكره مجردا؟! فرد عليه الشيعي: هل أنت وأنا أفضل من علي (ع) وأكثر فهما منه؟ فشمروا أحدهم عن ساعديه وكأنه ينوى ضربه وهو يقول: إسمعوا هذا هو ديدن الشيعة يشككون في كل شيء وهذا الرجل يسألنا سؤالا بديها والإجابة عنه واضحة فلا أحد يرى أن هنالك أفضل من علي سوى الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم جميعا وأرضاهم. فالتفت إليه الشيعي وقال، أولا فليتكلم أحدكم، ثانيا: إذا أردت الحديث فافهم أولا ما أقول ثم تحدث، وثالثا إذا كان علي (ع) أفضل منا وهو كذلك بلا شك فهو أدرى منا بالأصول أليس كذلك؟! قالوا بحذر: نعم فقال لهم: على حارب معاوية، ليس فقط لم يترض عليه كما تطالبونني بل قاتله أشد قتال ولو ظفر به لألحقه بأجداده، قال أحدهم وهو يمضغ مسواكا: نقول كما قال السلف تلك دماء عصم الله منها سيوفنا فلنعصم ألسنتنا، ونحن نرى معاوية صحابيا جليلا وأنه فعل خيرا عندما نصب يزيد ونرى أن خروج الحسين بن علي كان خطأ منه وقد تاب يزيد. [صفحة ١٩٠] قال الشيعي: قولك فنعصم منها ألسنتنا لا ينطبق عليك لأنك الآن تقول أن معاوية صحابي جليل إذا لقد أخطأ علي في حربه لمعاوية ثم من قال لك أنك لن تسأل عن تلك الدماء. لا بد أن يكون لكم موقف تجاه ما جرى، فهما جهتان إحداهما على

حق والأخرى على باطل ووقوفك الآن في وجهي اشتراك في تلك (الفتنة) كما تدعى. أما عن الحسين بن علي فهو لم يخطئ كما تقول فهو كما قال عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): سيد شباب أهل الجنة وهو من أهل بيت النبوة وتعلم من جده كيف ينصر الحق، ويزيد تعلم من أبيه ما تعلم كما نقلت إلينا كتب التاريخ، قاطعه أحد الوهابية: يجب على المسلمين أن يقتلوا هؤلاء الشيعة أينما وجدوهم فإنهم فتنة. قال له أحد الشيعة وهو يبتسم: هكذا دائما كان أعداء الشيعة بأسم الحق يقتلون الحق وباسم الفتنة يحجبون الناس عن الحقائق وبالنتيجة أنت لا تفترق عن سلفك كثيرا، إنك تربية ذلك المنهج الذي تبناه معاوية ويزيد وآل أمية ومن إليهم. عندما وصل الحوار إلى هذا الحد أخذت أحدهم على جانب وأخبرته بأني لست شيعيا ولكني أسمع بهم فمن هم وماذا يقولون ولماذا تهاجمونهم بهذه الطريقة. فقال لي: يا أخي أبعذك الله عن أمثال هؤلاء إنهم مشركون زنادقة يسبون الصحابة ويقولون أن جبرائيل خان الأمانة وأعطى الرسالة لمحمد وهي في الأساس لعلي ابن أبي طالب كما أنهم يعبدون الحجارة ويقولون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان... قلت مندهشا: من الذي قال لك؟! قال مفتخرا: نحن نعرفهم جيدا.. أحسست بغثيان بسبب كذب هؤلاء القوم. لقد قرأت بعض كتب الشيعة التي ألفها كبار علمائهم ورأيت بعض الإخوة الشيعة، لم أقرأ أو أسمع ما قاله هذا الوهابي. [صفحة ١٩١] ولا أدري كيف يدعون نصره الحق وهم يكذبون بل يبالغون فيه إلى حد يؤسف له، صرخت في وجهه بلا وعي مني: ألا يمكنك أن تنصر الحق الذي تدعيه بدون أن تكذب وتفتري على القوم. فارتبك متلعثما: كيف تقول لي مثل هذا الكلام؟! قلت: أنت الذي أجبرتني على ذلك أنا قرأت للشيعة وجلست معهم وأعرف جيدا ما يقولون وما ذكرت له لي بعيد عنهم كل البعد فهم يوقرون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر مني ومنك ويحترمون المقدسات الدينية ويؤمنون بالله ويدعون له ليل نهار، ثم إن كلامك هذا متناقض فهم إذا كانوا يؤمنون بجبرائيل كونه يحمل وحى الرسالة للرسول فكيف يعبدون الحجر، ثم إن مثل هذه التهم صارت قديمة لا يصدقها أحد والناس أكبر وعيا من أن تنطلي عليهم هذه الأكاذيب. قال: يبدوا أنك منهم! قلت: لست شيعيا ولو كنت فلا شئ يمنعني من التصريح بذلك لكنني الآن فقط عرفتمكم، أنتم لا تستطيعون الدفاع عن باطلكم إلا عن طريق الكذب، ومما يحزنني أنني كنت أعتقد بأن أنصار السنة " الوهابية " هم أكثر الناس ورعا وتقوى، لكن الآن تجلّيتم لي بحقيقتكم. أدرت له ظهري كيما أرجع إلى الإخوة فقال لي: على كل حال يجب ألا تتأثر بكلام هؤلاء فإن في حديثهم سحرا يؤثر، ضحكت وقلت له: هذا ما قالته قريش للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما جاء بالقرآن، ورجعت إليه مرة أخرى قائلا له: - دعنا من كل ذلك فأنا أسألك حول قضية الحسين بن علي كمسألة واضحة ماذا تقولون فيها؟ سكت وكأنه يبحث عن إجابة ثم قال: لماذا تبحثون عن هذه الأشياء؟! قلت: أجب على سؤالى ودع عنك السبب. قال: معاوية صحابي جليل، ويزيد كان أميرا على المسلمين والحسين خرج على ولي أمر زمانه، ولو كان يزيد قد أخطأ فربما يكون قد تاب فلا داعي لأن نتحدث حوله ونشهر به. قلت مختتما هذا الحوار الذي لن يثمر عن شئ: أنت بهذا تلغى الآيات القرآنية التي شهرت بقبايل ونمرود وفرعون والسامري... وغيرهم من الطغاة أعداء الرسالات، [صفحة ١٩٢] ويقولك هذا تبرر لكل مخطئ في هذه الدنيا لأنه ربما يتوب، وبهذه العقلية تعطل الدين ويصبح كل التاريخ بلا فائدة، كلمة أخيرة أقولها لك أنتم لا ترتقون لمستوى الدفاع عن شريعة السماء لأنها لا تحتاج إلى مراوغة وكذب وافتراء وحديثي معك الآن إذا لم أصبح بسببه شيعيا فهو يعدني عنكم أكثر فأكثر. وحاول أن يعتذر قائلا: على كل حال نصيحة لك لا تقرأ لهؤلاء ونحن سنكون بالمرصاد لهم. قلت: إذا كانوا على حق فالله ناصرهم وإن كانوا على باطل فأنتم أكثر بطلانا منهم، وتركته وانصرفت راجعا إلى الإخوة فوجدت أن الوهابية لم تزل تدافع عن يزيد ومعاوية فتركتهم وانصرفت إلى بعض أشغالي أسفا على حال هؤلاء المساكين الذين يرددون ما يقوله أحبارهم بلا وعي ولا فهم.

مع الحسين

قضية الحسين (ع) من أولى القضايا التي أخذت مساحة من دواخلي وعمقت جرحا أحسست به منذ اللحظة الأولى التي بدأت فيها الحقائق تتكشف مزيحة جهلا- ووهما كنا نعيشه بإعزاز وتخطيط ذكي من أولئك الذين حرفوا الحقائق وفقا لأهوائهم ورغباتهم وبتنا

نحن نعيش في قصور من زجاج نحلم بأن يعيد التاريخ نفسه لنعيش تلك الحياة المعصومة التي كان يعيشها الصحابة والرعييل الأول من التابعين الذين عاشوا في صدر الإسلام، ولا ننسى دور علمائنا الذين ظلوا يرددون ما وجدوه في التاريخ دون نظر وتحليل لما جرى فيه. وقضية الحسين (ع) من القضايا التي أراد أعداء الإسلام أن لا تبرز للناس لأنها تمثل حلقة من حلقات الصراع بين الحق والباطل وتعتبر من أنصح صفحات التاريخ في قضية الجهاد والتضحية في سبيل رسالة السماء. [صفحة ١٩٣] كثيرا ما كنت أسمع في مجتمعي السوداني أن فلانا (مظلوم ظلم الحسن والحسين) ولكن من ظلمهم وكيف؟ وما هو أساس ذلك الظلم؟ وهل الحسن والحسين من الشخصيات الهامشية في الإسلام حتى لا نقف عند ما جرى لهم من هذه الأمة التي لم تحفظ النبي فيهم؟! غاية ما تعلمناه في مدارسنا أنه كانت هنالك مذبحة في منطقة كربلاء بطلها الحسين بن علي بدون ذكر لأسباب أو نتائج، ويبدو أن أهل السنة والجماعة لديهم قناعة بفتوى شريح القاضي "الحسين خرج عن حده فليقتل بسيف جده" أو أنهم يفتنون رؤوسهم في الرمال حياء مما فعله سلفهم (الصالح) في أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). استوففتني قضية الحسين (ع) كثيرا كما استوففتني قضية أمه الزهراء وأنا أبحث عن جهة الحق، قرأت وسمعت عن قصة الحسين (ع) وعشت معه تارة أبكى وأخرى ألعت فيها من ظلمه وتارة أتأمل في واقع أمه كهذه، لم أسمع بمثل هذه البشاعة من قبل، أو سمعت ولكن كالعادة مخدرا بمقوله أن ما جرى في صدر الإسلام مرورا بالأمويين والعباسيين لا- يجب علينا أن نبحت فيه، ولا أن نتساءل ما هو جذر المشكلة، لأن ذلك سيقودنا إلى نتائج ربما تخدش في أولئك المقدسين مما يجعل غضب الرحمن يصب علينا صبا. وقضية الحسين (ع) ستضعنا أمام أسئلة كثيرة وعلامات استفهام الإجابة عليها ستفضي بنا إلى أن الحسين كقضية لم يقتل في كربلاء، بل إن أصل القضية يرجع إلى ما بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هنالك كانت البداية، والنهاية كانت بجسد الحسين (ع) ليظهر يزيد بن معاوية أحقادا بدرية كما جاء في التاريخ فحينما جاؤوه برأس الحسين (ع) قال: ليت أشياخي ببدر شهدوا++ جزع الخزرج من وقع الأسل لأهلوا واستهلوا فرحوا++ ثم قالوا يا يزيد لا تشل قد قتلنا القرم من ساداتهم++ وعدلنا ميل بدر فاعتدل [صفحة ١٩٤] إن القضية ليست خروج الحسين (ع) ضد أمير المؤمنين كما تسميه حاشية الضلالة عبدة الدينار والدرهم الذين باعوا دينهم من قبل لأبيه وأتموا الصفقة بقتلهم ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إن القضية قضية عداء طبيعي بين الحق والباطل وعداء تاريخي بين الهاشميين والأمويين، وما يزيد إلا امتداد لأبيه الذي اكتسب شرعيته وملكه من الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي اشتهر بقساوته ومساءلته للولاء فيما عدا معاوية "كسرى العرب" كما يقول عنه عمر لما عرف به من حبه للبخذ والترف واهتمامه بالمظاهر، وهكذا كان معاوية في وضع مريح جعله يمتلك امبراطورية مسلحة بالشام ادخرت لنصرة الباطل فظهرت في صفين ضد علي ابن أبي طالب وفي النهاية أصبحت مقرا للحكم بنى أمية. والحديث عن كربلاء ذو شجون، وما جرى فيها من أحداث يقرح الجفون ويفطر الفؤاد، لقد خرج أبو عبد الله الحسين (ع) ليصلح في الأمة ويعيدها إلى رشدها وذلك بإرجاعها إلى المنبع الحقيقي المتمثل في خلفاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أهل بيته المنصوص عليهم، وها هو يقول قبل خروجه "إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب." لم تلتزم الأمة بوصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في استخلاف علي فابتلاها الله تعالى برجل كمعاوية سلط على رقابهم مراهقا فاجرا هو ابنه يزيد كما نجد في التاريخ الذي يحدثنا عن شخصية يزيد فيقول ابن كثير "كان يزيد صاحب شراب وفيه أيضا إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات." وقال صاحب الأغاني "كان يزيد أول من سن الملاهي في الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين وأظهر الهتك وشرب الخمر." وجاء في أنساب الأشراف "كان يزيد أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار [صفحة ١٩٥] بالغناء والصيد واتخاذ القيان والغلمان والتفكه بما يضحك منه المترفون من القروود والمعافرة بالكلاب والديكة." هذا يسير مما وجدناه في كتب التاريخ عن شخصية يزيد ولو لم يفعل إلا قتله الحسين وأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسببه النساء الهاشميات لكفاه ليصاب بلعنات من السماء تلحقها لعنات من التاريخ الذي لم يحفظ لنا عن يزيد إلا الانحراف والمجون واللهو، وقتل الأبرياء والتسلط على رقاب

المسلمين إلى أن أهلكه الله، ولا- عجب أن يظهر من يدافع عن يزيد ويكتب كتابا ويطبعه باسم " حقائق عن أمير المؤمنين يزيد " فالتاريخ يعيد نفسه وسيستمر الصراع بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن مما يؤسف له حقا أن هنالك من يصدق هذه الترهات والخرافات ومحاولات الدفاع عن شخصيات سقط عنها القناع ولم يرحمها التاريخ.

من هو الحسين

لولا أن منهج البحث يتطلب التعرض لسيرة يزيد لما تطرقت لذكر شئ منها، ويكفي أن نتعرف على شخصية الحسين (ع) لنذكر أن من قتله أو سكت على قتله أو رضى الله بذلك أو أسس أساس هذا الظلم والجور على أهل البيت (ع) هم أعداء للدين وللإسلام. لقد جاء في الصحاح، الحديث المتواتر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "حسين منى وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا." إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى لا ينطق إلا صدقا وعدلا كرس فى العقول مفهوم حب أهل البيت (ع) وليس ذلك بسبب القرابة الدموية كما بينا، إذ أنه لا يعقل وكيف تكون عواطفه مرتكزات تنطلق منها الأمة لتحديد معتقداتها وهو المبلغ لرسالة السماء وكل كلمة تنطق بها تمثل مفردة يجب النظر إليها بعين الاعتبار، ولقد قرن الرسول (صلى [صفحة ١٩٦] الله عليه وآله وسلم) حب الحسين بحب الله بلا قيد ولا شرط وذلك لا يكون إلا إذا كان الحسين يجسد الإرادة الإلهية والامتداد للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مسؤولية تحمل الرسالة والدفاع عنها، ولذلك قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" وأهل الجنة فى سن واحدة وفيها من كل الأمم من يستحقها ومع ذلك فهما سيدا أهل الجنة! ماذا نعرف عن الحسن والحسين اللذين يستحقان هذه المرتبة العالية "سيادة أهل الجنة؟" سؤال وجهته إلى أكثر من شخص تحير فى الإجابة عليه "هل الله سبحانه وتعالى جعل الجنة لأقرباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بدون عمل وإنجاز يستحقون به ذلك!!! إن الحسن والحسين إمامان أوصى بهما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهما من الأئمة الذين سيقع عليهم عبء مواصلة المسيرة الرسالية على أن تلتف حولهم الأمة لتأخذ منهم معالم دينها. والحسين من أهل الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير والمباهلة إنه الإمام البر التقي النقي ابن بنت المصطفى وثالث أولى الأمر المفروض علينا طاعتهم... يذبح فى كربلاء كما يفعل بالكبش ومع ذلك غيبوا الحقيقة عن الناس أرادوا لنا أن نعيش فى جهل... أن لا نقرأ خلف السطور فى كتب التاريخ... لماذا سمحت الأمة لنفسها أن تقتل أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن الممهد لذلك؟ لأن ظلم الحسين يجعلنا نتساءل عن ظلم الحسن والذى يعنى التحديث عن معاوية وذلك يقودنا بالبحث عما أسموه بالفتنة فى عهد عثمان وهذا بلا شك سيؤدى إلى هدم السقيفة على رؤوس أصحابها، وهذا ما يخشاه علماءنا الأفاضل. إن الحسين لم يقتل فى كربلاء وحدها... يقول العلامة السيد هادى المدرسى: إن للحسين قضيتان". قضية الجسد المقطع وقضية الحق المضيع "صحيح أن جسد الحسين قطع فى كربلاء وفصل الرأس عن الجسد.. ولكن الحق مضيع منذ اعتلى أبو بكر منصة الحكم بلا حق وأبعد أبا الحسن عليا (ع) الخليفة الشرعى... وعندما بلغ [صفحة ١٩٧] الأمر بالأمة أن يتسلط عليها شارب الخمر وراكب الفجور ضحى الحسين بنفسه وأهل بيته لينبه الأمة إلى خطورة ما هى عليه وإلى ذلك يشير الإمام الحسين (ع) عندما أرادوا منه أن يبايع يزيد وهو فى المدينة قال: "نحن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة بنا فتح الله وبنا يختم وي زيد شارب الخمر وقاتل النفس ومثلى لا يبايع مثله." وشئ متوقع أن تسمع الأمة بأن يذبح ابن بنت نبيها فلا تنصره، فهذا هو الخليفة الأول أبو بكر يأمر بجمع الحطب حول بيت أم الحسين (ع) ليحرق أو يعطوه الشرعية وها هو عمر بن الخطاب يقف على باب دارها مهددا بالحرق حتى ولو كانت بنت المصطفى فيه كما مر.. فالقضية لها خلفية تاريخية منذ وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فالجراة التى جعلت أولئك يتناولون على أولياء الله ويتخذون منصب الخلافة هدفا يهون فى سبيله التنازل عن رسالة الإسلام حتى ولو أدى ذلك إلى قتل على وفاطمة (ع) وهتك ستار بيت النبوة والنيل من بيت نزل فيه الوحي ومنه انطلقت الرسالة... كل هذا لا بد أن يترجم يوما فى صورة قبيحة ستظل نقطة سوداء فى جبين الأمة وصفحة دموية فى تاريخها ألا وهى واقعة الطف التى كان أبطالها هم أهل ذلك البيت الذى هتك حرمة

الخلفاء بما أحدثوه من أمور مع أن العهد قريب والرسول لما يقبر أما في زمن يزيد فقد أحكمت القبضة للكفار والمنافقين وبدأوا يقطعون ثمار السقيفة، وتجلت أهدافهم لمحو رسالة السماء في أقبح صورها ظهر عاشوراء ٦١ هـ. رفض الإمام الحسين عقد البيعة ليزيد وبدأ في الاستعداد وتحرك إلى مكة التي أتته فيها الكتب والرسائل من أهل الكوفة يطلبون منه القدوم، فأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل فاجتمع عليه أهل الكوفة وبايعه ثمانية عشر ألفاً، فلما علم يزيد بذلك عزل واليه على الكوفة نعمان بن بشير وولى عبيد الله بن زياد طالبا منه تتبع مسلم وقتله فقدم عبيد الله وتتبع الشيعة فثار عليه مسلم ولكن أهل الكوفة خذلوه عندما مارس معهم ابن زياد سياسة الترغيب والترهيب وبقي مسلم وحيدا يقاتل حتى قتل في [صفحة ١٩٨] تفاصيل مأساوية وقتل معه كبير الشيعة هناك هاني بن عروة وأرسل ابن زياد برأسيهما إلى يزيد. توجه الحسين إلى العراق بعد استلامه رسالة من مسلم قبل قتله تفيد بعدد من بايع وانتظارهم له، وقد حاول البعض أن يثنى الحسين (ع) عن الخروج إلا- أنه كان يقول: "والله لو أننى كنت فى جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فى حاجتهم والله ليعتدن على كما اعتدت اليهود على السبت" وكما يقول ابن كثير يقول "لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلى من أن تستحل بى يعنى مكة" لقد كان يعلم أن القوم غير تاركيه حتى يبايع ولكنه كان مستعدا للتضحية فداء لهذا الدين ولا يبايع مثل يزيد، يقول الإمام الحسين (ع): "الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، ما أولهني إلى أسلافى اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لى مصرع أنا لاقية، كأنى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا- فيملاذن منى أكراشا جوفاً وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحمته وهى مجموعته له فى حظيرة القدس تقربها عينه وينجز بها وعده. من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً نفسه على لقاء ربه فليرحل معنا، فإنى راحل مصباحا إن شاء الله." وانطلق غير مبال بأولئك الذين جنبوا عن مجابهة الباطل وسكتوا عن نصرته الحق، انطلق ولسان حاله يقول: إن كان دين محمد لا يستقيم إلا بقتلى فيا سيوف خذيني، وفى الطريق لقي الفرزدق فاستخبره الخبر فقال: إن القوم قلوبهم معك وسيوفهم عليك. أرسلت الجيوش لتقطع عليه الطريق وطلبوا منه إما البيعة أو القتل فرفض الإمام (ع) البيعة وقدم لهم خيارات أخرى رفضوها ثم خطب الحسين فى ذلك الجيش "أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من رأى منكم سلطانا [صفحة ١٩٩] جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعمل فى عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله... إلى أن قال: وأنا أحق من غير." رفضوا رجوعه أو التوجه إلى يزيد وتركوه يسير بجانب الطريق حتى يرسلوا لابن زياد ليدلى برأيه، لقي الحسين (ع) رجلاً من أهل الكوفة فقال له: "فالا تنصرنا فاتق الله أن تكون ممن يقاتلنا فوالله لا يسمع واعيئنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك."

نزول الركب المقدس فى كربلاء

حطت الركاب فى كربلاء ومنع أهل البيت (ع) الماء وجاء الأمر من عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد قائد الجيش الرسمى للوالى: أما بعد فإنى لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا- لتطاوله ولا- لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتتعد له عندى شافعا، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلما وإن أبوا فازحف عليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك يستحقون، فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم... وليس عهدى فى هذا أن يضر بعد الموت شيئا ولكن على قول من قال: لو قد قتلته فعلت هذا به! إن أنت مضيت لأمرنا فيك جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر فإننا قد أمرناه بأمرنا والسلام. أحاطوا به يوم عاشوراء - بأبى وأمى - ولم يكن معه إلا- بضعة وسبعون نفسا ما بين طفل وشاب وشيخ وامرأة، خطب فى أعدائه وحاول وعظهم وهدايتهم إلى سبيل الرشاد ولكن هيهات لقد ختم الله على قلوبهم وحققت عليهم كلمة العذاب، وقد قال فيما قال: "تبا لكم أيتها الجماعة وترحنا! أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم

موجفين سلتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم! وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم إلماً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلاً لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم [صفحة ٢٠٠] والجأش طامن، والرأى لما يستحصف ولكن أسرعتم إلينا كطيرة الدبا وتداعيتم علينا كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفها وضلّة... فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الآفاق ونبذة الكتاب ومحرفى الكلم وعصبه الإثم ونفته الشيطان ومطفئى السنن. ألا وإن الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين... بين السلّة والذلة وهيهات منا الذلة يابى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام ألا وإنى زاحف بهذه الأسرّة على قلّة العدد وخذلان الناصر. أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريشما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إلى أبى عن جدى رسول الله " فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا- يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون، إنى توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم. " ثم رفع يديه إلى السماء وقال: " اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسنى يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة فإنهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير. " ثم قال (ع): والله لا يدع الله أحدا منهم إلا انتقم لى منه قتلة بقتله وضربه بضربه وإنه لخير لى ولأهل بيتى وأشياعى. هذا هو كلام أبى عبد الله الحسين (ع) فاقراً وتأمل تحس فيه بشفاية الروح المؤمنة وتدرى معنى الرسالية مما يؤكد أن ثورة الحسين لم تكن لتغيير نظام حاكم فقط إنما صرخة لتنبية الأمة للانحراف العقائدى وابتعادها عن أوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن من يستمع.. أصر القوم على تنفيذ جريمتهم وبدأوا القتال الذى تطايرت فيه الأيدي وتساقت الرؤوس ولم يرحم كبير ولا صغير مثل أصحاب الإمام حبيب بن مظاهر وزهير بن القين وغيرهم.. أولئك الذين فهموا ماذا تعنى نصرتهم للحسين (ع) وهم على علم بقتلهم فكانوا يتفانون فى الدفاع عن ابن رسول الله. [صفحة ٢٠١] فى عز القتال ووسط ذلك الجو الملهب بحرارة المعركة يصلى الإمام صلاة الخوف مع أصحابه فيقف أحد الأصحاب لحمايته ويستقبل السهام بصدرة دفاعاً عن حجة الله على خلقه حتى إذا أصبح جسمه كالقنفذ من كثرة السهام سقط على وجه الأرض متمتماً " هل وفيت يا بن رسول الله. " وبدأ الشهداء يرمون فى أحضان الحور العين الواحد تلو الآخر، الهاشميون وأبناء على (ع) وأبناء الحسن، ثم أبناء الحسين وكان آخرهم طفلاً- رضيعاً للحسين (ع) أخرجه لهم ليجودوا عليه بقطرة ماء بعد أن صار يتلوى من العطش، وقد جف ثدى أمه فاستقبله القوم بالسهم حتى ذبح فى حجر أبيه. وبقي الحسين وحيداً يلقى تارة نظرة إلى مخيم النساء بعد قليل سيصرن سبايا وهن بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتارة ينظر إلى القوم الذين احتوشوه استعداداً لقتله ويبكى! سألته أخته زينب لماذا البكاء؟ قال: أبكى لهؤلاء القوم الذين يدخلون النار بسببى هل رأيتم إنساناً يبكى على عدوه الذى يظلمه؟!.. لم يكن هذا إلا- من الأنبياء. ثم قاتلهم حتى قتل ونفذوا وصايا ابن زياد، ففصلوا الرأس عن الجسد ثم أمروا بالخيل لتطأ صدره الشريف. هذه بعض تفاصيل رزية الأمة وما أعظمها من رزية بكت لها السماوات قبل الأرض، وبكى لها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم ولادة الحسين (ع)، وستظل ذكراها تدمى القلوب، وصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما قال " إن للحسين حرارة فى قلوب المؤمنين لا تطفأ أبداً. " ما زالت ذكرى أبى عبد الله (ع) عند شيعته محفوظة رغماً عن أنوف بعض الجهلة الذين صاروا على منابر العلماء يتحدثون عن الدين وهو منهم براء فى غفلة من الناس. [صفحة ٢٠٢] ابن زياد ما يزال جاثماً على صدر الأمة باسم جديد وشريح القاضى ما زال يفتى بلسان حديث: بكفر ونجاسة شيعه أبى عبد الله الحسين (ع) وطهارة اليهود ووجوب الصلح معهم [١٨٣]، بل هم أفضل من شيعه الحسين (ع)، وما يزال التضليل والكبت كما فعل قاتلوا الحسين (ع) عندما جاءوا بالسبايا وتساءل الناس من هؤلاء فقالوا أنهم سبايا من الديلم فشمت الناس بهم ووصل الأمر ببعضهم أن فكر فى امتلاك إحدى السبايا كجارية وهن ربيبات بيت الوحي الذى حرمت على أهله الصدقة وأمر الله بمودتهم، قال تعالى: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى). ولكن ما زالت خطبة زينب بنت على (ع) تدوى فى أسماع الشيعة وهى تخاطب يزيد الذى أدخل إليه رأس الحسين وهو متخذ مجلساً للشراب ووضع الرأس بين يديه فراح ثنايا الحسين بمخصرته وهو ينشد: لعبت هاشم بالملك فلا++ خبر جاء ولا وحي

نزلت من خندق إن لم أنتقم ++ من بنى أحمد ما كان فعل خطبت عقيلة الهاشميين زينب بلسان يفرغ عن أبيها على (ع) خطبة طويلة نختار منها هذا المقطع الذى جعل المجالس تعقد للحسين فى أوساط شيعته إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله... قالت فيما قالت مخاطبة يزيد " فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا- تميت وحيناً ولا تمحو ذكرنا ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا- فند وأيامك إلا- عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادى المنادى ألا لعنة الله على الظالمين. " رغم توارثنا لعادات بنى أمية وقبولنا لها مثل الاحتفال بيوم عاشوراء الذى قتل فيه ابن بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نعيب على الشيعة إقامتها لمجالس العزاء الحسينية، ولا دليل لدينا سوى ادعاء عمر بن الخطاب لحرمة البكاء وهو القائل " كل [صفحہ ٢٠٣] الناس أفتقه منك يا عمر. " لقد بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقتل الحسين فى يوم ولادته، كما بكته السماء بل حتى الجمادات كما جاء فى كتب التاريخ، وبكاء النساء لمقتل حمزة أيضاً وتشجيع النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لهن وإعانتهم حينما قال: على مثل حمزة فلتبكي البواكى، ولقد أقام عليه أهل المدينة ما تم العزاء فلم نر مستنكراً لذلك فيما وصل إلينا. والمحاولات التى يبثها المغرضون اليوم حول البكاء على الحسين ما هى إلا إحدى المحاولات لإسكات صوت الحق وإطفاء نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ولو لم يفعل الشيعة ذلك لإحياء ذكرى كربلاء لحاولوا طمسها كما فعلوا بحادثة الغدير ولقالوا لنا اليوم أن الذى قتل لم يكن الحسين بن على (ع). ويكفى فخراً لمجالس الحسين أنها ما فتئت تورق مضاجع الطغاة وتلهب فى النفوس المؤمنة روح الجهاد ويكفى قراءة خطبة واحدة من خطب الحسين (ع) ليسرى مفعولها السحرى فى الأرواح المؤمنة. لن أستطيع فى هذه الوجيزة أن أستعرض كافة جوانب كربلاء ولكن يجب على الأمة ألا تغلق على نفسها مثل هذه الكنوز التى لا يعرفها إلا من هداه الله.

السجود على التربة الحسينية

إشاره

هنالك مسألة مرتبطة بهذا البحث، كثير من الناس استشكل فيها على الشيعة، ومن خلال تجربتى الشخصية لم أجد عند أحد دليلاً شرعياً يؤيد إشكاله اللهم إلا ما يتناقله بباغات الوهابية فيما يرتبط بالتوحيد والشرك الذى هم أبعد الناس فهماً له، والمسألة هى السجود على التربة الحسينية... قال لى بعضهم " الشيعة يا أخى يعبدون الحجر ويصلون له " وكثيراً ما سمعت هذه الجملة لذا وجب على توضيح الأمر حتى لا نصبح كالهجمج الرعاع أتباع كل ناعق نميل مع كل ريح. [صفحہ ٢٠٤] أولاً: إن للسجود صيغتين: أ - السجود للشئ. ب - السجود على الشئ. أما الأول فهو حاله من حالات الشرك بلا خلاف، والشيعة تحرم ذلك البتة لأنه سجود لغير الله وهذا لا يحتاج منى إلى كبير عناء فلتراجع فتاوى علماء الشيعة فى ذلك. أما الثانية فالكلى يسجد على شئ، والسجود لا يتحقق فى الأساس إلا- على شئ. والشيعة يسجدون على التربة وليس للتربة، ويكون السؤال لماذا التربة الحسينية بالخصوص؟ وهذا السؤال سنجيب عليه فى نقطتين: الأولى فيما يختص بالتربة كما هى والثانية بخصوص التربة الحسينية.

علماء مدرسة أهل البيت

إن علماء مدرسة أهل البيت (ع) ومن أقوال أئمتهم يوجبون أن يكون موضع الجبهة فى الصلاة من الأرض أو ما أنبتته الأرض مما لا يؤكل ولا يلبس فى الغالب. أما فقهاء أهل السنة الأربعة فإنهم يجوزون السجود على كل شئ بما فى ذلك الأرض. وعلماء الشيعة لهم ما يؤيد قولهم من مصادر أهل السنة نذكر منها: - ١ - حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). " جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً " (بخارى ج ١ / ١٠٩). ٢ - وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): " جعلت لى الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً " (بخارى [صفحہ ٢٠٥] ج ١ / ٣٧١، مسلم ١ / ٣٧١). ٣ - وعن أبى سعيد الخدرى فى حديث جاء فيه: " وكان سقف المسجد من

جريد النخل وما نرى في السماء شيئاً فجاءت قزعة فأمطرنا فصلى بنا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى رأيت الطين والماء على جبهته وأرنبته (صلى الله عليه وآله وسلم) (" بخارى ج ٢ / ٣٨٦). وكثير من الأحاديث التي تؤكد على مسألة السجود على التربة.

لماذا السجود على التربة الحسينية

إشاره

أولاً: السجود على التربة الحسينية يمثل حالة من حالات السجود على الأرض وإجماع المسلمين على صحة السجود على الأرض وترابها قائم فلا يوجد مبرر لاستثناء تربة الحسين (ع). ثانياً: إن أئمة أهل البيت (ع) كانوا يؤكدون على مسألة السجود على التربة الحسينية والإمام على بن الحسين (ع) أول من سجد عليها وكل أئمة أهل البيت (ع) كان يسجدون عليها ويؤكدون على " استحباب السجود عليها كما جاء عن الإمام الصادق (ع) " إن السجود على تربة أبي عبد الله الحسين يخرق الحجب السابع. " وتربة الحسين عبارة عن تراب من كربلاء يخلط بالماء ويصب في قوالب ثم يجفف ويوضع في موضع الجبهة للسجود عليه. ثالثاً: هنالك دلالات كبيرة في السجود على تربة سيد الشهداء (ع) لا تخفى على الألعى منها [١٨٤]: - [صفحة ٢٠٦]

الدلالة العقائدية

عمر بن سعد غداة يوم عاشوراء صلى بجيشه صلاة الصبح جماعة ثم قتل الصلاة في ظهره نفس اليوم بقتله سيد الشهداء، ونحن بصلاتنا على تربة الحسين نعلن أننا لا نصلى صلاة ميتة مثل صلاة عمر بن سعد وأميره يزيد وأبيه ومن ولاة، لا نحن نصلى صلاة الحسين وأبيه وجده وهذا ما يكرس مفهوم الولاء لأهل البيت (ع) عند شيعتهم ولهذا ركز الأئمة (ع) على التذكير بتربة الحسين (ع) التي يعنى السجود عليها تمام التسليم والخضوع لله بانتهاج نهج أوليائه.

الدلالة التاريخية

حاول البعض طمس معالم يوم الغدير الذي بويغ فيه لعلى (ع) بالخلافه، وعاشوراء كانت في عهد بني أمية وما أدراك ما بنو أمية، والتربة الحسينية وثيقة تاريخية حية تحمل شواهد الجريمة التي نفذها الحكم الأموي يوم العاشر من محرم، وإذا كانت الأجهزة الظالمة عبر التاريخ قد مارست أساليب المصادرة لفضية كربلاء، وما زال امتدادهم إلى يومنا هذا، فإن الأئمة من أهل البيت (ع) رسخوا في وعى الأمة وفي وجدان الأجيال حالة التعاطي والارتباط بقضية الحسين (ع) من خلال الإحياء والرياء والبكاء والزيارة وفي هذا المسار تأتي مسألة التأكيد على التربة الحسينية.

الدلالة الجهادية

التربة الحسينية إحدى صيغ التجذير للوهج الثوري والجهادي في حس الجماهير المسلمة، وهذا ما تحتاج إليه كل الأمة الإسلامية، خاصة ونحن نعيش فترة يواجه فيها المد الإسلامي بكل أنواع الحروب، والتعامل مع هذه التربة ليس تعاملًا مع كتلة ترايبية جامدة وإنما هو تعامل مع مزيج متحرك من مفاهيم الثورة وقيم الجهاد ومضامين الشهادة، فمع كل ذرة من ذرات هذه التربة صرخة جهادية ونداء ثوري ومفهوم استشهادي لا يقوى الزمن بكل امتداداته ولا تقوى الأجهزة المتسلطة بكل إمكاناتها أن تجمد تلك الدلالات فالتربة الحسينية عقيدة وجاهد وثورة وحرارة واستشهاد. [صفحة ٢٠٧]

في دائرة النور

اشاره

(الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم) (سورة النور: آية / ٣٥) [صفحة ٢٠٩]

من ركاه الباطل الى النور

من وسط ركاه الباطل المظلم أسرع إلى حيث النور وانكشف الغطاء عن البصر إثر الحجّة تلو الأخرى والدليل يضاف إليه دليل والعقل يستتير ولا سبيل إلا أهل البت (ع)، ودخلت دائرة النور والنور لا يرى إلا بنفسه، وسنا بريق كنوز أهل البيت يخطف الأبصار. تأسفت لحال من لم يوفقه الله للاهتداء إليهم، ونظرة عامّة إلى منهجهم وكلماتهم وأحوالهم كافية للتدليل على أنهم هم أمناء الله على وحيه المنزل على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الأمانة العظمى التي لا يمكن أن يتحملها من يعتره الشيطان بين الفينة والأخرى ولا يؤدي حقها من كان كل الناس أفاقه منه ولا يستطيع حفظها من آثر هواه وهوى عشيرته على التمسك بأبسط مفردات الحق. أهل البت (ع) كلماتهم نور لم أسمع بها عند الآخرين، منهجهم في تربية الأئمّة وتوجيهها يجعلك تحس بمعنى خلافة الله في الأرض، لم يشهد التاريخ بأنهم تعلموا على أيدي أحد بل الكل يدعى الرجوع إليهم وما الفقهاء الأربعة إلا نتاج جامع الإمام الصادق العلمية في المدينة المنورة والتي تخرج منها أيضا جابر بن حيان بعلم الكيمياء الذي أخذه من الإمام الصادق (ع)، ولا يسعني أن أستعرض ولو قطرة من بحار علومهم التي أخذ منها شيعتهم فكان تفوقهم على من سواهم في جميع المجالات، وموسوعة واحدة من مصادرهم الحديثية تكفي لتلتهم كل ما عند أهل السنّة والجماعة من مصادر، وبحار الأنوار بمجلداته العشرة بعد المائة دلّتنا على ذلك وحقا إنه بحار من أنوار العلم. وقد سعى المفسدون في الأرض إلى تشويه صورة مذهب أهل البيت (ع) وحاولوا ممارسة التضليل الإعلامي، ومن جملة ذلك الطعن في نهج البلاغة الجامع لبعض خطب ورسائل وكلمات أمير المؤمنين (ع) وهو هو بمتته الذي أعجز البلغاء وإن [صفحة ٢١٠] ما جاء فيه كاف لبيان صحّة النسبة لأمير المؤمنين وعلى هؤلاء أن يأتونا بخطبة واحدة قالها أحد الخلفاء أو كلمة قصيرة تشبه الخطب الواردة في نهج البلاغة. قيل لأحد الإخوة أن نهج البلاغة وضعه الشريف الرضي فقال لهم إذا هو إمام مفترض الطاعة!! ولأهل البيت (ع) تراث عظيم كان من الممكن أن تستفيد منه الأئمّة ولكنها أبت إلا- نفورا، وإحدى معاجزهم التي بهرتني، ذلك المنهج في الدعاء وكيفيّة التقرب إلى الله تعالى والأدب الرفيع في مخاطبة الرب سبحانه، والقارئ للصحيفة السجادية وهي صحيفة كلها أدعية للإمام الرابع على بن الحسين السجاد (ع) يتعجب لماذا لم يهتم علماء السنّة بهذه الصحيفة هل لأنها واردة عن أحد الأئمّة أهل البيت؟ أم ماذا!!! أحد الإخوة الذين استبصروا، كان يميل للوهابية بعد أن عملوا على تزريقه أفكارهم ومعتقداتهم وقبل أن ينغمس معهم تماما من الله عليه بأحد الأصدقاء والذي أعطاه بعض مؤلفات الشيعة ليقراها، ولقد سمع من قبل عن الشيعة وحذر منهم، فطلب مني ومن بعض الإخوة جلسة حوار حول التشيع وما إليه فرحبنا به وجلسنا فدار النقاش حول معتقدات الشيعة وبعد نقاش طويل تنفس قائلا: هذا الكلام حق لا لبس فيه ولكن لماذا يقولون عن الشيعة كل هذه الأقاويل؟! قلت له: كما أن للحق أنصارا يعملون على نصرته. فإن للباطل جنودا وشياطين يوحون إليهم، ولا يمكن أن يعتمد الباطل لا على باطل. قال هذا الأخ وعلامات الأسف والتأثر واضحة عليه: لقد قالوا لنا إن الشيعة يخالفون المسلمين في كل شئ حتى الصلاة. كان وقت صلاة المغرب قد حان فقلت: الآن بإمكانك أن تصلي معنا لترى هل صلاتنا تختلف كما يدعون. توضحنا وصلينا وكان اليوم يوم خميس وبعد الصلاة وكما هو معروف عند الشيعة يستحب قراءة دعاء كميل وهو دعاء علمه أمير المؤمنين على (ع) لأحد [صفحة ٢١١] أصحابه وهو كميل بن زياد النخعي

والشيعة يواظبون على قراءته. قرأنا ذلك الدعاء وأحسست بانفعال هذا الأخ بالدعاء، حينها تألمت لهذه الأمة المحرومة من هذه الكنوز التي لم يبخل بها أهل البيت (ع) خصوصاً فيما يختص بالأدعية التي تجعل الإنسان في عالم آخر وهو يناجي ربه. بعد الدعاء رأيت الدموع في عينيه وهو يقول بحرقه: خدعوننا وقالوا لنا أن الشيعة لا يعرفون الصلاة والله نحن ما عرفنا الصلاة ولم نفهم الصلاة.

فقرات من ادعية أهل البيت

من دعاء الصباح لأمير المؤمنين

"اللهم يا من دلح لسان الصباح بنطق تبلجه وسرح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه وأتقن صنع الفلك الدوار في مقادير تبرجه وشعشع ضياء الشمس بنور تأججه، يا من دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته وجل عن ملاءمة كيفياته، يا من قرب من خطرات الظنون وبعد عن لحظات العيون وعلم بما كان قبل أن يكون، يا من أرقدني في مهاد أمنه وأمانه وأيقظني إلى ما منحني من مننه وإحسانه، وكف أكف السوء عنى بيده وسلطانة". " .. افتح اللهم لنا مصاريع الصباح بمفاتيح الرحمة والفلاح وألبسني اللهم من أفضل خلع الهداية والصلاح واغرس اللهم بعظمتك في شرب جناني ينابيع الخشوع وأجر اللهم لهيبتك من آماقي زفرات الدموع وأدب اللهم نزع الخرق منى بأزمه القنوع. " ..

من دعاء يوم عرفة للإمام

"الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع ولا لعطائه مانع ولا كصنعه صنع صانع [صفحة ٢١٢] وهو الجواد الواسع فطر أجناس البدائع وأتقن بحكمته الصنائع لا- تخفى عليه الطلائع ولا- تضيع عنده الودائع جازى كل صانع ورايش كل قانع وراحم كل ضارع ومنتزل المنافع والكتاب الجامع بالنور الساطع وهو للدعوات سامع وللكربات دافع وللدرجات رافع وللجبابرة قانع فلا إله غيره ولا شئ يعدله وليس كمثلته شئ وهو السميع البصير اللطيف الخبير وهو على كل شئ قدير، اللهم إني أرغب إليك وأشهد بالربوبية لك مقرا بأنك ربى وأن إليك مردى ابتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكورا وخلقتني من التراب ثم أسكنتني الأصلاب آمنا لريب المنون واختلاف الدهور والسنين " .. اللهم اجعلني أخشاك كأنى أراك وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك وخر لى فى قضائك وبارك لى فى قدرك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت، اللهم اجعل غناى فى نفسى واليقين فى قلبى والإخلاص فى عملى والنور فى بصرى والبصيرة فى دينى ومتعنى بجوارحى واجعل سمعى وبصرى الوارثين منى وانصرنى على من ظلمنى. إلهى كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا- أعزم وأنت الأمر إلهى ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى إليك... كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك أكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا. " ..

مناجاة الشاكين للإمام زين العابدين

بسم الله الرحمن الرحيم " إلهى أذهلنى عن إقامة شكرك تتابع طولك، وأعجزنى عن إحصاء ثنائك فيض فضلك، وشغلنى عن ذكر محامدك ترادف عوائدك، وأعيانى عن نشر عوارفك توالى [صفحة ٢١٣] أياديك، وهذا مقام من أعترف بسبوغ النعماء، وقابلها بالتقصير، وشهد على نفسه بالإهمال والتضييع، وأنت الرؤوف الرحيم البر الكريم، الذى لا يخيب قاصديه، ولا يطرد عن فئائه آمليه، بساحتك تحط رحال الراجين، وبعرصتك تقف آمال المسترفدين، فلا تقابل آمالنا بالتخيب والايئاس، ولا تلبسنا سربال القنوط

والإبلاس، إلهي تصاعر عند تعاضم آلائك شكرى، وتضاءل فى جنب إكرامك إياى ثنائى ونشرى، جللتنى نعمك من أنوار الإيمان حللا، وضربت على لطائف برك من العز كلالا، وقلدتنى مننك قلائد لا تحل، وطوقتنى أطواقا لا تفل، فالأؤك جمه ضعف لسانى عن إحصائها، ونعماؤك كثيرة قصر فهمى عن إدراكها فضلا عن استقصائها، فكيف لى بتحصيل الشكر، وشكرى إياك يفتقر إلى شكر، فكلما قلت لك الحمد وجب على لذلك أن أقول لك الحمد، إلهى فكما غديتنا بلطفك وربيتنا بصنعك، فتمم علينا سواغ النعم، وادفع عنا مكاره النقم، وآتنا من حظوظ الدارين أرفعها وأجلها عاجلا وآجلا، ولك الحمد على حسن بلائك وسبوغ نعمائك حمدا يوافق رضاك ويمترى العظيم من برك ونداك يا عظيم يا كريم، برحمتك يا أرحم الراحمين...

قبسات من نور آل محمد

إن الفقه الشيعى هو الشجرة الطيبة الراسخة الجذور المتصلة الأسس بالنبوة، والذى امتاز بالسعة والشمولية والعمق والدقة والقدرة على مسايرة العصور المختلفة، والمستجدات المتلاحقة من دون أن يتخطى الحدود المرسومة فى الكتاب والسنة ويعتمد الفقه الشيعى إضافه إلى الكتاب والسنة العقل والإجماع الكاشف عن وجود النص أو موافقه المعصوم. إن الشيعة الإمامية قدمت فى ظل هذه الأسس الأربعة فقها يتناسب مع [صفحة ٢١٤] المستجدات، جامعا لما تحتاج إليه الأمة، ولم يغلق باب الاجتهاد [١٨٥] عندهم، بل ظل مفتوحا طيلة القرون الماضية إلى يومنا هذا، فأنتج عبر العصور فقهاء عظاما، وموسوعات كبيرة لم يشهد التاريخ لها ولهم مثيلا، والمقام لا يتسع لبسط الكلام عن الفقه الجعفرى كما أن مفهوم الاجتهاد عند الشيعة غير ما هو عند السنة، فليراجع معالم المدرستين ج ٢. إلا أن هنالك بعض الاختلافات بين الفقه الجعفرى وفقه أهل السنة والجماعة حاول البعض أن يتخذها ذريعة ليرمى التشيع بكل فرية وتشويه، وأنا لست بصدد بيان كل مواقع الاختلاف، ولكنى سأختار بعض المفردات عند الفقه الشيعى يثير حولها الجاهلون شبهات لانهايم الشيعة، سأطرحها لأبين رأى الدين فيها ثم أترك للقارئ الحكم. وقبل ذلك أقول أن الاختلاف ليس فى الفروع فقط، بل هنالك خلافات جوهرية فى الأصول العقائدية.. فالحديث عن التوحيد يطول، يلتقى فيه أهل السنة مع الشيعة ويفترقون، فالله سبحانه وتعالى فى كتب أهل السنة والجماعة والتي بلورها الوهابيون فى كتبهم يمشى ويتحرك من مكان إلى آخر وينزل ويصعد ويضحك وله يدان وقدمان وساق... الخ حتى أبتعد الناس عن ربهم. أذكر هنا أن أحد الشباب الذين خدعوا بالوهابية جرى حوار بينه وبين أحد الإخوة وكان محور حديثهما التوحيد وكان هذا الوهابى مصرا على أن الله مكانا وحيزا يوجد فى العرش فوق السماوات، فقال له الأخ: يعنى إذا اخترعت صاروخا يسير أسرع من الضوء واتجهت به إلى السماء هل بإمكانى الوصول إلى مكان الله ووجوده هناك؟ [صفحة ٢١٥] قال: نعم!.. فضحك الأخ وقرر الصمت. هذا حال التوحيد الذى من أجله بعث الأنبياء عند القوم، أما الشيعة فإن أئمتهم لم يتركوا لهم مجالاً- ليشطوا عن الحق والمعرفة الصحيحة كما فعل غيرهم، وإنما تركوا لهم كنوزا من المعارف الإلهية نزل بها الوحي على النبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويكفى من ذلك ما جاء فى نهج البلاغة عن على بن أبى طالب (ع) يقول فى إحدى تلك الخطب مينا حقيقة التوحيد: "الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعماءه العادون، ولا يؤدى حقه المجتهدون، الذى لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذى ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل ممدود فطر الخلاق بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتد الصخور ميدان أرضه. أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيدة، وكمال توحيدة الإخلاص له. وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدده، ومن قال (فيم) فقد ضمنه ومن قال (علام) فقد أخلى منه كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم... الخ [١٨٦]". وهنالك الكثير من المفارقات بين المدرستين تحتاج إلى مجلدات لاستقصائها وعلى الجميع أن يبحث ليلقى الله على حجة وسأذكر بعض المفردات الفقهية الخلافية لنرى مع من الحق.

التقية

ما أكثر ما شنح خصوم الشيعة عليهم في التقية التي غاب معناها عن أذهانهم ورسوموا لها معاني من مخيلتهم الخربة فصاروا يتهمون بها الشيعة والتشيع، وعندما [صفحة ٢١٦] أوضح هنا معنى التقية وشرعيتها لا أنتصر للشيعة ومعتقداتهم بقدر ما أنصر القرآن ومفاهيمه التي تمسك بها الشيعة فكان صحة ما يعتقدون به فرعا لأصل صحة القرآن الذي غابت بصائره عن العقول النجديّة فتاهت حتى أنها تكاد لا تفقه الفرق بين الطهارة والنجاسة. البعض يردد أقوال الآخرين دون تمحيص ومعرفة غافلين عن خطورة استهزائهم بما لا يعلمون فيستهزئون من حيث لا يشعرون بالحق والقرآن وذلك ستكون عاقبته وخيمته، وما أكثر ما سمعت " أن الشيعة منافقون لأنهم يعتقدون بالتقية وهي تعنى النفاق وإظهار خلاف الباطن " ضاربين بذلك الآيات القرآنية وسيرة الأنبياء عرض الحائط. وقبل استعراض أدلة شرعية التقية من القرآن والسنة كما جاء في كتب أهل السنة والجماعة، والتي أرى أن الشيعة أعلم بها من أهلها، نتحدث عن معنى التقية وظروفها. إن الشيعة ومنذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عاشوا في اضطهاد وتشريد وتقتيل من قبل السلطات الجائرة التي تعاقبت، وبعد واقعة كربلاء أصبح الشيعة وحدهم المناوئين للحكام والمتصددين لهموم الأمة باعتبار أن أئمتهم هم الحافظون للشرعية، لذلك كرس الحكومات كل جهودها لضربهم. لهذا السب ولغيره عرف الشيعة بالتقية دون غيرهم من الفرق الإسلامية التي كان علماءها ومن ورائهم العامة يؤيدون كل سلطان عادل أو جائر، بينما يصور لنا الإمام الباقر (ع) حال الشيعة آنذاك يقول: " وكان من أعظم ذلك وأكبره زمن معاوية بعد موت الحسن (ع) فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة وكل من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين (ع) ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتل وأخذهم بكل ظنة وتهمه حتى أن الرجل ليقال له زنديق وكافر أحب إليه من أن يقال شيعة على. [صفحة ٢١٧] هذا هو الحال باختصار وعند عرضنا للأدلة سيتبين بإذن الله تعالى أن التقية حاجة فطرية وكلنا نستخدمها في حياتنا العملية خصوصا أولئك الذين يواجهون الطواغيت في كل مكان، يعلمون بأهميتها في مسيرتهم الجهادية. والتقية في اللغة معناها الحذر، قال ابن منظور في لسان العرب توقيت واتقيت، أتقيه تقى وتقيه وتقاء: يعنى حذرته. أما التقية شرعا كما عرفها الشيخ الأنصاري من - كبار علماء الشيعة المتقدمين - في كتابه المكاسب (التحفظ عن ضرر الغير بموافقة في قول أو فعل مخالف للحق). وشرعية التقية تؤخذ من الكتاب والسنة كمصدرين للتشريع وستجد أن العقل يؤيد مشروعيتها.

أما من الكتاب العزيز

قوله تعالى (لا- يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) آل عمران / ٢٨). وواضح من قوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة) شرعية التقية وأن المؤمن إذا خاف من الكفار يجوز له مداراتهم تقية منه ودفاعا عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك. يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: (المسألة الرابعة) اعلم أن للتقية أحكاما كثيرة ونحن نذكر بعضها: " الحكم الأول " إن التقية إنما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار، ويخاف على نفسه وماله فيداريهم بلسانه وذلك بأن لا يظهر العداوة باللسان، بل يجوز أن يظهر الكلام الموهوم للمحبة والموالاة ولكن بشرط أن يضمم خلافه وأن يعرض في كل ما يقول، فإن التقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلوب. [صفحة ٢١٨] " الحكم الثاني " هو أنه لو أفصح بالإيمان والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك أفضل " الحكم الثالث " إنها إنما تجوز فيما يتعلق بإظهار الموالاة والمعاداة، وقد تجوز أيضا فيما يتعلق بإظهار الدين، فأما ما يرجع ضرره إلى الغير كالقتل والزنا وغصب الأموال والشهادة بالزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز " الحكم الرابع " ظاهر الآية يدل أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبيين، إلا أن مذهب الشافعي رضى الله عنه أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة عن النفس " الحكم الخامس " التقية

جائزة لصون النفس. وهل هي جائزة لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم " حرمة مال المسلم كحرمة دمه " ولقوله (صلى الله عليه وآله وسلم " من قتل دون ماله فهو شهيد " ولأن الحاجة إلى المال شديدة، والماء إذا بيع بالدين سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمم دفعا لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز ههنا والله أعلم ". الحكم السادس " قال مجاهد: هذا الحكم كان ثابتا في أول الإسلام لأجل ضعف المؤمنين، فأما بعد قوة دولة الإسلام فلا، وروى عن عوف بن الحسن أنه قال: التقيئة جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة، وهذا القول أولى لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان [١٨٧]. يتضح من كلام الرازي دلالة الآية على شرعية التقيئة، ويذكر ذات المعنى ابن كثير في تفسيره [١٨٨].

اما من السنة

فقد أورد الرازي نقلا عن البخاري في صحيحه من كتاب الأدب باب المداراة مع الناس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم " : إنا لنكشر في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم، " كما نقل - الرازي - أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: لأحدهما: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم نعم نعم، فقال: أفتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم. وكان مسيلمة يزعم أنه رسول بنى حنيفه ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر فقال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم، قال: أفتشهد أني رسول الله؟ قال: إني أصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهيننا له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعه عليه [" ١٨٩]. كل ذلك يدل على مشروعيتها التقيئة وأنها حكم عام يشمل كل إنسان، وبضم حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم " : رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " يكتمل المطلوب. والتقيئة كحكم لها ضوابطها وحدودها والشيعه فيما يرتبط بفروع دينهم لا يحتاجون لغيرهم للأخذ منهم ولقد جئنا بالأدلة حتى لا يطلق البسطاء تهمهم بجهل. [صفحہ ٢٢٠] وإليك روايات عن طريق أهل البيت (ع) وهم الحجة على شيعتهم لا غيرهم: - عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) قال: اتقوا على دينكم فاصحبوه بالتقيئة فإنه لا إيمان لمن لا تقيئة له إنما أنتم من الناس كالنحل في الطير لو أن الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقى منها شيء إلا - أكلته ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبوننا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنجلوكم في السر والعلانية رحم الله عبدا منكم كان على ولايتنا. - عن الإمام محمد بن علي الباقر (ع): التقيئة في كل ضرورة وصاحبها أعلم بها حين تنزل به. - وعنه أيضا: إنما جعلت التقيئة ليحقن بها الدم فإذا بلغ الدم فلا تقيئة. - وقال الإمام الصادق (ع " : من لا تقيئة له لا دين له. " وهذا قليل من كثير ورد عن طريق أهل البيت (ع) وعرفنا أصله في القرآن، والعقل يدعن بذلك إذ أنه من البداهة أن التوقي والحذر مطلوبان في كل الأحوال، ولا تكون التقيئة بذلك نفاقا كما حاول البعض أن يعرفها وكيف يأمرنا الله بالنفاق. كما أنها لا تجعل من الدين وأحكامه سرا من الأسرار كما ذهب إليه بعض المستشرقين وأذيانهم، فكيف تكون السرية عند الشيعة، وهذه كتبهم ليس دونها حاجز أو حجاب، فليحث الجميع وليفتش. هذه النجف أمامكم وتلك قم فارحلوا إليها وانزلوا على مكاتبها فلن تجدوا دونكم ستر أو ممانعة، أي الكتب أحببت فهي تحت يدك وفي تناولها وفيها أمهات الكتب ومصادر الأحكام لم تبق مسألة إلا وفصلت ولم تطرح قضية إلا وحلت وعلماؤهم شهرتهم عمت أرجاء المعمورة. وفي الخاتمة أورد قصة لأحد الأصدقاء المهتدين، التف حوله عدد من الشباب يحاولون إجباره على أن يعترف بأن التقيئة نفاق فقال لهم: عرفوا لي النفاق. قالوا: هو إضمار الكفر وإظهار الإيمان، قال لهم: أما التقيئة فهي إظهار الكفر وإضمار الإيمان كما جاء في القرآن فهل لديكم دليل بحرمة ذلك؟ فسكتوا. وقد قال الإمام علي (ع) [صفحہ ٢٢١] " لو سكت الجاهل ما اختلف حول الحق اثنان [" ١٩٠].

الوضوء

إن الوضوء واجب، وبنقصانه بلا سبب تكون الصلاة باطلة، هذا ما اتفق عليه المسلمون، إلا أن هنالك اختلافا في كيفية والتى بلا

شك يتوقف عليها صحة صلاة الجميع، والشيعه تبعاً لأئمتهم يعتقدون بصحة الوضوء الذي يتبعون به ووضوء غيرهم غير تام ولا تصح به الصلاة ولهم أدلتهم على ذلك من القرآن والسنة. وبالرغم من أن هذه المسائل التي ذكرناها فرعياً تتبع الأصل إلا أن بعض الكتاب والمرتفة والمأجورين أبوا إلا أن يدخلوا الناس في مباحث فرعياً لإلهائهم الناس عن الالتفات إلى الاختلاف في المنبع والذي يؤدي إلى الاختلاف في طعم الماء بسبب ذلك إلا أن علماء الشيعة لم يتوانوا في إثبات حتى فروع دينهم من كتب العامة. هنا تكمن قوة الحجج. هناك اختلاف بين مدرسة أهل السنة والجماعة ومدرسة أهل البيت (ع) حول حكم الأرجل في الوضوء بالإضافة إلى كيفية غسل الأيدي. أما الأخيرة فإن الشيعة يرون أن الغسل في اليدين يتدنى بالمرفقين وينتهي بأطراف الأصابع ولا يسوغ الابتداء بأطراف الأصابع والانتهاؤ بالمرفقين، ولو فعل المتوضى ذلك بطل وضوؤه وقد أخذوا ذلك من الممارسة العملية لوضوء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي بينه الأئمة (ع) فيما ورد عنهم: سئل الإمام الباقر (ع) عن وضوء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدعا بطشت أو بتور فيه ماء فغسل كفيه، ثم غمس كفه اليمنى في التور فغسل وجهه بها واستعان بيده اليسرى بكفه على غسل وجهه، ثم غمس كفه اليسرى في الماء فاغترف بها من الماء فغسل يده اليمنى من المرفق إلى الكف لا يرد الماء إلى المرفقين ثم غمس كفه اليمنى في الماء فاغترف بها من الماء فأفرغه على يده اليسرى من المرفق إلى [صفحة ٢٢٢] الكف لا يرد الماء إلى المرفق كما صنع باليمنى ثم مسح رأسه وقدميه إلى الكعبين بفضل كفيه لم يجد ماء [١٩١]. ومن خلال آية الوضوء نستطيع أن نتعرف على الكيفية ثم نرى ما هو حكم الأرجل ونأتى بالأدلة من الطريقتين. يقول تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) (سورة المائدة: آية ٦). قد يقال بأن دلالة الآية صريحة في بيان كيفية الوضوء ووجوب غسل اليدين بدءاً بالأصابع وإنهاء بالمرفقين، ولكن بقليل من التأمل نقول أن اليد مشتركة بين الأصابع إلى الزند إلى المرفق وإلى الكتف، فإذا قيل اغسلوا أيديكم يكون مجملاً ومبهما يحتاج إلى مفسر يعين حد المغسول به فجاءت إلى المرافق و (إلى) هنا لبيان حد المغسول به لا لبيان كيفية الغسل والآية ناظرة إلى ما هو متفاهم عرفاً إذ أنه إذا قيل لشخص اغسل هذا البيت أو ضع عليه طلاء إلى السقف فهل يبدأ من تحت إلى أعلى أم العكس؟ ولعل فتاوى الأئمة الأربعة بالجواز لا بالوجوب في الابتداء بالأصابع يؤكد هذا المعنى ولو كانت (إلى) جاءت لبيان كيفية الغسل لوجب على الأئمة الأربعة أن يفتوا بوجوب ذلك. ولفظ (إلى) يستخدم أحياناً بمعنى "مع" كقوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم). والشيعة اتبعوا بالإضافة إلى النص من هم أعرف بالقرآن من غيرهم.

حكم الأرجل

أما حكم الأرجل فهو أوضح من مسألة كيفية غسل اليدين ومن خلال نفس الآية وهو وجوب المسح، ولا معنى للقول بالغسل وهو مخالف للآية الكريمة بالإضافة إلى السيرة العملية لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيما يلي بيان ذلك. [صفحة ٢٢٣] في قوله تعالى (وأرجلكم) وردت قراءتان مشهورتان: - القراءة الأولى: (وأرجلكم) بالجر وهي قراءة ابن كثير وحمزة وأبي عمرو وعاصم (في رواية أبي بكر عنه) كما ذكر ذلك الرازي في تفسيره [١٩٢] وبناء على هذه القراءة فالأرجل معطوفة على الرؤوس فوجب مسحهما كما وجب ذلك في الرؤوس، يقول الرازي: اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما، فنقل القفال في تفسيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر: أن الواجب فيهما المسح، وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري: المكلف مخير بين المسح والغسل. أما القراءة الثانية وهي قراءة "وأرجلكم" بالنصب وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه كما ذكر ذلك الرازي، وبناء على هذه القراءة يكون حكم الأرجل المسح أيضاً، لأنها معطوفة على الرؤوس المنصوبة محلاً - المجرورة لفظاً فقوله تعالى (برؤوسكم) لها حالتان: - النصب محلاً لأنها مفعول به. - الجر لفظاً لأنها مسبوقة بحرف الجر. فالأرجل المعطوفة على الرؤوس يجوز فيها حالتان. - النصب عطفاً على المحل. الجر عطفاً على اللفظ. والعطف على المحل

وارد في لغة العرب فيقال " ليس فلان بعالم ولا عاملا " بنصب عامل عطفها لها على محل عالم. كما أنه لا يصح عطف الأرجل على الوجوه والأيدي، حيث لا يجوز العطف على الأبعد مع إمكان العطف على الأقرب، وكذلك لوجود الفاصل الأجنبي، [صفحته ٢٢٤] فلا يصح أن يقال (ضربت زيدا ومررت بيكر وخالدا) بعطف خالد على زيد لوجود الفاصل وهو " مررت بيكر " كذلك في آية الوضوء لا يصح عطف (أرجلكم) على (وجوهكم وأيديكم) لإمكان العطف على الأقرب وهو (رؤوسكم) ولوجود الفاصل الأجنبي وهو جملة (وامسحوا برؤوسكم).

اخبار من مصادر سنينة توضح وجوب المسح دون الغسل

١ - في مسند الإمام أحمد عن علي قال " كنت أرى باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمسح ظاهرهما " [١٩٣]. ٢ - أخرج الحاكم في المستدرک بسنده إلى رفاعه بن رافع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال " : إنها لا تتم صلاة أحد حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله عز وجل يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح رأسه ورجليه إلى الكعبين " [١٩٤] ، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه بخمسة أسانيد صحيحة. ٣ - أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي مال الأشعري أنه قال لقومه اجتمعوا أصلى بكم صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): فلما اجتمعوا قال: هل فيكم أحد غيركم قالوا: إلا ابن أخت لنا، قال: ابن أخت القوم منهم، فدعا بجفنة فيها ماء فتوضأ وتمضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثه وذراعيه ثلاثا ومسح برأسه وظهر قدميه ثم صلى بهم " [١٩٥]. ٤ - أخرج ابن ماجه في سننه قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) " لا تتم الصلاة لأحد حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين [صفحته ٢٢٥] ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين " [١٩٦]. ٥ - وأخرج أيضا عن الربيع قالت: أتاني ابن عباس عن هذا الحديث تعني حديثها الذي ذكرت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) توضأ وغسل رجليه فقال ابن عباس " : إن الناس أبوا إلا الغسل ولا أجد في كتاب الله إلا المسح " [١٩٧]. هذا هو حكم الأرجل في الوضوء " المسح، " وقد قال ابن عباس للذين يقولون بالغسل: ألا تتدبرون القرآن لقد أبدل الله تعالى الغسل مسحا في التيمم وأسقط المسح في آية التيمم فما لكم لا تفقهون؟!... يقول تعالى في نفس آية الوضوء من سورة المائدة (وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) (سورة المائدة: آية ٦ / فتأمل..

الجمع بين الصلاتين

هو الجمع بين صلاتي الظهر والعصر ويسمى عند الفقهاء بالظهرين، والمغرب والعشاء ويسمى بالعشائين بالإضافة إلى صلاة الصبح. والأدلة على ذلك كثيرة ومتواترة من القرآن الكريم وعن طريق المدرستين. يقول الله تعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) (سورة الإسراء: آية ٧٨). - الدلوك: معناها الزوال. - الغسق: فيه قولان: أ - أول ظلمة الليل. [صفحته ٢٢٦] ب - شدة الظلمة في نصف الليل. - قرآن الفجر: صلاة الفجر. وبناء على تفسير الغسق بأول الليل يكون النص قد حدد ثلاث أوقات للصلاة: الوقت الأول: الزوال وهو بداية الوقت للظهر والعصر معا. الوقت الثاني: أول الليل وهو بداية الوقت للمغرب والعشاء معا. الوقت الثالث: الفجر وهو الوقت الخاص بالصبح. وبناء على تفسير الغسق بنصف الليل يكون النص دالا على جواز الجمع فوق الفرائض الأربع: الظهر والعصر والمغرب والعشاء ممتد من الزوال إلى نصف الليل فالظهر والعصر يشتركان في الوقت من الزوال إلى الغروب إلا- أن الظهر قبل العصر، ويشترك المغرب والعشاء في الوقت من الغروب إلى نصف الليل غير أن المغرب قبل العشاء، أما فريضة الصبح فقد اختصها الله بوقتها المنوه به في قوله تعالى (وقرآن الفجر) [١٩٨]. يقول الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية " يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات: وقت الزوال ووقت أول المغرب ووقت الفجر، وهذا يقتضى أن يكون

الزوال وقتا للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركا بين هاتين الصلاتين وأن يكون أول المغرب وقتا للمغرب وقتا للعشاء فيكون هذا الوقت مشتركا أيضا بين هاتين الصلاتين فهذا يقتضى جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا. " إلا أن الرازي يعقب قائلا " إلا أنه دل الدليل على أن الجمع جائز بعذر السفر وعذر المطر وغيره [١٩٩]. ونحن نرد عليه قوله الأخير للأدلة التي تواترت عن طريق أهل السنة والجماعة والتي أكدت على جواز الجمع مطلقا فى الحضر ودون عذر، وأهل البيت (ع) قالوا أيضا بذلك وأهل البيت أدرى بما فيه. [صفحة ٢٢٧]

الادلة من السنة

١ - عن سهل بن حنيف قال: سمعت أبا أمامة يقول: صلينا مع عمر بن عبد العزيز الظهر ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلى العصر فقلت: يا عم ما هذه الصلاة التي صليت؟ قال: العصر وهذه صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التي كنا نصلى معه [٢٠٠]. ٢ - عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال " : إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى بالمدينة سبعا وثمانية الظهر والعصر، والمغرب والعشاء [٢٠١]. ٣ - خطب ابن عباس يوما بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم وجعل الناس يقولون الصلاة، الصلاة فجاءه رجل من بنى تميم لا يفتر ولا ينثى الصلاة الصلاة، فقال ابن عباس: أتعلمنى الصلاة لا أم لك! ثم قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، فقال عبد الله بن شقيق (راوى الحديث) فحاك فى صدرى من ذلك شئ فأتيت أبا هريرة فسألته فصدق مقالته [٢٠٢]. ٤ - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الظهر والعصر جميعا بالمدينة من غير خوف ولا سفر، قال أبو الزبير فسألته سعيدا لم فعل ذلك؟ قال: سألت ابن عباس كما سألتنى فقال: أراد أن لا يخرج أحدا من أمته [٢٠٣]. ٥ - عن ابن عباس قال: جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة من غير خوف ولا مطر، قال الراوى: قلت [صفحة ٢٢٨] لابن عباس: لم فعل ذلك. قال: كى لا يخرج أمته [٢٠٤].

الادلة من طريق اهل البيت

هذا هو حال الجمع بين الصلاتين كما هو واضح إطلاقه فى كل الأحوال تخفيفا للأمة، وذلك ما جاءت به كتب أهل السنة والجماعة، أما ما جاء عن أهل البيت (ع) فكثير نختار منه: ١ - عن الإمام الصادق (ع) قال: صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس فى جماعة من غير علة، وإنما فعل ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليتسع الوقت على أمته [٢٠٥]. ٢ - عن الإمام الباقر (ع) قال " : إذا زالت الشمس دخل الوقتان الظهر والعصر فإذا غابت الشمس دخل الوقتان المغرب والعشاء الآخرة. " ٣ - وبتفصيل أكثر يقول الإمام الصادق (ع) " : إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر حتى يمضى مقدار ما يصلى المصلى أربع ركعات، فإذا مضى ذلك فقد دخل وقت الظهر والعصر حتى يبقى من الشمس مقدار ما يصلى المصلى أربع ركعات، فإذا بقى مقدار ذلك فقد خرج وقت الظهر وبقي وقت العصر حتى تغيب الشمس. " وقال " : إذا غابت الشمس فقد دخل وقت المغرب حتى يمضى مقدار ما يصلى المصلى ثلاث ركعات، فإذا مضى ذلك فقد دخل وقت المغرب والعشاء الآخرة حتى يبقى من انتصاف الليل مقدار ما يصلى المصلى أربع ركعات، وإذا بقى مقدار ذلك فقد خرج وقت المغرب وبقي وقت العشاء إلى انتصاف الليل. " وسائل الشيعة. وهكذا تكون الصلاة خمس صلوات واجبة مفروضة فى اليوم واللييلة هى الفجر ووقته معلوم والظهر والعصر لهما وقت مشترك يجوز الجمع فيه على أن يقدم الظهر [صفحة ٢٢٩] وأيضا للمغرب والعشاء وقت مشترك يجوز الجمع فيه على أن يقدم المغرب على العشاء، وهذا ما يؤمن به الشيعة ويعملون به، وهو الحق.

الزواج المنقطع المتعة

اشاره

باسم الشرف والكرامة أخذ البعض يطعن في أحكام الله التي شرعها في كتابه وبلغها نبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والتي التزم بها شيعته أهل البيت (ع) فكان جزاؤهم التشنيع والاثام والإشاعات والكذب عليهم. وبلغ ذلك حده في زواج المتعة الذي جاء به القرآن وقال به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه، وعلى مشروعيته أكد أهل البيت (ع). ولنا حديث حول هذا الموضوع، ولكن قبل ذلك نستعرض بعض الأدلة التي تحسم الأمر تماما إذا كان أهل السنة والجماعة يؤمنون بكلام الله تعالى وقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم نعرض لتتعرف على أقوال أولئك الذين ظنوا بأنهم بلغوا شأوا بعيدا من معرفة ما يضر المجتمع وما يصلحه.

الدليل القرآني

قوله تعالى: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة) (سورة النساء: آية / ٢٤). ذكر الرازي في تفسيرها [٢٠٦]، أنه روى أن أبي بن كعب كان يقرأ (فما استمتعتم به منهن) - إلى أجل مسمى - (فآتوهن أجورهن) وهذه أيضا قراءة ابن عباس والأمة ما أنكرت عليهما في هذه القراءة فكان ذلك إجماعا من الأمة على صحة هذه القراءة، ويقل الرازي أثناء بحثه حول آية المتعة عن عمران بن حصين أنه قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ولم تنزل بعدها آية تنسخها وأمرنا بها رسول [صفحة ٢٣٠] الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برأيه ما شاء [٢٠٧]. ومثله يروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤ / ٤٣٦، كما قال بنزول هذه الآية في المتعة مجاهد فيما أخرج الطبري. وفي الدر المنثور عن الحكم أنه سئل عن هذه الآية (آية المتعة) أمسنوخة قال: لا، وقال علي: لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقى [٢٠٨]. وأعتقد أن مفهوم هذه الآية حول المتعة واضح جدا ومن خلال سياق الآيات نستطيع أن نتعرف على أنواع الزواج التي شرعت في الشريعة الإسلامية، وقد أكد على ذلك تواتر الروايات التي جاءت تبين الآية، وتأييدها مجموعة من الأحاديث التي جاءت في الصحاح. إلا أن علماء العامة وكما تعودنا منهم كثرة محاولات التضييل وتشويه صورة الشيعه، أنكروا المتعة وتبرأوا منها وهم يحسبون أنهم بذلك يضربون التشيع، وغفلوا أو ربما عن وعي أنهم بذلك قد ضربوا القرآن الحكيم وطعنوا في الحكمة الإلهية للتشريع، وكأنما أرادوا أن يفرضوا على الله شريعة ثلاثم عقولهم التي لم تستوعب مضامين الرسالة وروحها، فصعب عليهم التعرف على الحق والتسليم له، وكان بينها وبين الحقيقة حجاب التكبر والغطرسه وادعاء العلم، والله يعلم وهم من جهل مركب في طغيانهم يعمهون. أقول ذلك وأتألم لحال الأمة التي أصبح علماءها أكثر الناس جهلا- بأمور دينهم.. قرأت كتبهم واستمعت إلى علمائهم حول الزواج "المؤقت"، فوجدت أن أفضل من تحدث عنه قال إنه تقنين للزنا، وبقولهم هذا يكون الله تعالى ورسوله قد شرعا الزنا - حاشا الله ورسوله - حتى ولو صدقت دعواهم بنسخه أو تحريمه بعد تشريعه تكون هنالك فترة زمنية مارس فيها المسلمون الزنا مقتنا.. [صفحة ٢٣١] والآن لنر الأدلة المأخوذة من الصحاح، هل قالت عن المتعة أنها زنا؟! عن عبد الله بن مسعود قال: "كنا نغزوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليس لنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل معين [٢٠٩]. عن سلمة بن الأكوع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "أيما رجل وامرأة تواقفا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال فإن أحبا أن يتزايد أو يتتاركا. تزايد أو تتاركا [٢١٠]. عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع قالوا: كنا في جيش فأتانا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: "قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا [٢١١]. عن جابر بن عبد الله قال: "كنا نتمتع على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبى بكر وعمر حتى نهانا عمر عنها أخيرا يعنى

متعّة النساء [٢١٢]. عن جابر بن عبد الله قال: "تمتعنا متعتين على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الحج والنساء فهنا عمر عنهما فاتتهما [٢١٣]. كما ذكر الرازي أنه روى أن عمر قال على المنبر: "متعان كانتا مشروعيتين في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنا أنهى عنهما متعّة الحج ومتعّة النكاح." هذه وغيرها من الأحاديث والروايات تبين أن زواج المتعّة زواج شرعي وأن تحريمه لم يكن من الله ورسوله إنما قال فيها الرجل "عمر" بما شاء، ونحن غير ملزمين بقول عمر الذي ارتآه ونقبل بشهادته فيما يخص حليتها، لأن القرآن أمرنا بأخذ ما قاله لنا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وما شرعه أما ما قاله عمر إذا خالف كتاب الله وسنة رسوله فنضرب به عرض الحائط، وهنالك من هو أعلم منه وكان [صفحة ٢٣٢] يرجع إليه في المعضلات وقد قال بحليتها وهو الإمام علي (ع) الذي ينقل قوله السيوطي في الدر المنثور "لولا أن عمر نهى عن المتعّة ما زنى إلا شقى." وهذا ينقلنا لنخوض قليلا في الحديث عن المجتمع، وما سببه تحريم زواج المتعّة من مشاكل. إن مشكلة الجنس من أكثر المشاكل عمقا وتعقيدا وتأثيرا في المجتمع الإنساني بما تحمله من مضاعفات خطيرة تؤثر في مسار حياة الإنسان ومن أبرز هذه المضاعفات الانحرافات الجنسية وإشباع الغريزة بصورة غير مشروعة مما ينعكس سلبا على المجتمع، بالإضافة إلى الانعكاسات النفسية والاكتئاب والانطواء وسائر التوترات التي تكون نتاجا للممارسة المنحرفة للجنس أو كبت هذه الغريزة والتي تعتبر متأصلة في تكوين الإنسان ولا تنفك عنه، وغير ذلك من المشاكل التي درسها علماء النفس والتربية والاجتماع والسياسة. والإنسان كما يحتاج للغذاء يحتاج للقنوات التي من خلالها يشبع غريزته الجنسية، وكما هو واضح في مجتمعاتنا - والسودان أبرز المصاديق - تأخرت سن الزواج نسبة لظروف كثيرة بعضها يرتبط بالناحية المادية وبعضها يرتبط بالاستعداد الذاتي للإنسان لتحمل مسؤولية تكوين العائلة، فأصبح الرجل يتزوج فوق سن الثلاثين، وبين هذه السن وسن البلوغ التي تبدأ معها الحاجة للجنس سنين طويلة فتبرز الحاجة إلى وجود حلول في هذه الفترة والحل ربما يكون بأحد أمرين: أما إسكات نداء الجنس بالوعظ والإرشاد والتخويف والتحذير وهذه الوسيلة ربما يكون لها تأثير في الواقع الخارجي ولكن تبقى المشكلة في داخل كيان الإنسان تحتاج إلى حل، والحل الآخر يكمن في الإباحة الجنسية وهذا ما لا يقبله عاقل يؤمن بالقيم الدينية والمثل والمبادئ الإنسانية كما أنه يترتب عليه مضاعفات خطيرة في حياة الإنسان وسلوكه إضافة إلى كثير من السلبيات على مستوى الفرد والمجتمع". أما الزواج الدائم إذا عالج قسما من المشكلة فهو لا يعالجها في مختلف مجالاتها فالمشاكل ليست كلها مشاكل مالية وطبقية إنما هنالك جوانب من المشكلة تتطلب حلا. [صفحة ٢٣٣] يقول العالم النفسي "برتراندرسل: ("إن سن الزواج قد تأخرت بغير اختيار وتدبير فإن الطالب كان يستوفي علومه قبل مائة سنة أو مائتين في نحو الثامنة عشرة أو العشرين فيتأهب للزواج في سن الرجولة الناضجة، ولا يطول به عهد الانتظار إلا إذا أثر الانقطاع للعلم مدى الحياة، وقل يؤثر ذلك بين المئات والألوف من الشباب. وأما في العصر الحاضر فالطلاب يتخصصون لعلومهم وصناعاتهم بعد الثامنة عشرة أو العشرين، ويحتاجون بعد التخرج من الجامعات إلى زمن يستعدون فيه لكسب الرزق من طريق التجارة والأعمال الصناعية والاقتصادية، ولا يتسنى لهم الزواج وتأسيس البيوت قبل الثلاثين، فهنالك فترة طويلة يقضيها الشاب بين سن البلوغ وسن الزواج لم يحسب لها حساب في التربية القديمة، وهذه الفترة هي فترة النمو الجنسي والرغبة الجامحة وصعوبة المقاومة للمغريات، فهل من المستطاع أن نسقط حساب هذه الفترة من نظام المجتمع الإنساني كما أسقطها الأقدمون وأبناء القرون الوسطى؟ إننا إذا أسقطناها من الحساب فسيكون نتيجة ذلك شيوع الفساد والعبث بالنسل والصحة بين الشباب والشابات) [٢١٤] وفي الواقع إن كلمة المؤمنين علي (ع) لخصت معاناة الأمة من جراء تحريم الزواج المؤقت، قال علي (ع) "ما كانت المتعّة إلا رحمة من الله رحم بها أمه محمد ولولا نهى عمر ما زنى إلا شقى." هذه الرحمة الإلهية تعني أن المتعّة تحمي الإنسان من كل المضاعفات الخطيرة التي تفرزها مشكلة الجنس، ولا تبقى للزنا أثرا في مجتمعاتنا إلا لدى من تجذرت عنده نزعات الشذوذ الخلقى، ومع المتعّة لا يبقى أي داع لتحليل العادة السرية، كما أفتى بذلك بعض علماء الدين المعاصرين. [صفحة ٢٣٤] وقد وقع في يدي صدفه كتاب طبع في السعودية طباعة فاخرة عنوانه الإسلام والجنس يقول فيه الكاتب: "وفي حالات الاضطرار يجوز للمسلم ممارسة العادة السرية لأنه لا حرج في الدين" ولكن لم يبين لنا هذا العلامة حدود الاضطرار

وملا-كه ونحن نشاهد في بلداننا كل أنواع المحفزات من خلاعة وتبرج فهل نعمل بفتواه والرجل يعيش بعد البلوغ عشرين عاما بلا زواج؟! في حواراتي المختلفة مع بعض الإخوة كثيرا ما يربطون المتعة بالزنا ويدور نقاشهم عن الآثار بعيدا عن أصل مشروعيتها. ولقد ثبت أنها شرعت، والحديث عن نسخها يفتقد للدليل القوي، وما جاء من روايات وأحاديث متهافته ومتضاربة لا يقوى على النهوض لمستوى دليل في مقابل ما أوردناه، أما نهى عمر عنها فلا يجدى في مقامنا هذا كما بينا خصوصا وأن هنالك من نادى بحليتها من الصحابة. أما كون المتعة زنا، فهذا قول غريب يقودنا إلى إشكالات أشرنا إليها، والزنا هو ممارسة الجنس بصورة غير مشروع والمتعة غير ذلك فهي لا-تختلف عن الزواج إلا- في بعض الآثار سندكرها إن شاء الله.. وهنالك من يقول بعدم قبول المجتمع لها، أقول إن تشريع الله تعالى لا يخضع لمدى قبول المجتمع له أو رفضه، إنما يجب أن يخضع المجتمع لأحكام الله فتكون حاكمه عليه، وما أكثر رفض المجتمعات قديما وحديثا للأحكام السماوية؟! فاجأت أحدهم بالسؤال: هل تقبل أن يتزوج أبوك زوجة أخرى وأمك موجودة؟ فأجاب بسرعة: لا! قلت: ولم وقد شرع الله له في القرآن أن يتزوج أربعة؟! وهنالك بعض الشبهات الجانيية تثار حول هذا الموضوع لا تقدر في صحته، أما التعامل مع هذا الحكم كيف يكون فذلك بحث آخر، مثلا ربما يقال أنه بعد انتهاء مدة عقد المتعة من الذي يضمن ألا- تتزوج المرأة قبل تمام العدة؟ [صفحة ٢٣٥] أقول إن للشريعة الإسلامية والرسالات السماوية عموما مميزات تفوقت بها على القوانين الوضعية لضبط المجتمع وأهم هذه الميزات والتي تعتبر ضمانه لعدم الاخلال بالقانون هي الإيمان والتقوى، إذ أن أحكام الشريعة الإسلامية نزلت ليطبقها من يؤمن بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب، وإلا ما هو الضمان أن يكون الابن الذي يأتي من زوجتك هو من صلبك، وكيف يمكننا أن نثق بأن المرأة المطلقة اعتدت كامل أيامها، وكيف يتسنى لك أن تعلم أنك ابن أبيك إن كثيرا من الأشياء تتحكم فيها القيم والمبادئ والأخلاق والإيمان والتقوى والورع وتبقى المشكلة في ذات الإنسان وليس في التشريع، وإذا فقد الالتزام النابع من الإيمان لم تكن الأحكام المجردة مانعة من انتهاك الحرمات وحدوث الفوضى، وهذا تشريع ملك اليمين فهل نعتبره زنا أيضا وأن المجتمع لا يقبله وبالتالي نلغيه؟ وبعد قرون نكتشف أن زواج الرجل بأربع زوجات لا يلائم المجتمع فنلغيه وهكذا. إن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة. وإليك بيان تفصيلي عن الزواج المؤقت الذي لا يفترق عن الزواج الدائم إلا في بعض الآثار.

ما المقصود بالزواج المؤقت

(التشيع السيد عبد الله الغريفي ص ٥٣٢) عقد زواج بين الرجل والمرأة ضمن شروط شرعية محددة من أهمها: ١ - الإيجاب والقبول. ٢ - تحديد المدة ضمن صيغة العقد. ٣ - تحديد المهر. ٤ - إذن الولي إذا كانت البنت بكرًا على رأى الكثير من الفقهاء. ٥ - انتفاء الموانع الشرعية من النكاح، كالنسب أو السبب أو الرضاع أو الاحصان أو العدة أو غير ذلك. [صفحة ٢٣٦] ٦ - لا- يجوز للمسلمة أن تتمتع بالكافر، كما لا يجوز للمسلم أن يتمتع بالمشركة غير الكتابية.

العناصر المشتركة بين الزواج الدائم والزواج المؤقت

١ - العقد الشرعي المشتمل على الإيجاب والقبول اللفظيين. ٢ - الآثار الشرعية المترتبة على العقد إلا ما استثنته الأدلة الخاصة. ٣ - أحكام الأولاد واحدة في الزواجين. ٤ - العدة واجبة على المرأة مع الدخول وعدم اليأس في الحالتين وبالنسبة للوفاء تجب العدة حتى وإن كانت المرأة صغيرة أو يائسة أو غير مدخول بها.

عناصر الاختلاف بين الزواجين

١ - في الزواج المؤقت تحدد المدة والأجل وفي الدائم لا تحديد للمدة والأجل. ٢ - في المؤقت يشترط ذكر المهر وفي الدائم لا

يشترط ذلك. ٣- في المؤقت لا طلاق بل تبين المرأة بانتهاج المدء أو بهبة المدء لها أو الوفاء، وفي الدائم لا تبين المرأة إلا بالطلاق أو الوفاء إلا في الحالات الاستثنائية كالارتداد والفسخ فتبين المرأة بلا طلاق. ٤- في المؤقت لا توارث بين الزوجين إلا مع الشرط عن بعض الفقهاء، وفي الدائم يتوارث الزوجان إلا في حالات استثنائية كالقتل أو كون الزوجة غير مسلمة. ٥- في المؤقت لا نفقة للزوجة إلا مع الشرط ضمن العقد وفي الدائم تجب النفقة إلا في الحالات الاستثنائية كالنشوز. ٦- في المؤقت لا- قسم للزوجة ولا- تجب مضاجعتها ولا مقاربتها في كل أربعة أشهر مرة وفي الدائم يجب ذلك. ٧- في المؤقت تستحق المرأة المهر كاملا وإن لم يدخل بها إذا لم يكن ذلك بسبب مانع من قبلها، وفي الدائم لا تستحق المهر كاملا إلا مع الدخول. [صفحہ ٢٣٧] هذا هو زواج المتعة كما شرعه الدين وهو رحمة الله تعالى للإنسان الذي خلق ضعيفا، وقد قال تعالى في سورة النساء بعد بيان أنواع الزواج المختلفة بما فيها الزواج المؤقت (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) [٢١٥] ولكن أبت الأمة كعادتها إلا أن تضيق على نفسها كما فعلت أمة بنى إسرائيل. ونتوج بحثنا بروايات

عن اهل البيت

عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر الباقر (ع) عن المتعة فقال: " نزلت في القرآن (فما استمتعتم به منهن... الآية. ") عن الإمام الصادق (ع): قال " المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم. ") عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: سألت أبا عبد الله هل نسخ آية المتعة شيء؟ قال: لا، ولولا ما نهى عنها عمر ما زنى إلا شقى. " ونذكر هنا بعض الملاحظات للذي يدعى بأن آية المتعة منسوخة بقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) (سورة المؤمنون: آية ٥ / ٧). أولا: إن هذه الآية جاءت في سورة المؤمنون وهي مكية وآية المتعة جاءت في سورة النساء وهي مدنية فكيف يكون المتقدم نزولا ناسخا للمتأخر! أما ما ذكره بأن الآية حددت نوعين من النكاح فقط: الزواج وملك اليمين.. فالمتعة أيضا زواج كما بينا والأمر واضح، وبالنسبة للروايات التي تحرم المتعة فهي غير صحيحة لتعارضها مع الأحاديث القائلة بحليتها كما أن أخبار التحريم أخبار آحاد، والنسخ لا يثبت بأخبار الآحاد، ثم إن هنالك تناقضا واضحا في روايات التحريم فبعضها يقول بأن التحريم صدر يوم خيبر وأخرى في يوم الفتح وثالثة في تبوك ورابعة في عمره القضاء وخامسة في حجة الوداع... الخ. [صفحہ ٢٣٨] وأخيرا إن روايات التحريم معارضة بروايات أهل بيت النبوة (ع) المتواترة والدالة على إباحة المتعة إلى يوم القيامة.

خاتمة

في ظل أمواج الفتن ما أحوج الإنسان إلى أن يجد سفينة النجاة لتأخذ به إلى بر الأمان، وما أحوج إلى التعرف على المعتقد السليم الذي من خلاله يستطيع أن يعيش واقع حياته اليومية باطمئنان حتى يلقي الله وقد وفي بعهدة وميثاقه. وتبقى مشكلة التعصب الأعمى وعدم التسليم للحق والتمرد عليه تكبرا، مما يجعل بيننا وبينه حجابا إذا أردنا التمسك به والبحث عنه، إذ أنه لا بد من التأكد مما نحن عليه، على ألا- يكون التوارث أبا عن جد هو المرتكز لفهم فلسفة الحياة، ولا- يمكن أن نحقق العبودية في أنفسنا وهي غاية الخلق [٢١٦] إلا عبر الطريق الذي أمرنا الله به ولا يمكن أن تكون الوراثة التي نبذاها القرآن هي الضمانة لصحة ما نعتقده والمسلمون انقسموا لفرق ومذاهب كل يدعى وصلا بليلى، والظلمات كثيرة والنور واحد وهذا هو مقصود حديث الفرقة الناجية، فليصبح الإنسان كالمجنون وهو يبحث لكي يختار الصواب. إن الأمة الإسلامية تعيش تحديا حضاريا في كل الجوانب لم يترك العدو لها مجالا إلا وحاول من خلاله أن يبيث سمومه، وفي واقعنا المعاش نجد الكثير من المذاهب التي تلبست بلباس الدين ودعت إليه بينما كانت تخدم مصالح الأعداء وتحمل في داخلها معاول هدم رساله السماء، وأبرز مصداق لذلك الوهابية التي انتشرت في طول البلاد الإسلامية

وعرضها مستغلة الظروف الاقتصادية في الدول النامية ولم تعتمد على [صفحہ ٢٣٩] المعتقد السليم ولا على الفكر الصحيح أو المنطق في الحوار بل ظهرت عبر مؤسساتها وأموالها، جاعلة الدين كتلة جامدة لا تتفاعل وواقع الحياة، لذلك تركها دوائر الاستعمار لتسرح بينما تصب على الشيعة كل أنواع التضليل. هنالك كثير من الأسباب تقف حائلا بين المرء والحقيقة عليه أن يتجاوزها ولقد حاولت ذلك فكان الانتقال عبر محطات التاريخ للوقوف على المنعطفات الخطيرة التي مرت بها الأمة الإسلامية ففرقت شيئا وأحزابا، لم يكن همي سوى الحقيقة.. الحقيقة وحدها دون الالتفات إلى ما سيعترضني من مشاكل في سبيل ذلك، ولقد حاول البعض عندما انهزم بالدليل والبرهان أن يتهمني تارة بالشيوعية وهي التي لم يستطع نسفها غير علماء الشيعة بقيادة الشهيد الصدر فكيف يلتقي الشيعي مع الشيعي اللهم إلا إذا اشتبهت الأحرف على السامع وتارة يقولون عنا جمهوريين، هذه الجماعة التي ولدت فكرتها ميتة لأنها عارضت كل شيء القرآن والسنة والعقل، قامت باجتهاد فرد وانتهت بانتهاهه من على مسرح الحياة، أما التشيع فأنا لم أنتج من محض خيالي، إنما وجدت أنه ولد حينما ولدت الرسالة، وشهد الأعداء قبل الأصدقاء بأهلية أهل البيت (ع) لتحمل أمانة السماء والتاريخ يشهد لهم بذلك فما ذنبي إذا كان الدليل يأخذ بعنقي إلى حيث النور، ومن يملك دليلا خلاف قولنا وإذا كان هنالك حق غير مذهب أهل البيت (ع) فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. وتارة أخرى يتهموننا بأننا نسعى لإثارة الفتن، ولعمري متى كان البحث عن الحق إثارة للفتنة؟ ومتى كان كشف الزيف دلالة على ذلك؟ أن الذين يوزعون هذه التهم إنما يبررون لأنفسهم ويحاولون الانتصار لها بعد هزيمتها داخليا. عندما بدأت بحثي لم يقم في نفسي أن أطرحه للآخرين وإنما هو تكليف شرعي وتلهف للكشف عن الحق الذي به قامت السماوات والأرض، وظمًا للارتواء من منابع الرسالة الصافية التي لم تكدرها الجاهلية بأنجاسها، ووجدته بحمد الله عذبا [صفحہ ٢٤٠] ثجاجا في ولاية علي بن أبي طالب (ع) وأتباعه الذين قال فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) "والذي بعثني بالحق نبيا لو أن رجلا- لقي الله بعمل سبعين نبي ثم لم يلقه بولاية أولى الأمر من أهل البيت ما قبل الله منه عدلا ولا صرفا." كما روى الإمام الصادق (ع) عن أبيه عن جده (ع) قال: مر أمير المؤمنين (ع) في مسجد الكوفة ومعه خادمة قنبر رجلا- قائما يصلي فقال: يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلا- أحسن صلاة من هذا. فقال علي (ع): يا قنبر فوالله لرجل علي يقين من ولايتنا أهل البيت خير ممن له عبادة ألف سنة، ولو أن عبدا عبد الله ألف سنة لا يقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت، ولو أن عبدا عبد الله ألف سنة وجاء بعمل اثنين وسبعين نبي ما يقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت وإلا أكبه الله على منخريه في نار جهنم " وغيرها من الروايات التي تجعل الإنسان يقف متأملا- وهو يحاول أن يهتدى إلى الطريق. وعلى فرض عدم صحة هذه الروايات، يجب على الإنسان دفعا للضرر المحتمل - كما يقولون - أن يبحث عن الحق أنى كان، ولقد ادعى أهل البيت (ع) حق الولاية وتواتر المنقول عنهم أن أعمال العبد يتوقف قبولها على ولايتهم وبدونها يسقط عمله. بينما لا نجد أن أحدا من الصحابة ادعى مثل هذا الحق وبالخصوص الخلفاء الثلاثة فالإيمان بهم بالتالي ليس من أصول الدين إنما هو أمر فرعي يحتاج إلى نقاش.

اخيرا

إن الاهتداء إلى الحق ليس عبقرية ذاتية، إنما نعمة من الله تعالى ينعم بها على من يشاء من عباده، وما على الإنسان إلا التوجه المخلص لله تعالى حتى يريه الحق حقا فيتبعه ويريه الباطل باطلا فيجتنبه، ولقد تكفل البارئ عز وجل بهداية المجاهدين فيه إلى سبله. [صفحہ ٢٤١]

خطبة فاطمة شعله الحق

إنها خطبة يعجز الإنسان عن وصفها، ويؤمن ويصدق بأنها معجزة احتجت بها أمام الخليفة الأول أبي بكر، ودقة معانيها وقوة بيانها تؤكد صحة نسبتها للطاهرة المعصومة فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأذكر جزءا منها في هذا المقام تنمة للفائدة. قالت

سلام الله عليها": الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها وتمام من أولها، جم عن الاحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمددها، وتفاوت عن الادراك أبددها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأثار في التفكير معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته ومن الأوهام كلفته، ابتدع الأشياء لا من شئ كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها كونها بقدرته، وذراها بمشيئته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته، وتنبها على طاعته، وإظهارا لقدرته، تعبدا لبريته وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته زيادة لعباده من نعمته، وحياسة لهم إلى جنته. وأشهد أن أبى محمدا عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله وسماه قبل أن اجتبه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونه، وبستر الأهويل [صفحة ٢٤٢] مصونه، وبنهاية العدم مقرونة علما من الله تعالى بمايل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور ومعرفة بمواقع الأمور. ابتعثه الله إتماما لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذا لمقادير رحمته، فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأثار الله بأبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها [٢١٧]، وجلى عن الأبصار غمها وقام في الناس بالهداية فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العمياء، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الصراط المستقيم. ثم قبضه الله إليه قبض رافه واختيار، ورغبة وإيثار فمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من تعب هذه الدار في راحة قد حفر بالملائكة الأبرار ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار، صلى الله على أبى نبيه وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته. ثم التفتت سلام الله عليها غلى أهل المجلس وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحمله دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغاؤه إلى الأمم، زعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم. كتاب الله الناطق والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينه بصائر، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره معتبته به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه به تنال حجج الله المنورة، وعزائم المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبياناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة. [صفحة ٢٤٣]

فجعل الله الإيمان تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة تزيتها لكم عن الكبر، والزكاة تركية للنفوس، ونماء للرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشييدا للدين، والعدل تنسيقا للقلوب، وطاعتنا نظاما للملئ، وإمامتنا أمانا من الفرقة والجهاد عزا للإسلام والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر والنهي عن المنكر مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلوة الأرحام منسأة في العمر ومنماء للعدد، والقصاص حقا للدماء، والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازن، تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر، تنزيها عن الرجس واجتناب القذف، حجابا عن اللعنة، وترك السرقة، إيجابا للعة، وحرمة الله الشرك إخلاصا له بالربوبية فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء. ثم قالت: أيها الناس اعلموا، أنى فاطمة وأبى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أقول عودا وبدءا ولا أقول غلطا، ولا أفعل ما أفعل شططا، لقد جاءكم رسول الله من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم. فإن تعزوه وتعرفوه تجدوه أبى دون نساكنكم، وأخا ابن عمى دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فبلغ الرسالة صادعا بالندارة مائلا عن مدرجة المشركين ضاربا ثبجهم آخذنا بأكظامهم داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام وينكت الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، فتضرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهت بكلمة الإخلاص فى نفر من البيض الخماص وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع وقبسة العجلان، وموطى الأقدام تشربون [صفحة ٢٤٤] الطرق وتقتاتون القد والورق، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد اللتيا والتى وبعد أن منى بهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف

أخاه في لهواتها فلا ينكفى حتى يطاء جناحها بأخصمه، ويخمد لهبها بسيفه مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتنكصون عند النزول وتفرون من القتال... ثم تنتقل الصديقة (ع) للحديث عن الانقلاب كما وضحنا ثم تحدثت عن منعها الإرث ولقد ذكرنا كلماتها في بداية البحث وبعد ذلك رمت بطرفها نحو الأنصار وقالت: يا معشر النقيية وأعضاء الملة وحضنة الإسلام ما هذه الغمزة في حقى والسنة عن ظلامتى. أما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبى يقول: "المرء يحفظ في ولده؟" سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا إهالة ولكم طاقة بما أحاول وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فخطب جليل: استوسع وهنه واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيته وكسفت الشمس والقمر، وانتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا باثقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه في أفنيتمكم، وفي ممساكم ومصبحكم، هتافا وصراخا، وتلاوة وألحنا، ولقبله ما حل بأبياء الله ورسله حكم فصل وقضاء حتم: [صفحة ٢٤٥] (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) أيها بنى قيلة أأهضم تراث أبى؟ وأنتم بمرأى منى ومسمع ومنتدى ومجمع تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة والأداة والقوة وعندكم السلاح والجنة توافيكم الدعوة فلا تجييون، وتأتيكم الصرخة فلا تعينون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التى انتخبت والخيرة التى اختيرت لنا أهل البيت. ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منى بالخذلة التى خامرتكم والغدره التى استشعرتها قلوبكم، لكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ وبثه الصدر وتقدمه الحجة، فدونكموها فاحتقبوها دبره الظهر نقبة الخف باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد موصوله بنار الله الموقدة التى تطلع على الأفتدة، فبعين الله ما تفعلون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأنا ابنه نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون [٢١٨].

باورقى

- [١] سورة المائدة آية / ٣٥.
- [٢] سورة الشعراء: آية / ٨٠.
- [٣] سورة نوح: آية / ١٣.
- [٤] سورة الإسراء: آية / ٧٢.
- [٥] سورة القصص: آية / ٨٨.
- [٦] سورة الرحمن: آية / ٢٦.
- [٧] سورة يوسف: آية / ٣.
- [٨] سورة طه: آية / ٩٩.
- [٩] سورة الأعراف: آية / ١٧٦.
- [١٠] سورة يوسف: آية / ١١١.
- [١١] سورة محمد: آية / ٢٤.
- [١٢] سورة يونس: آية / ٣٢.
- [١٣] سورة البقرة: آية / ٢٥٣.
- [١٤] سورة آل عمران: آية / ١٤٤.

- [١٥] سورة البقرة: آية / ٢٥٢.
- [١٦] سورة الأحقاف: آية / ٩.
- [١٧] سورة الإسراء: آية / ٧٧.
- [١٨] سورة فاطر: آية / ٤٣.
- [١٩] تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٦٣.
- [٢٠] في ظلال القرآن ج ١ ص ٢٨٤.
- [٢١] سورة البقرة: آية / ٢١٣.
- [٢٢] سورة آل عمران: آية / ١٩.
- [٢٣] سورة الشورى: آية / ١٤.
- [٢٤] سورة الجاثية: آية / ١٧.
- [٢٥] سورة آل عمران: آية / ١٩.
- [٢٦] سورة آل عمران: آية / ١٧٥ - ١٧٦.
- [٢٧] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٢٣.
- [٢٨] صفوة التفاسير ج ١ ص ٤٨٢.
- [٢٩] الإمامة والسياسة تاريخ الخلفاء: ج ١ ص ١٢.
- [٣٠] سورة البقرة آية / ١٧٠.
- [٣١] سورة الزخرف: آية / ٢٣ - ٢٥.
- [٣٢] سورة لقمان: آية / ٢١.
- [٣٣] سورة الجاثية: آية / ٧ - ٨.
- [٣٤] سورة البقرة: آية / ٨٧.
- [٣٥] سورة الأعراف: آية / ٣٦.
- [٣٦] سورة الأعراف: آية / ٤٠.
- [٣٧] تاج العروس ولسان العرب مادة شيع.
- [٣٨] تاريخ ابن خلدون الفصل ٢٧ في مذهب الشيعة ص ٣٤٨.
- [٣٩] المصدر السابق ج ٣ ص ٣٦٤.
- [٤٠] تاريخ اليعقوبي.
- [٤١] الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ١١، ص ٣٤٦ - ٣٤٧.
- [٤٢] الدولة الفاطمية في مصر د. جمال الدين سرور ص ١٣٢.
- [٤٣] يقول الدكتور محمد جمال الدين سرور في كتابه الدولة الفاطمية في مصر ص ١٣٥ لما أيقن صلاح الدين أن سلطته قد استقرت وجه اهتمامه إلى القضاء على المذهب الشيعي في مصر فأنشأ سنة ٥٦٦ مدرسة لتدريس المذهب الشافعي وأخرى لتدريس المالكي وعزل قضاة الشيعة ".. ونفس الكلام يورده ابن الأثير في تاريخه ج ١١ ص ٣٦٦.
- [٤٤] مقاطع من دراسة للكاتب السوداني الطيب أحمد حسن في مجلة أهل البيت (ع) العدد الأول بيروت تحت عنوان أهل البيت (ع) تراث المسلمين في السودان.

- [٤٥] صحيح مسلم كتاب الجهاد باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا نورث ص ١٥٣ وكذلك أورده البخارى فى كتاب فرض الخمس باب فرض الخمس.
- [٤٦] الإمامة والسياسة " تاريخ الخلفاء " ص ١٢ - ١٣.
- [٤٧] كما أورد ذلك السيوطى فى إحياء الميت والزمخشري فى تفسيره الكشاف. والفخر الرازى فى تفسيره والسيوطى فى الدر المنثور والقندوزى الحنفى فى ينابيع المودة والبخارى وغيرها من المصادر.
- [٤٨] وجاء ذلك أيضا فى مستدرک الصحيحين للحاكم ومسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٥٨.
- [٤٩] الكشاف ج ٤ ص ٦٧٠ ط بيروت، أسد الغابة لابن الأثير الشافعى ج ٥ ص ٥٣٠ - ٥٣١، تذكرة الخواص للسبط بين الجوزى وشواهد التنزيل للحاكم، الدر المنثور للسيوطى وغيرها من المصادر.
- [٥٠] ذكره ابن حجر فى الصواعق المحرقة ص ١٨٨.
- [٥١] أورده ابن حجر فى صواعقه أيضا ص ١٩٠ وقد جاء هذا الحديث بصيغ مختلفة تعبر عن نفس المعنى فى كثير من المصادر مثل مسند أحمد بن حنبل وكنز العمال والإمامة والسياسة لابن قتيبة... وغيرها.
- [٥٢] ورواه ابن الأثير فى أسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٢، وابن حجر فى الإصابة ج ٥ ص ١٥٦.. كما جاء فى ميزان الاعتدال للذهبي وغيرها من المصادر.
- [٥٣] وذكره أيضا فى باب مناقب قرابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ج ٤ ص ٢٨١ كما رواه مسلم فى صحيحه وأحمد بن حنبل فى مسنده.
- [٥٤] ورواه ابن حجر فى الصواعق ص ١٩١ والحاكم فى المستدرک ج ٣ ص ١٥١، كتاب مناقب الصحابة وقال عنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
- [٥٥] رواه الحاكم فى مستدرکه ج ٣ ص ١٦٠ وقال حديث صحيح على شرط سلم.. كما ذكره ابن عبد البر فى استيعابه ج ٢ ص ٧٥١.
- [٥٦] لمعرفة مصادر هذه الأحاديث يرجى مراجعة فضائل الزهراء فى هذا الكتاب.
- [٥٧] مراجعة الآيات ١٠٩ - ١٢٧ - ١٣٢ - ١٤٥ - ١٦٤ - ١٨٠ من سورة الشعراء. وقد جاء فى صحيح البخارى فى المناقب ج ٤ ص ٢١٩ عن ابن عباس قال: إلا المودة فى القربى، القربى قربي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).
- [٥٨] سورة ص: آية / ٨٦.
- [٥٩] سورة سبأ: آية / ٤٧.
- [٦٠] سورة الفرقان: آية / ٥٧.
- [٦١] سورة الأنعام: آية / ٩٠.
- [٦٢] بمادة (فدك) من معجم البلدان.
- [٦٣] سيرة ابن هشام ٣ / ٤٠٨ مغازى الواقدي ص ٧٠٦ / ٧٠٧ وشرح النهج ٤ / ٧٨.
- [٦٤] تفسير الآية ٢٦ من سورة بنى إسرائيل فى شواهد التنزيل ١ / ٣٣٨ - ٣٤١، والدر المنثور ٤ / ١٧٧ وميزان الاعتدال ٢ / ٢٢٨ ومجمع الزوائد والكشاف وتاريخ ابن كثير ٢ / ٣٦، تفسير الطبرى ج ١٥ ص ٧٢ ط ٢ ينابيع المودة.
- [٦٥] فتوح البلدان: ١ / ٣٤ - ٣٥.
- [٦٦] مسند أحمد ١ / ٤ الحديث ١٤، وسنن أبى داوود ٣ / ٥ كتاب الخراج وتاريخ ابن كثير ٥ / ٢٨٩، وشرح النهج ٤ / ٨١ وتاريخ الذهبى.
- [٦٧] سنن الترمذى ٧ / ١١١، أبواب السير كما جاء فى تركة الرسول كما جاءت بمسند أحمد بن حنبل عن أبى هريرة أيضا ج ١ / ١٠

الحديث ٦٠.

- [٦٨] شرح النهج ٤ / ٨٢ - ٨٥.
- [٦٩] تاريخ الإسلام للذهبي ١ / ٣٤٧، شرح النهج ٤ / ٨١.
- [٧٠] فتوح البلدان ١ / ٣٥ وطبقات ابن سعد ٢ / ٣١٤ - ٣١٥ وشرح النهج ٤ / ٨١ وتاريخ الإسلام للذهبي ١ / ٣٤٦.
- [٧١] أسد الغابة ج ٤ ص ٢٢، مستدرک الحاكم وشواهد التنزيل وتاريخ ابن عساكر وغيرها من المصادر.
- [٧٢] طبقات ابن سعد ٢ / ٣١٥ وكنز العمال ٥ / ٣٦٥ كتاب الخلافة مع الإمارة من قسم الأفعال.
- [٧٣] بلاغات النساء: ١٢، ١٥، ١٦، ١٧.
- [٧٤] النص والاجتهاد السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي فقرة توريث الأنبياء.
- [٧٥] تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٢٥.
- [٧٦] بتفسير الآية من سورة الإسراء في شواهد التنزيل ١ / ٣٣٨ - ٣٤١ بسبعة طرق، والدر المنثور ٤ / ١٧٧ وميزان الاعتدال ٢ / ٢٢٥ ط أولى وكنز العمال ٢ / ١٥٨ ط أولى ومنقحة، والكشاف ٢ / ٤٤٦، وتاريخ ابن كثير ٣ / ٣٦.
- [٧٧] روى ذلك الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي في نزاهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٦ ط القاهرة.
- [٧٨] تاريخ الخلفاء ج ١ ص ١٢.
- [٧٩] شرح النهج ج ١٦ ص ٢٨٤.
- [٨٠] الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢.
- [٨١] الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢٥.
- [٨٢] المصدر ج ٢ ص ٣٢٧.
- [٨٣] تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٤.
- [٨٤] تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٥ - ١٢٦.
- [٨٥] تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ج ١ ص ١٣.
- [٨٦] نفس المصدر ص ١٣.
- [٨٧] تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٦.
- [٨٨] الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢.
- [٨٩] تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٤.
- [٩٠] تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٢٦.
- [٩١] المستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٥٨، مسند أحمد بن حنبل تفسير الطبري، شواهد التنزيل وغيرها من المصادر.
- [٩٢] تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦١٩.
- [٩٣] تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١٥.
- [٩٤] الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ - ١٤.
- [٩٥] المصدر السابق.
- [٩٦] الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٩٧، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٥ ص ١٥٣.
- [٩٧] دلالات النبوة لليهقي ج ٣ ص ١٦١.
- [٩٨] جمهرة أنساب العرب ص ١٦ - ٣٧. وذكر مثل ذلك كثير من الأعلام أمثال المحب الطبري في ذخائر العقبى وابن الأثير في أسد

الغابة ج ٤ ص ٣٠٨ والعسقلاني في الإصابة ج ٤ ص ٤٧١ واليعقوبى في تاريخه.

[٩٩] تاج العروس ج ٣ ص ٣٨٩، ولسان العرب ج ٤ ص ٣٩٣.]

[١٠٠] إثبات الوصية ص ١٤٣.

[١٠١] الملل والنحل ج ١ ص ٥٧ إبراهيم بن سيار أحد أقطاب المعتزلة.

[١٠٢] لسان الميزان ج ١ ص ٢٤٨. وأورده أيضا صلاح الصفدى في (الوافى بالوفيات) ج ٦ ص ٧ وقال ابن حجر العسقلاني في لسان

الميزان وينقل عن محمد بن أحمد بن حماد الكوفى بعد أن أرخ موته (كان مستقيم الأمر عامه دهره ثم فى آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب الخ كما نقلنا.

[١٠٣] أنساب الأشراف ج ١ ص ٥٨٦.

[١٠٤] العقد الفريد ج ٥ ص ١٣.

[١٠٥] كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ٣١.

[١٠٦] بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

[١٠٧] بحار الأنوار "موسوعة أحاديث لأهل البيت (ع) ج ٥٣ ص ١٨ - ١٩. وأغلب الأحاديث التى أوردناها فى هذا المجال من

المصادر الحديثية لأهل البيت وكتاب مأساة الزهراء شبها ووردود للسيد جعفر مرتضى العالمى.

[١٠٨] فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى أحمد الهمداني.

[١٠٩] السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٢٤.

[١١٠] سورة الأنعام: آية / ١٢٤.

[١١١] سورة آل عمران: آية / ٣٣ - ٣٤.

[١١٢] سورة فاطر: آية / ٣٢.

[١١٣] سورة الأنبياء: آية / ٧٣.

[١١٤] سورة السجدة: آية / ٢٤.

[١١٥] الفكر الإسلامى مواجهة حضارية - العلامة السيد محمد تقى المدرسى ص ٢٥٠.

[١١٦] مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٧.

[١١٧] الغدير ج ١ ص ١٤.

[١١٨] المصدر ج ١ ص ٦٢.

[١١٩] مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٢٨١.

[١٢٠] التفسير الكبير للرازى ج ١٢ ص ٤٩.

[١٢١] رواه مسلم أيضا فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل على بن أبى طالب كما أورده أحمد بن حنبل وغيرهم.

[١٢٢] تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤.

[١٢٣] البدايه والنهائيه ج ٤ ص ١٨٧.

[١٢٤] السيرة النبوية ابن هشام ج ٤ ص ١٨٩ ومثله فى المستدرك ج ٣ ص ٥١ وتفسير الطبرى.

[١٢٥] الإصابة فى تمييز الصحابة ص ٥٠٧ - ٥٠٨.

[١٢٦] أهدى إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) طير مشوى فقال: اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك - فجاء على فأكل معه "أسد

الغابة لابن الأثير" ج ٦ ص ٦٠١، وأورده أحمد بن حنبل والحاكم.

- [١٢٧] مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٢٨ قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- [١٢٨] مسلم فى صحيحه باب فضائل على بن أبى طالب ورواه بثلاثة طرق مستدرک الحاكم كتاب معرفة الصحابة ص ٢٧، مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧ - ص ١٦، الترمذى ج ٥ ص ٦٦٣ - ٦٦٢.
- [١٢٩] وجاء أيضا مثل ذلك فى المستدرک ج ٣ ص ١٤٧ وقال صحيح على شرط البخارى ولم يخرجه.
- [١٣٠] التفسير الكبير للرازى ج ٨ ص ٨٠.
- [١٣١] سورة النساء: الآية / ٥٩.
- [١٣٢] سورة التوبة: آية / ١٠٩.
- [١٣٣] سورة الزخرف: آية / ٧٨.
- [١٣٤] سورة الأعراف: آية / ١٧.
- [١٣٥] سورة سبأ: آية / ١٣.
- [١٣٦] صحيح مسلم ج ١ ص ٦١ باب الدليل على أن حب الأنصار وعلى من الإيمان.
- [١٣٧] مستدرک الحاكم ج ٣ / ١٢٩.
- [١٣٨] البخارى باب الحوض كتاب الرقاق ج ٤ / ٩٥ صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا.
- [١٣٩] البخارى ج ٥ ص ٦٦.
- [١٤٠] البخارى ج ١ ص ٧٤.
- [١٤١] البخارى ج ٢ / ١٣٥.
- [١٤٢] أنظر البخارى ج ١ / ٢٢٥ و ج ٢ / ٧٢٦.
- [١٤٣] سورة التوبة: آية / ٣١.
- [١٤٤] فقط أبو بكر وعمر وأبو عبيدة.
- [١٤٥] تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٤٤٦.
- [١٤٦] المصدر ص ٤٤٤.
- [١٤٧] المصدر ص ٤٤٧.
- [١٤٨] المصدر ص ٤٤٦.
- [١٤٩] شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى ج ٢ / ٢.
- [١٥٠] الطبرى ج ٢ ص ٤٤٥.
- [١٥١] الطبرى ج ٢ ص ٤٤٩.
- [١٥٢] المصدر السابق.
- [١٥٣] المصدر السابق.
- [١٥٤] نهج البلاغة ضبط صبحى الصالح ص ٢٠١.
- [١٥٥] المصدر نفسه ص ٢٣١.
- [١٥٦] المصدر السابق ص ٤٧.
- [١٥٧] المصدر السابق ص ١٦٢ - ١٦٣.
- [١٥٨] أسد الغابة فى معرفة الصحابة ج ٣ ص ٦٠٩ لابن الأثير نهج البلاغة خطبة ٣.

- [١٥٩] أبو بكر.
- [١٦٠] عمر بن الخطاب.
- [١٦١] عثمان بن عفان.
- [١٦٢] أصحاب الجمل - الخوارج - صفين بالتوالي.
- [١٦٣] الطبري ج ٣ / ٤٧٧.
- [١٦٤] الطبري ج ٣ / ٤٧٦ - ٤٧٧.
- [١٦٥] البخاري ج ١ ص ١٦٢ - ج ٣ ص ١٣٥ - ج ٥ ص ١٤٠.
- [١٦٦] مسند أحمد بن حنبل ج ٤ / ٢٧٥.
- [١٦٧] مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١٩ - ١٢٠.
- [١٦٨] سورة التحريم: آية / ١١.
- [١٦٩] سورة التحريم: آية / ٥.
- [١٧٠] البخاري باب وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه.
- [١٧١] سورة التحريم: آية / ٦.
- [١٧٢] المستدرک ج ٣ / ١٢٠.
- [١٧٣] نهج البلاغة من رسائل أمير المؤمنين رقم ٧.
- [١٧٤] نفس المصدر رساله ١٠.
- [١٧٥] مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠.
- [١٧٦] المصدر ج ٢ ص ٣٦٣.
- [١٧٧] تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٦٠.
- [١٧٨] المسعودي ج ٢ ص ٣٦٩.
- [١٧٩] تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٧.
- [١٨٠] الإصابة في تمييز الصحابة ابن حجر العسقلاني ص ٣١٥.
- [١٨١] البدايه والنهائيه لابن كثير ج ٨ ص ١٣٤.
- [١٨٢] الطبري ج ٤ ص ٢٠٨ - ابن كثير ج ٨ ص ٣٣.
- [١٨٣] فتوى بعض العلماء حول التطبيع مع اليهود مثل ابن باز.
- [١٨٤] التشيع - السيد عبد الله الغريفي.
- [١٨٥] المكلف إما مجتهد يستنبط الأحكام الشرعية أو محتاط أو مقلد لمرجع مجتهد جامع للشرائط المذكورة في كتب الفقه.
- [١٨٦] نهج البلاغة الخطبة الأولى..
- [١٨٧] التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٨ / ١٣.
- [١٨٨] تفسير القرآن العظيم ج ١ / ٣٠٨.
- [١٨٩] تفسير الرازي ج ٨ / ١٢.
- [١٩٠] فليراجع كتاب إسلامنا في التوفيق بين الشيعة والسنة - التشيع - لعبد الله الغريفي.
- [١٩١] وسائل الشيعة ج ١ / ٢٧٥.

- [١٩٢] تفسير الرازي ج ١١ / ١٦١.
- [١٩٣] مسند أحمد بن حنبل ج ١ / ٩٥.
- [١٩٤] المستدرک ج ١ / ٢٤٢.
- [١٩٥] مسند أحمد بن حنبل ج ٥ / ٣٤٢.
- [١٩٦] سنن ابن ماجه ج ١ / ١٥٦.
- [١٩٧] سنن ابن ماجه ج ١ / ١٥٦.
- [١٩٨] التشيع - السيد عبد الله الغريفي.
- [١٩٩] تفسير الفخرى الرازي ج ٢١ / ٢٧.
- [٢٠٠] البخارى ج ١ / ٢٨٨.
- [٢٠١] المصدر ج ١ / ١٨٦.
- [٢٠٢] مسلم ج ٢ / ١٥٢ باب الجمع بين الصلاتين في الحضر.
- [٢٠٣] مسلم ج ٢ / ١٥٢ نفس الباب.
- [٢٠٤] المصدر ج ٢ / ١٥٢.
- [٢٠٥] وسائل الشيعة ج ٣ / ١٠١.
- [٢٠٦] تفسير الرازي ج ١٠ / ٥١.
- [٢٠٧] المصدر ج ١ / ٤٩.
- [٢٠٨] الدر المنثور للسيوطي ج ٢ / ٤٨٦.
- [٢٠٩] صحيح مسلم ج ٢ باب نكاح المتعة وأخرجه البخارى ج ٧ / ٨.
- [٢١٠] البخارى ج ٧ / ٢٥.
- [٢١١] البخارى ج ٧ / ٢٤ باب نكاح المتعة.
- [٢١٢] مسند أحمد بن حنبل ج ٣ / ٣٠٤.
- [٢١٣] مسند أحمد بن حنبل ج ٣ / ٣٥٦.
- [٢١٤] الزواج المؤقت ص ١١ محمد تقي الحكيم.
- [٢١٥] سورة النساء: آية / ٢٨.
- [٢١٦] الآية (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).
- [٢١٧] أى مبهماتهما وهى المشكلات من الأمور.
- [٢١٨] مقاطع من خطبة الزهراء من كتاب الاحتجاج للطبرسى.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبَحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشَعْفِهِ بأهل بيت النبي (صلواتُ الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عَجَلَّ اللهُ تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ هـ) الهجرية القمرية)، مؤسساً و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ هـ) الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمساائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقوله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في جامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في أكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخر

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدّعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفترق" و فاني / بنايه "القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ هـ) الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويه الوطنيّه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنّها لا تُوفّي الحجم المتزايد و المتسعّ للامور الدينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمّى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَل اللهُ تعالى فرجه الشريف) أن يُوفّق الكلّ توفيقاً مترائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصححان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

